السلطان
الشهيد على دينار



أعـــداد

أ/د: سيد أحمد على عثمان العقيد



الدار العربية للنشر والتوزيع

السلطان الشهيد على دينار

بين الحجاز وليبيا وتركيا

المقاومة الوطنية الاولى (وثائق وحقائق) (1898-1916م)

السلطان الشهيد على دينار

بين الحجاز وليبيا وتركيا

المقاومة الوطنية الاولى (وثائق وحقائق) (1898-1916م)

تأليــف

أ.د . سيد أحمد علي عثمان العقيد

أستاذ مشارك فى التاريخ الحديث والمعاصر
كلية الآداب عميد مكتبات جامعة النيلين

الطبعة الأولى

2008



الدار العربية للنشر والتوزيع

حقوق النشر

اسم الكتاب : السلطان الشهيد علي دينار
بين الحجاز وليبيا وتركيا
المقاومة الوطنية الاولى (وثائق وحقائق) (1898-1916م)
اسم المؤلف : أ.د . سيد أحمد علي عثمان العقيد
رقم الإيداع : ٢٠٠٧ / ٢٢٦٠٤
I. S. B. N. 977-258-294-5
الطبعة الأولى : 2008



الدار العربية للنشر والتوزيع

32 شارع عباس العقاد - مدينة نصر
جمهورية مصر العربية - القاهرة

تليفون : 22753335
فاكس : 22753388

مقدمة الناشر

يتزايد الاهتمام باللغة العربية فى بلادنا يوماً بعد يوم. ولا شك أنه فى الغد القريب ستستعيد اللغة العربية هيبتها التى طالما امتهنت وأذلت من أبنائها وغير أبنائها. ولا ريب فى أن امتهان لغة أية أمة من الأمم هو إذلال ثقافى فكرى للأمة نفسها، الأمر الذى يتطلب تضافر جهود أبناء الأمة رجالاً ونساءً طلاباً وطالبات، علماء ومثقفين مفكرين وسياسيين فى سبيل جعل لغة العروبة تحتل مكانتها اللائقة التى اعترف المجتمع الدولى بها لغة عمل فى منظمة الأمم المتحدة ومؤسساتها فى أنحاء العالم لأنها لغة أمة ذات حضارة عريقة استوعبت – فيما مضى– علوم الأمم الأخرى وصهرتها فى بوتقتها اللغوية والفكرية، فكانت لغة العلوم والأدب، ولغة الفكر والكتابة والمخاطبة.

إن الفضل فى التقدم العلمى الذى تنعم به أوروبا اليوم يرجع فى واقعه إلى الصحوة العلمية فى الترجمة التى عاشتها فى القرون الوسطى. فقد كانت المرجع الوحيد للعلوم الطبية والعلمية والاجتماعية هو الكتب المترجمة عن اللغة العربية لابن سينا وابن الهيثم والفارابى وابن خلدون وغيرهم من عمالقة العرب، ولم ينكر الأوروبيون ذلك، بل يسجل تاريخهم ما ترجموه عن حضارة الفراعنة والعرب والإغريق، وهذا يشهد بأن اللغة العربية كانت مطواعة للعلوم والتدريس والتأليف، وأنها قادرة على التعبير عن متطلبات الحياة وما يستجد من علوم، وأن غيرها ليس بأدق منها، ولا أقدر على التعبير.

ولكن ما أصاب الأمة من مصائب وجمود بدأ مع نهاية عصر الوجود التركى، ثم الاستعمار البريطانى والفرنسى مما عاق اللغة عن النمو والتطور، وأبعدها عن العلم والحضارة ولكن عندما أحس العرب بأن حياتهم لابد من أن تتغير، وأن جمودهم لابد أن تدب فيه الحياة، اندفع الرواد من اللغويين والأدباء والعلماء نحو إنماء اللغة وتطويرها حتى أن مدرسة قصر العينى فى القاهرة، والجامعة الأمريكية فى بيروت درستا الطب بالعربية أول إنشائهما. ولو تصفحنا الكتب التى أُلفت أو تُرجمت يوم كان الطب يدرس فيها باللغة العربية لوجدناها كتباً ممتازة لا تقل جودة عن مثيلاتها من كتب الغرب فى ذلك الحين، سواء فى الطبع، أو حسن التعبير، أو براعة الإيضاح، ولكن هذين المعهدين تنكرا للغة العربية فيما بعد، وسادت لغة المستعمر. وفُرضت على أبناء الأمة فرضاً، إذ رأى المستعمر أن فى خنق اللغة العربية مجالاً لعرقلة الأمة العربية.

وبالرغم من المقاومة العنيفة التى قابلها، إلا أنه كان بين المواطنين صنائع سبقوا الأجنبى فيما يتطلع إليه، فتفننوا فى أساليب التملق له اكتساباً لمرضاته، ورجال تأثروا بحملات المستعمر الظالمة، يشككون فى قدرة اللغة على استيعاب الحضارة الجديدة، وغاب عنهم ما قاله الحاكم الفرنسى لجيشه الزاحف إلى الجزائر: "علموا لغتنا وانشروها حتى نحكم الجزائر، فإذا حكمت لغتنا الجزائر، فقد حكمناها حقيقة".

فهل لى أن أوجه نداءً إلى جميع حكومات الدول العربية بأن تبادر- فى أسرع وقت ممكن- إلى اتخاذ التدابير، والوسائل الكفيلة باستعمال اللغة العربية لغة تدريس فى جميع مراحل التعليم العام والمهنى والجامعى، مع العناية الكافية باللغات الأجنبية فى مختلف مراحل التعليم لتكون وسيلة الإطلاع على تطور العلم والثقافة والانفتاح على العالم. وكلنا ثقة فى إيمان العلماء والأساتذة بالتعريب، نظراً لأن استعمال اللغة القومية فى التدريس ييسر على الطالب سرعة الفهم دون عائق لغوى وبذلك تزداد حصيلته الدراسية، ويرتفع بمستواه العلمى، وذلك يعتبر تأصيلاً للفكر العلمى فى البلاد، وتمكيناً للغة القومية من الازدهار والقيام بدورها فى التعبير عن حاجات المجتمع، وألفاظ ومصطلحات الحضارة والعلوم.

ولا يغيب عن حكوماتنا العربية أن حركة التعريب تسير متباطئة، أو تكاد تتوقف بل تحارب أحياناً ممن يشغلون بعض الوظائف القيادية فى سلك التعليم والجامعات ممن ترك الاستعمار فى نفوسهم عقُداً وأمراضاً، رغم أنهم يعلمون أن جامعات إسرائيل قد ترجمت العلوم التطبيقية الحديثة إلى اللغة العبرية وعدد من يتخاطب بها فى العالم لا يزيد عن خمسة عشر مليون يهوديًا، كما أنه من خلال زياراتى لبعض الدول واطلاعى على مناهجها الدراسية وجدت كل أمة من الأمم تدرس بلغتها القومية مختلف فروع العلوم والآدب والتقنية كاليابان، وإسبانيا، وألمانيا، ودول أمريكا اللاتينية، ولم تشك أمة من هذه الأمم فى قدرة لغتها على تغطية العلوم الحديثة، فهل أمة العرب أقل شأناً من غيرها ؟!.

وأخيراً .. وتماشياً مع أهداف الدار العربية للنشر والتوزيع، وتحقيقاً لأغراضها فى تدعيم الإنتاج العلمى باللغة العربية، وتشجيع العلماء والباحثين فى إعادة مناهج التفكير العلمى وطرائقة إلى رحاب لغتنا الشريفة تقوم الدار بنشر هذا الكتاب المتميز الذى يعتبر واحداً من ضمن ما نشرته – وستقوم بنشرة – الدار من الكتب العربية التى قام بتأليفها أو ترجمتها نخبة ممتازة من أساتذة الجامعات المصرية والعربية المختلفة.

وبهذا ... ننفذ عهداً قطعناه على المضى قدما فيما أردناه من خدمة لغة الوحى وفيما أراده الله تعالى لنا من جهاد فيها.

وقد صدق الله العظيم حينما قال فى كتابة الكريم ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (106) ﴾ " سورة التوبة الآية "

محمد أحمد درباله

الدار العربية للنشر والتوزيع

الموضوع | الصفحة

المحـــتويات

الفصــــل الأول

الفصـــل الثانـــي

الموضوع | الصفحة

الموضوع **الصفحة**

السيرة الذاتية

الاسم : سيد أحمد علي عثمان العقيد

المراحل الدراسية: حفظ القرءان العظيم 1964م .

- معهد أم درمان العلمي 1964م .
- مدرسة مروي الثانوية 1969م-1974م.
- جامعة أم درمان الاسلامية 1973-1975م.
- جامعة الرياض 1978-1980م (بكالوريوس في الآداب - قسم التاريخ بتقدير ممتاز).
- جامعة الملك سعود (الرياض سابقا) (ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر) سياسة الفور الخارجية 1898م - 1916م (دراسة تاريخية وثائقية).
- جامعة أمدرمان الاسلامية 1989م - 1991م. (دكتوراة في التاريخ الحديث - بتقدير ممتاز 1991م).
- **موضوع الرسالة:** العلاقات المهدوية الحبشية 1884م - 1898م (دراسة تاريخية وثائقية) .
- رئيس قسم التاريخ والحضارة الاسلامية - كلية البنات / جامعة ام درمان الاسلامية 1991م - 1992م.
- استاذ الثقافة الاسلامية بكل من جامعة السودان / كلية التنمية البشرية قسم المحاسبة 1996 - 1999م.وكلية شرق النيل الجامعية 1993م - 1996م.

- عميد برنامج الاقتصاد بكلية شرق النيل الجامعية 1996م
- وكيل عمادة الطلاب 1997م / جامعة النيلين .
- عميد المكتبات جامعة النيلين1997م إلي الآن .
- معد ومقدم برنامج قطوف علي القناة الفضائية السودانية 1994م إلي الآن (أكثر من خمسمائة وخمسين حلقة اسبوعية).
- أستاذ مشارك في التاريخ الحديث والمعاصر (علاقات دولية) كلية الآداب جامعة النيلين .

♦ ابحـــاث :

1. الاسلام وحوار الحضارات قدم في المؤتمر العالمي لحوار الحضارات جامعة النيلين 2003م.
2. ادارة المكتبات الجامعية قدم في سمنار المكتبات الاول 2003م جامعة كسلا.
3. علاقة مصر بالقرن الأفريقي في القرن التاسع عشر قدم في ندوة علاقة مصر بشرق أفريقيا عبر العصُور مايو 2004م. معهد البحوث والدراسات الأفريقية جامعة القاهرة.
4. دور المرأة في سلطنتي الفور والفونج (دراسة اجتماعية تاريخية تحليلية) قدم في ورشة كرسي اليونسكو في أغسطس 3004م جامعة السودان.

♦ الكتب المنشـورة:

1. الكتاب الأول من برنامج قطوف – السودان / الخرطوم 2000م.
2. الدلالات الحضارية لشعائر الإسلام – السودان / الخرطوم / دار الشريعة للطباعة والنشر 1998م.
3. مصر والقرن الأفريقي / مصر / القاهرة / الدار العربية 2005م.

4. العلاقات المكية السودانية عبر القرون / مصر / القاهرة / الدار العربيـة للنـشر 2005م .

5. التراث ودوره / السودان / الخرطوم / الخرطوم عاصمة الثقافة العربيـة 2005م في ورقة الحاضر واستبصار المستقبل .

6. أثيوبيا مشروع تكامل بين دول شعوب ودول حـوض وادي النيـل – الـسودان / الخرطوم / جامعة النيلين / الناشر المؤلف 2005م . ط (نفدت).

7. دارفور والحق المر .. الماضي – الحاضر والمستقبل (دراسة سياسية – تحليليـة من منظور تاريخي).

♦ **كتـب تحـت الطـبع:**

1. الإسلام وحوار الحضارات.

2. الحبشة ومرتكزات التكامل بين شعوب ودول وادي النيل (الـسودان – مـصر – اريتريا – اثيوبيا) .

3. المرأة السودانية في عصر الفونج والفور والمهدية (دراسة تاريخية تحليلية).

4. العلاقات المهدوية الحبشية (1884– 1989م).

5. العلاقات الحبشية السودانية المصرية والخطر الاستعماري (من القـرن الخـامس عشر إلى الثلث الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي).

6. تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر ومشكلاته.

7. السودان ودول الجوار. مهددات الأمن القـومي ومحـددات الـسياسة الخارجيـة السودانية

8. الثورات الكبرى في التاريخ.

9. تاريخ السودان الحديث والمعاصر الاقتصادي والسياسي (1821–1984م).

10. الخليفة عبد الله التعايشي بين جهل الأبناء وكيد الأعداء (وثائق وحقائق).

مقدمة

يعتبر السلطان الشهيد علي دينار واحداً من الشخصيات الوطنية الهامة والفاعلة في تاريخ السودان الحديث والمعاصر والذي فجر حركة أول مقاومة وطنية سودانية ضد الوجود الأوروبي بالبلاد وأقام أول دولة وطنية خالصة بعد سقوط المهدية ضارعت فترة دولة المهدية بل فاقتها تخطيطاً ورؤية سياسية ودبلوماسية.

ولقد تمتع السلطان علي دينار بعقلية سياسية توافقية عكس العقلية المهدوية الشمولية الاحتوائية التي لاتعرف إلا اتجاهاً واحداً في تعاطيها مع الآخرين شأن كثير من الأنظمة الشمولية المعاصرة ذات الاتجاه الواحد على المستوى المحلي والإقليمي والدولي.

وقد أبدى قدراً من المرونة في علاقاته الإقليمية والدولية فاقت ما تمتعت به العقلية المهدوية في عصريها المهدوي أو التعايشي. إذ تمتع بسعة أفق وقدرة على المحاورة والمداراة والدبلوماسية وبناء الأحلاف الإقليمية والمحلية، عكس ما جادت به قريحة قيادات المهدية في فترتيها فترة المهدي أو الخليفة. ولو قدر له من الوقت والزمن والسلطة بما تمتعت به الدولة المهدوية لأحدث انقلاباً في تاريخ السودان الحديث والمعاصر. ولقبل عرض ملك الحبشة بالتعاون أو الحماية الفرنسية التي عرضت على الخليفة عبد الله التعايشي ورفضها نتيجة حماسة دينية متشنجة واستشارة غير موفقة من قبل قادته.

وكان السلطان الشهيد علي دينار متفوقاً على ذاته وأقرانه سواء أكانت قيادات المهدية أو الختمية الحديثة أو الطريقة الهندية حين انحيازه إلى جانب الصف المسلم في معركته المصيرية تحت راية الدولة العثمانية حامية بيضة الإسلام ورمزه. وتفوق على

ذاته حين وقف مع السنوسية في نضالها وجهادها ضد كل من الوجود الفرنسي في تشاد والوجود الايطالي في ليبيا. وقام بدعمها مادياً ومعنوياً. وتمكن من أن يقف بصلابة منقطعة النظير في وجه الوجود الانجليزي في الشرق، والفرنسي في الغرب حيث لم يسمح ولو بالخطأ لأجنبي أوروبي واحد بأن يطأ أو يدنس بقدمه تراب دارفور سواءً من الانجليز أو الفرنسيين حتى ولو كان صديقاً حميماً له كسلاطين باشا النمساوي والمفتش العام في الحكومة البريطانية بالسودان.

وكان بعيد النظر، شديد الفراسة، استراتيجي التخطيط، عميق الرؤية، واضح الفكرة، سياسي وطني من الطراز الأول. عمل بكل إمكاناته وقدراته لتخليص السودان من الاحتلال الأجنبي وعاش مستقلاً ومات مستقلاً عن كل الولاءات للأنظمة الغربية الأوروبية، فعاش شامخاً ومات شامخاً شموخ السلطنة الدارفورية صانعة التاريخ والأمجاد في السودان.

كما عمل بكل همة وجدٍ وإخلاص على إيقاظ همم قيادات السودان الطائفية ولكنه في الواقع وكما أثبتتِ الوقائع التاريخية كان يؤذن في مالطة لأن هذه القيادات التقليدية بعضها كان من العمالة بمكان والآخر كان من الضعف بمكان آخر. وقام السلطان الشهيد علي دينار بدعم السلطة القائمة في الحجاز وطلب منها الوقوف والانحياز إلى الصف المسلم والتزام جانب تركيا ضد الوجود البريطاني بيد انها كانت غارقة حتى أذنيها في الانحياز إلى جانب بريطانيا بتأييد ومكاتبات من حكومة السودان عن طريق علي الميرغني الذي له صلة قرابة بهذه القيادة الحجازية، كما عمل السلطان الشهيد علي دينار على تنمية بلاده وترقية أداء أبناء أمته العربية والإسلامية والأفريقية. ويقال انه ذات مرة وزع على كل بيت من بيوت الفاشر شجرة برتقال وغيرها من الاشجار النافعة ليقوموا بزراعتها أمام منازلهم فاشتكوا إليه عدم وجود الماء ، فقال لهم توضأوا عليها، أي اسقوها بماء الوضوء المتكرر في اليوم خمس مرات.

يلحظ المرء دقة هذه الإشارة من الناحية التربوية والإعدادية والأخلاقية والعقلية والاقتصادية والإنتاجية والاجتماعية والسياسية.

وقد جاء هذا المؤلَف (السلطان الشهيد علي دينار - المقاومة الوطنية الاولى (1898-1916م) ((وثائق وحقائق)) في سبعة فصول تناولت حياة السلطان الشهيد علي دينار ونشأته وبزوغ نجمه على الساحة الوطنية وعلاقاته بالدولة العثمانية والحركة السنوسية في ليبيا ومحاولته الجادة لبناء أحلاف محلية وإقليمية لمقاومة الاحتلال كما تعرض لدحض الاتهامات التي حاولت بها أقلام المخابرات الغربية الأوروبية تشويه سمعة السلطان عن قصد وترصد.

وتعرض الكتاب لعلاقاته مع الحجاز وإرساله المتواصل والمستمر لمحمل سنوي لدعم السلطة القائمة بالحجاز وكان يوزع نصفه على الفقراء من سكان مكة والحجاج والزوار للبيت الحرام ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم.

كما تعرض الكتاب لانحياز السلطان الشهيد علي دينار إلى الصف المسلم في الحرب الأوروبية الأولى مضحياً بعرشه في سبيل انحيازه إلى الدولة العثمانية في حين لزمت قيادات دينية وسياسية وطائفية وتقليدية في طول السودان وعرضه وعلى امتداد العالم الإسلامي والعربي والأفريقي يومئذ الصمت وانحازت إلى الصف الكافر من اجل سلامة النفس والبقاء في كرسي الزعامة.

وأكد هذا السفر على أن السلطان الشهيد علي دينار قد قاد أول مقاومة وطنية جادة قبل حركة ود حبوبة وثورة (24) بكثير. وبالتالي فهو أول رمز وطني ونضالي على امتداد البلاد بعد الاحتلال الانجليزي للسودان سنة 1889م.

المؤلف

أ.د . سيد أحمد علي عثمان العقيد

الخرطوم ابريل 2007م

الفصــل الأول

علي دينار - المولد - النشأة العزم على العودة إلى السلطنة

الفصـــل الأول

عــــلى ديـــــــنار

المولد - النشأة - والعزم على عودة السلطنة

أ- المولد – والنشــأة:

نلاحظ أن معظم المصادر المكتوبة والشفاهية تذهب إلى أن السلطان الشهيد علي دينار قد ولد فيما بين (186، 1870م) تقريباً بقرية الشوايا بالقرب من الملوم بدارفور وهي منطقة تقع على مسافة ثمانين ميلاً جنوب غرب نيالا. ويعتبر أبوه زكريا أصغر أبناء السلطان محمد الفضل وهو ابن مغمور بين أخوته. ويعتبر علي دينار من ناحية أصوله الدارفورية خالاً للسيد عبد الرحمن المهدي جد الصادق المهدي لأبيه. لأن السلطان علي دينار هو ابن زكريا بن السلطان محمد الفضل ووالدة عبد الرحمن المهدي هي مقبولة الدارفورية ابنة نورين بن السلطان محمد الفضل بن السلطان عبد الرحمن الرشيد وبالتالي فهي ابنة عمه لزوماً. ولزيادة في الإيضاح فإن أم السلطان محمد الفضل هي أم بوسة البيقاوية وهي من الجنوب. والبيقو هي قبيلة استقدمها أهل دارفور إلي دارفور من جنوب السودان للخدمة العامة واستوطنت بدارفور ودخلت في النسيج الدارفوري بالطول والعرض وعليه فإن آل المهدي تربطهم بجنوب السودان آصرة دم من طريق آخر وهذا خلاف زواج المهدي من الدينكاوية التي أنجب منها ولداً قد تم حبسه بالقاهرة وهرب واختفى من عين السلطات الإنجليزية التي ترمي إلى إستراتيجية فصل الشمال عن الجنوب. وتعمل بكل الوسائل المشروعة وغير المشروعة لتحقيق ذلك لأنها تحاول أن تنفي أي صلة أو علاقة حميمة بين الشمال والجنوب ولأنه

من المعلوم لو قدر لابن الدينكاوية أن يعيش في النور لأصبح هو الابن الأكبر للمهدي ولتغيرت خارطة السودان السياسية الحديثة والمعاصرة ولما دخلنا في المأزق الذي ظل السودان يراوح مكانه فيه منذ عقود. ويقال أن ابن المهدي الدينكاويُ الأم قد تزوج مصرية وأنجب منها أبناء وصار له أحفاد لا يزالون علي قيد الحياة وقد أخبرني بروفيسور دياب أنه قد قابل أحدهم ولعل ما يدور من أحاديث الآن علي صفحات الصحف هذه الأيام يقع في إطار تحقيق المناط كما يقول أهل الأصول حيث حضر إلى السودان المواطن المصري سيد محمد عبد الله بن محمد المهدي في أكتوبر سنة 2004م واتصل بالأسرة ولم يعترف به احمد المهدي بيد أن الصادق المهدي وجهه إلى البروفيسور احمد إبراهيم دياب للتحقق[1] ومن الغريب حقاً أن السيد أحمد المهدي يقال أنه قد اعترف به أولاً و زوجه من إحدى قريباته من آل المهدي من آل شَريف وما أن بدأ الصادق المهدي في طريقه للاعتراف به بتوجيهه إلى البروفيسور أحمد إبراهيم دياب حتى تنصل أحمد المهدي من اعترافه وهذه مسألة ليست بالصعبة إذ يمكن إثباتها عن طريق الـــ (د.ن.أ) (D.N.A) كما ذهب إلى ذلك البروفيسور دياب وهو محقق في هذا الجانب. ولعل هذا يؤكد ما ذهبنا إليه سابقاً .

ولكن من الغريب حقاً أنه لا يعرف كثير شئ عن حياة السلطان الشهيد علي دينار الأولى لاسيما في فترة صباه وشبابه، سوى أنه ظهر فجأة ودون مقدمات وتفاصيل مع ابن عمه أبي الخيرات. وذلك حين انضمام المقاومة الدارفورية إلى حركة الثائر أبي جميزة.-ولجآ يومئذ (أبو الخيرات والثائر أبو جميزة) إلى سلطان سلا في دارفور واختلفا معه. هذا هو ما حدث بالضبط والتحديد بعد هزيمة (أساغه)[2] ونتيجة لاختلافهما مع سلطان سلا، اتجها صوب جنوب غرب جبل مرة في منطقة نائية في منطقة (كلمي) [3].

[1] انظر: شركة المنحنى للطباعة والنشر: صحيفة آخر لحظة– السودان/الخرطوم/شركة المنحنى للطباعة والنشر – 19 مارس 2007م العدد (231) ص1 ، 3.

[2] في لغة أهلنا أهل غرب السودان نجد قلباً في الحروف وتقديما وتأخيرا فأساغة يعني: أسامة. كما يطلقون على حجرة : هجرة.

[3] A. B. Theobald: Ali Dinar The Last Sultan Of Darfur (1898-1916). England. Western Printing Service .Ltd. Bristol . 1965.Pp.26-28.

وكان السلطان الشهيد علي دينار منذ صباه المبكر قد عرف بشدة المراس والعناد وكما يقول أهلنا في السودان عرف بقوة الرأس. ونتيجة لهذا التمرد والعناد الأصيل درج على القيام بعدة غارات على قبيلة التعايشة دون مشورة قيادته أو موافقتها. الأمر الذي يوحي باعتداده بذاته وعدم اعترافه الضمني بقيادة غيره له ولم يسلم من غاراته أهل دارفور أنفسهم مما اقتضى تأنيبه بالكلمات الجارحة[4]. من قبل قيادته يومئذ مما يدل على تكوين نفسي متمرد ممزوج بحماس واندفاع الشباب وطيشه. ولربما كان ذلك بداية الخلاف مع ابن عمه وركوب السلطان الشهيد علي دينار الصعب للتخلص منه. ولكن في ذات الوقت فإن هذا السلوك الدارفوري من قبل سليل السلطنة إزاء بني جلدته يمكن أن يشكل مؤشرا هاماً في تفسير أحداث دارفور الحالية بكل أبعادها وجذورها التاريخية، فالغارات من قبل قبيلة على أخرى في دارفور أو خروج عشيرة على أخرى أو تمرد جماعة على ذات القبيلة أو خروج أفراد على قبيلتهم شيء طبيعي والاعتداء وإزهاق الأرواح بغير ضرورة ملحة أمر عادي وفي غاية البساطة والسهولة. وبالتالي فان ما يدور الآن في دارفور يمكن أن يناقش وأن توجد له الحلول في إطار الأعراف والتقاليد الدارفورية الأصيلة بعيداً عن المزايدات السياسية الرخيصة والتدخل الأجنبي ذي الأجندة الخفية والمكشوفة في بعض الأحيان.

ب- السلطان الشهيد علي دينار والوصول إلي السلطة:

هناك عدة خطوات دفعت بالأحداث قدماً وسراعاً لوصول السلطان الشهيد علي دينار إلى السلطة بأقصر طريق. وبالرغم من أن السلطان الشهيد علي دينار مندرج تحت قائمة سلاطين الظل في العهد المهدوي إلا أن أمره جدير بالأفراد والتأمل والاستقصاء. لاسيما وأن هذا الكتاب في مجمله يدور حول مواقفه البطولية والوطنية وسياسته الخارجية وعلاقاته بجيرانه في دارفور وكردفان لذا فلابد من إلمامة ولو سريعة بقدر غير يسير من تاريخ حياته الحافلة بالأحداث والمرارات والمجاهدات والمكابدات من أجل كرامة هذا البلد وحرية أهله ومحاربة الأجنبي المغتصب الذي

(4) S.N.R.. J .E .H Boustead: The Youth and Last Days of Ali Dinar Vol. 22 (1939) P. 149 -150.

مثلته بريطانيا باستخباراتها وإدارتها وخبراتها لذا اختص أمره بهذا الفصل الأول. وأولى هذه الخطوات التي سلكها لتسنم العرش جاءت عبر عدة بوابات .

ج- السلطان الشهيد علي دينار و أبو الخيرات:

مما لا شك فيه أن وجود السلطان الشهيد علي دينار ومنذ هذه الفترة المبكرة من حياته في معسكر أبي الخيرات وهو أحد أبناء السلاطين قد أكسبه تجربة ومراساً وتدريباً عملياً وخبرة عالية علي ممارسة الأقدار السياسية والعسكرية والتنظيمية والتعاطي معها باقتدار وكفاءة عالية، وأهله ذلك لبناء ذاته بناء دفعه للقيادة فيما بعد. إذ لاشك أن قيادته لعدة غارات مستقلة عن قيادة أبي الخيرات وبغير رضاه شكلت حجر الزاوية في اختلافه ابتداءً مع ابن عمه. وتلقي تلكم التصرفات المتفردة والمتميزة الضوء على تفرد إرادته وبحثه الحثيث عن التفرد بالقيادة و الانجاز وعدم انصياعه للنظام الدارفوري القائم. وفي الوقت ذاته تشكل من جانب آخر تنافساً على كرسي القيادة الدارفورية. ورأي (بوستد) في ذلك دليلاً قوياً على أن السلطان علي دينار قد شارك فعلياً وبما لا يدع مجالاً للشك في إزاحة ابن عمه عن القيادة عن طريق الاغتيال السياسي وهو أمر لا يستغرب في عالم السياسية الذي لا تحكمه الأخلاقيات، والحاضر هو ابن الماضي بكل صفاته وجيناته الوراثية، وبقراءة متأنية لما يدور في عالمنا الحديث و المعاصر لا تخطيء العين في إبصار ما هو سبيه أو مثيل لذلك، حيث يقول (بوستد): (إن علي دينار قد دبر بليل خطة للقضاء عليه - أي على أبي الخيرات - حيث جمع حوله عدداً من خدمه الفرتيت وقضى على ابن عمة ودفنه في معسكره في وادي عريبو (Aribo) وسمى نفسه سلطاناً)[5]. وأيا كانت هذه الاتجاهات أو تلك الادعاءات فإن السلطان الشهيد علي دينار قد خلف فعلياً سلفه، ابن عمه أبا الخيرات في قيادة دارفور طوعاً أو كرهاً وحقق ما كان يهدف إليه في 1891م[6]. ويبدو لي أن هذا الأمر قد يقع في دائرة التخمينات ولكن في الممارسة السياسية كل

---

[5] J. E. H. Boustead .op. cit. PP. 149-150.

[6] تقارير المخابرات 1- 1920/1/31م انظر ايضا:
S.I.R. 90/ 8 . A.B. Theobald. op. cit. PP. 28-29 .

الإحتمالات غير الأخلاقية واردة وغير مستبعدة في مضمار السياسة والساسة كما أشرنا وهو أمر جلي على المستوي المحلي أو الإقليمي أو الدولي، فرأينا في عصرنا الحديث والمعاصر من انقلب على أبيه ولم يتورع وجلس مكانه، ومن قتل أبيه من أجل كراسي الحكم ولم يخش في ذلك لومة لائم، ومن قتل ابنه من أجل الحفاظ على كرسيه ولم تأخذه في ذلك رأفة أبوة ولا رحمة إنسانية فياضة ندية، ومن أزاح أخاه عن السلطة وهو في الرمق الأخير من حياته، وقديماً قد تصارع الأمين والمأمون على السلطة. ومن الواقع السوداني نجد لها سنداً قوياً فيما حدث بين دكتور الترابي وزمرته، وما حدث بين الصادق المهدي وأفراد أسرته ونقد وتيسير مدثر وشرذمتيهما سواءُ في الستينات من القرن الماضي أو في بدايات القرن الحالي. والتاريخ يشكل وعي الأمة الحاضر. ومهمة المؤرخ هو سرعة الاستدعاء وحضور البديهة والقدرة على الربط والتحليل والنقد دون ميل أو زيغ أو محاباة. لأن التاريخ كتاب مفتوح لا يحتمل المداهنة والمواربة أو التزوير أو تجبير الحقائق والمسح على الأحذية والمجاملة الزائفة إذ أن القراءة التاريخية الواعية والقادرة على ربط الأحداث تدل على وجود نماذج تاريخية تكاد تكون متشابهة ومتكررة في هذا التشرذم وهذا التجزؤ أو التفتت، وقد مارست وتمارس هذا النوع القذر من السلوك اللا إنساني واللا أخلاقي سواء على مستوى السودان أو القارة الأفريقية أو العالم العربي والإسلامي مجموعات وأحزاب وتجمعات نوعية وغثنية وعرقية وفكرية وطائفية سواء أكانت إسلامية أو علمانية أو جهوية شرقية أو غربية. وهو في تقدير الكاتب يدل علي سوء التقدير وعدم وضوح الرؤية وذاتية وأنانية القيادة التي لا تعترف بكينونة الآخر وإن كان يقف معها في خندق واحد.

د- المهدية والسلطان الشهيد علي دينار:

في هذه الفترة التي تولى فيها السلطان الشهيد علي دينار القيادة الدارفوراوية فقدت المهدية أحد قادتها الكبار الأشاوس الذين لا يشق لهم غبار في منطقة دارفور. ووفقا لذلك بدأت أسهم المهدية في الانحسار والنزول بعد هلاك (عثمان آدم جانو). وآذنت شمسها بالغروب ونجمها بالأفول فعين الخليفة على الغرب خلفاً له محمود ود أحمد

ابن عم الخليفة. فوصل الأخير إلي الفاشر في 27 يناير 1891م. وتولى القيادة الغربية مكان عثمان آدم الذي راح ضحية مرض فتك به ولم يمهله طــويلاً. وكـــان مركـــز محمود قبلاً في كردفان، لذا لم يطب له المقام في دارفور ولم يستقر بالفاشر عاصمة دارفور وإنما ولى قائداً نيابة عنه على الفاشر وهو عبد القادر دليل. في هــذا الأثنـــاء حاول محمود ود أحمد استمالة واستدعاء السلطان الشهيد علي دينار الذي احتمى فـــي تلك الأثناء بأتباعه في جبل مرة طالباً منه القدوم إلى الفاشر لأداء فـــروض الطاعـــة لقائد عبد القادر دليل في دارفور. إلا أن السلطان الشهيد علي دينـــار بـــذكاء ودهـــاء شديدين أخذ ينتحل الأعذار الواحد تلو الآخر. فتارة كان يعتذر ببعد المـــشقة وأخـــرى بترك أتباعه له إشارة إلى أنه ما عاد يشكل خطراً على النظام السياسي القائم في البلاد وبالتالي لا يستحق كل هذا الاهتمام من قبل السلطة المهدوية. هـــذا بـــالرغم مـــن أن السلطان الشهيد علي دينار حينذاك كان قد لقب نفسه بعبد ربه أمير المؤمنين الـــسلطان علي دينار بن المرحوم السلطان زكريا. ودرج على المراسلة الرسمية مـــع الجهـــات الأخرى بهذا اللقب(7). من خلال هذه الحيثيات المتقدمة يلاحظ المرء دهـــاء الـــسلطان الشهيد علي دينار ومدى قدرته على التحايل على القائد المهدوي، وان تصرفه ذاك كان من باب التقية لأنه كان يخشى أن يتم الفتك به قبل تحقيق أمنية دارفور وأهلهـــا فـــي استرداد سلطانهم الضائع. لذا احتاط بقوله أن أتباعه قد تفرقوا عنه. ولكنه في الوقـــت ذاته ترك الباب مفتوحا لكل الاحتمالات والتفسيرات والخيال السياسي.

ولكن مما تجدر الإشارة إليه ولظروف لا تزال غامضة لم يكشف عنها النقاب من خلال الوثائق وما هو متاح من معلومات بعد فقد تخلى عنه أتباعه حقيقة(*). وما أن

---

(7) تقارير المخابرات1- 1920/1/31م انظر ايضا
S.I.R. 90/ 8: See also A.B. Theobald. OP . Cit . PP.28-29 .

(*) وفي تقدير الكاتب يبدو أن السياسة المهدوية المرنة قد نجحت إلى حد كبير في سحب البساط من تحت رجليه ولو مؤقتا كما نجحت في استقطاب أتباعه. ولا يخفى على ذي بصيرة ووعي سياسي أن المعاملة الحسنة من قبل الخصم دائماً تكون لها أثار سلبية علي المقاومة التي صمدت فترة والتي قد يستولى على افرادها اليأس والاحباط لطول الانتظار وعدم تحقيق نتائج ايجابية طويلة. بمعني آخر أن الحوار الهادئ نتائجه هي اقوي من استخدام القوة. وفي الواقع توجد أدلة كثيرة علي ذلك لقد استطاع معاوية ابن أبي سفيان أن يكسب الجولة لصالحه عن طريق إتفاق عام الجماعة. ونجح نظام مايو أن يكسر شوكة المعارضة ويشتت شملها عن طريق المفاوضات وما أسماه هو ومفاوضه يومئذ الصادق المهدي بالمصالحة الوطنية ونجحت الإنقاذ في تشتيت شمل خصومها عن طريق التفاوض لاسيما مع سيلان لعاب الكثيرين للسلطة وأمام المناصب والمكاسب الآنية.

شعر السلطان الشهيد علي دينار بالوحدة القاتلة وانصراف أتباعه عنه حتى بدأ ينمق عباراته ويحسن ألفاظه في مخاطبة محمود ود أحمد تقية ومداراة له ريثما يتمكن من استعادة أنفاسه واسترجاع نفوذه على أتباعه وبعث روحهم المعنوية من جديد. الأمر الذي يدل على أنه قد نهج سياسة جديدة وسلك طريقاً وعراً، ربما أراد أن يستفيد من تجربة ابن عمه يوسف بن السلطان إبراهيم قرض في مهادنة المهدية بغية انتزاع السلطة من أنياب الثورة المهدوية مرة أخرى. ومحاولة هدم النظام من الداخل لما لم تجد المقاومة والمواجهة الخارجية فأعلن السلطان الشهيد علي دينار ظاهرياً ولاءه للمهدية وفقاً لما ورد في كلماته الآتية: (قلوبنا مليئة بحبكم هدفنا الإتصال بكم والتعاون معكم لرفع كلمة الدين، واتباع طريق المهدية .. إلا أن الذهاب والانتظار بيد الله)[8]. ويؤكد في هذه الرسالة على أن خطابات محمود ود أحمد قد زادته رغبة في زيارته ورؤيته وتقبيل أياديه[9]. إن هذه الإشارات تدل على أنه كان قارئاً جيداً لمعطيات الواقع لاسيما بعد أن تخلى عنه بعض أتباعه، وأضحى في موقف لا يحسد عليه. ولربما كان للحركة المهدوية دور في هذه التعرية السياسية، ومن ناحية أخرى لربما انتهج أهل دارفور سياسة جديدة مؤداها هدم البناء من الداخل كما قدمت ،أو كان ذلك حقيقة واقعة فقبل أن يصاب السلطان الشهيد علي دينار بتصحر سياسي فتاك وتموت آماله وتقبر أحلامه في استعادة أمجاد آبائه، لجأ إلى المصالحة التكتيكية مع النظام المهدوي القائم باعتباره واقعاً لافكاك منه ولا مناص من التعامل والتعاطي معه بقدر من الذكاء والدهاء. وهي قراءة سياسية ذكية قادرة على التلون والتكيف مع الوقع دون إخلال بالأهداف النهائية والاستراتيجيات طويلة المدى. وهي في تقدير الكاتب لا تعدو عن كونها مصالحة مرحلية شأن كثير من المصالحات التي نراها الآن على الساحة السياسية السودانية.

وتحت ضغط الإلحاح والطلب والظروف التي أحاطت به استجاب السلطان الشهيد علي دينار ودخل تحت عباءة الدولة المهدوية طوعاً واختياراً وتكتيكاً مرحلياً متظاهراً

[8] تقارير المخابرات 1- 1902/1/31م S. I. R. 90/8 .
[9] المرجع نفسه.

بالتسليم المطلق للسلطة المهدوية عام (1893م). وركب بهذه الصورة الصعب بكل مخاطره ومكنونه متجهاً صوب الفاشر. وعند وصوله لها استقبله عبد القادر دليل استقبالاً حافلاً يليق بسليل للسلاطين وقام القائد المهدوي بهذا الإجراء بغية كسب الجماهير الدارفورية. ومن جانبه أكد السلطان الشهيد علي دينار في خطاب بعث به إلى القائد المهدوي محمود ود أحمد أنه: (وفقاً للتعليمات الصادرة من قبل مولانا وسيدنا خليفة المهدي عليه السلام ولكم فلقد أصبحت أحد أفرادكم وتحت حمايتكم والآن تحت أوامر عبد القادر... وأسأل الله أن يرينا وجهكم بأسرع ما يمكن)[10].

يلاحظ المرء بوضوح وجلاء أن الصيغة الخطابية للسلطان الشهيد علي دينار قد تغيرت لاسيما التي كان يعنون بها مراسلاته إلى الآخرين فمن أمير المؤمنين السلطان علي دينار إلى عبد الله علي بن زكريا[11]. ويرى الكاتب أن هذا الأسلوب الدارفوري الناعم الجديد اقتضته الظروف المرحلية الآنية. وحاولت القيادة الدارفورية أن تستمد مواقفها الآنية من تجارب سابقة كما حدث للسلطان يوسف بن إبراهيم قرض في مهادنته للحركة المهدوية وإستطاعته التمرد عليها من الداخل حين تمكن واشتد ساعده وأضحى بين أبناء شعبه ووسط أهله .

ومن جانب آخر وبناء على ما أبداه السلطان الشهيد علي دينار من حسن النوايا قام عبد القادر دليل القائد المهدوي بالفاشر بتزكية سلوك السلطان الشهيد علي دينار لقائده محمود وطلب منه له الأمان. وفي المقابل وزيادة في التعمية كتب السلطان الشهيد علي دينار إلى ابن عمه إسحاق يطلب منه القدوم إلى الفاشر والخضوع للنظام القائم، وشرح له حسن الاستقبال الذي لقيه من قبل القيادة المهدوية في الفاشر. ولكن من خلال الإطلاع على هذا الخطاب وقراءة ما وراء السطور فيه وبقليل من التأمل يلمح المرء لفتة ذكية بارعة من السلطان الشهيد علي دينار تؤكد على أنه كان يعي طبيعة أهل دارفور ومدى استعدادهم الدائم للالتفاف حول أي من أبناء السلاطين إذا تنازل علي دينار طواعية عن هذا الدور القيادي وانخرط في سلك النظام المهدوي

---

(10) المصدر السابق.
(11) المصدر السابق.

المرفوض من قبلهم جملةً وتفصيلاً. لذا لا غرابة إن أراد بذكاء ودهاء أن يحتفظ بحقه في القيادة والتوجيه والعرش وهو تحت مظلة النظام المهدوي. وعقد العزم على أن لا يدع مجالاً لأي منافس آخر خارج دائرة نفوذه يمكن أن يتحكم في دارفور من وراء ظهره. وفي دعوة ابن عمه يكمن مغزى آخر يرمز إلى تغيير اتجاه السياسة الدارفورية تجاه الحركة المهدوية التي استعصت وشكلت قوة ذات وزن في المنطقة. فلابد أذن من مهادنتها مرحلياً ومحاولة الإعداد والتنظيم داخل أراضيها. والاستفادة من مظلتها للاتصال بالأطراف الدارفورية الموجودة داخل تركيبة الدولة المهدوية. لا يختلف اثنان في أن هذا أسلوب سياسي ذكي لا زالت وستظل القوى السياسية الحديثة والمعاصرة القارئة الجيدة لمعطيات الواقع في ظل مواجهة سلطة شمولية قوية رادعة، تتعاطى هذا القدر من الجرعات السياسية في التعامل مع السلطة القائمة بغية هدمها من الداخل.

وقد لجأت إلى هذا الأسلوب الجبهة الوطنية السودانية والتي كانت تضم الوطني الاتحادي الديمقراطي وحزب الأمة وجبهة الميثاق الإسلامي (الحركة الاسلامية) في سبعينيات القرن الماضي بقيادة الصادق المهدي وعلقت مرحلياً خلافاتها مع المشير جعفر نميري يومئذ، وتمكنت بعقدها للمصالحة التي أسموها زوراً مصالحة وطنية وهي لا تعدو عن كونها مصالحة بين متصارعين على جيفة السلطة. لقد تمكن القادمون الجدد بالرغم من معارضة عناصر مايو من التغلغل في مفاصل النظام المايوي وتم هدم البيت المايوي من الداخل. وكذلك سلكت هذا السلوك بعض الأحزاب الجنوبية والشمالية والدارفورية مع حكومة الإنقاذ. ولعل الاتفاقات الأخيرة من مشاكوس إلى ابوجا إلى القاهرة الخ .... تصب في هذا الاتجاه وبالتالي فإن كثيراً من المشاريع الكبيرة والتي فشلت سواء في ظل مايو أو في ظل الإنقاذ تصب في هذا الاتجاه الذي يرمي إلى (تنفيس) المشاريع الحيوية والهامة من الداخل وتصوير النظام القائم بأنه متردد وغير قادر على الاستمرارية، وهي محاولة من باب تهديد الحصون من الداخل. ومحاولة لإدخال النظام السياسي القائم في عنق زجاجة مالياً وأمنياً واقتصادياً ومن ثم تحريض الشعب وقلب الطاولة عليه بوسائله وإمكاناته.

بعد هذه المجاملات الظاهرية التي اقتضتها الظروف الواقعية المحيطة بالسلطان الشهيد علي دينار تم اقتياده إلى القائد المهدوي محمود ود أحمد في مقر إقامته في الأبيض. ولم يصدق الخليفة أذنيه حين سماعه لخبر استسلام علي دينار وقدومه طوعاً واختياراً وانضمامه إلى صفوف الدولة المهدوية لذا كتب الخليفة إلى السلطان الشهيد علي دينار بعدئذ يستدعيه ويستعجله في القدوم إلى أم درمان ليكون تحت عينيه لمعرفته التامة بطبيعة أهل دارفور. بيد أن السلطان الشهيد علي دينار قد تردد كثيراً في تلبية هذه الدعوة ولما لم يجد بداً لبي النداء مكرهاً أخاك ولا بطل. وليطمئنه الخليفة ويشعره بقدر من الثقة جعله ضمن حرسه الخاص وهذه سياسة بعيدة النظر والهدف درج الخليفة على إتباعها إزاء الذين يشك في ولائهم، وتم إلحاقه بفرقة إبراهيم الخليل أخ محمود ود احمد وهو إبن عم الخليفة. وفي هذه الفترة وهو في اعتقال شبه تحفظي نشأت بينه وبين سلاطين باشا النمساوي(*) الذي كان يحكم دارفور من قبل الدولة المصرية صداقة حميمة. مما كان له أكبر الأثر في علاقته بالحكم الثنائي البريطاني في البلاد فيما بعد[12]. إن هذه الإشارة التاريخية لها دلالتها الموضوعية إذ تؤكد على أن علي دينار لم يؤمن يوماً ما بالمهدية، ولكنه كان مجبراً على التظاهر بما تظاهر به، تقية وتحيناً لفرصة استعادة مجد أجداده. ومن جانب آخر فإن الخليفة بعينه الثاقبة كان يدرك ذلك. ومن هنا نلاحظ أنه احتفظ به في أم درمان في اعتقال شبه تحفظي مقيداً حركته وهذه سياسة اتبعها الخليفة إزاء كل المشكوك في ولائهم من أمثال سلاطين باشا النمساوي وأوهر والدر وغيرهما كما سبقت الإشارة إليه. ورغماً عن هذه المهادنة الظاهرة والخضوع الأسمى من قبل السلطان الشهيد علي دينار للدولة المهدوية إلا أنه لم يغب عن ذهنه لحظة واحدة قضية حكم بلاده واسترداد مجده وحضارة سلطنة أجداده الغابرة، إذ من يكون الخليفة أو حتى المهدي في نظره؟ في مقابل إرث سلطنة دارفور وقادتها العظام.

(*) صاحب كتاب السيف والنار والمفتش العام في فترة الحكم الثنائي البريطاني.

(12) D.S.A. box 110/6 H.A.Macmicheal. OP. cit. PP. 22 See also : G.D. Lampen OP. cit. PP. 196.

تقارير المخابرات 1- 1902/1/31م S.I.R. 90/8 .

هـ - السلطان الشهيد علي دينار تحت عين الخليفة:

سبقت الإشارة إلى أن السلطان الشهيد علي دينار بعد تردد وتلكؤ ظاهر لا تخطئه العين قدم أم درمان في فترة مبكرة وهو في دخيلة نفسه مكره ولكن رب ضارة نافعة. وان كان هناك من الدلائل الوثائقية ما يشير إلى أنه ظل مع محمود ود أحمد أمير أمراء عموم الغرب في الأبيض حتى استدعائه لمواجهة الحملة المصرية الانكليزية عام1896م. حيث يذكر أن السلطان الشهيد علي دينار قد شهد مع محمود ود أحمد معركة عطبرة. بيد أن ذلك لا يتفق تماماً وما تقدم من أن السلطان الشهيد علي دينار بقي تحت عين الخليفة في أم درمان إلىَ لحظة ما قبيل معركة كرري بأم درمان بساعات معدودات. ثم غادرها أثناء انشغال الخليفة وقياداته بهذا الخطب الجلل مع مجموعة من أتباعه من أهل دارفور.

ولا خلاف بين الباحثين بأن السلطان الشهيد علي دينار قد ألحقه الخليفة بفرقة إبراهيم الخليل[13]. مما تقدم يتضح أن الثورة المهدوية لم تقتنع هذه المرة باستسلام قيادة دارفور وبقائها في منطقة الغرب حتى لا تتكرر تجربة يوسف إبراهيم التي تعتبر تجربة مريرة بالنسبة للدولة المهدوية في تاريخها القريب لذا لم تسمح الدولة المهدوية بتكرارها. ومن هذه الحيثية كان إصرار الخليفة غير المتهاود على استقدام السلطان الشهيد علي دينار إلى أم درمان وبقية أبناء السلاطين معه له ما يبرره من وجهة النظر السياسية القارئة الذكية للأحداث والمستفيدة من عبر التاريخ المعاصرة. وتلكأ السلطان الشهيد علي دينار أوّلاً حتى لأ يفقد قاعدته ولما لم يكن بد من تلبية الطلب لئلا يشكك في ولائه جاء إلى أم درمان ولكن بنية الكمون المرحلي والإعداد طويل النفس والتنظيم الدقيق. وكان الخليفة عبد الله من جانبه له أجندته الخاصة ورؤاه الموضوعية في هذا الجانب إذ يرى أن وجود السلطان الشهيد علي دينار تحت عينيه يساعده على عدم تكرار تجربة (السلطان يوسف قرض) وتكرار محاولة الانفصال بدارفور مرة ثانية تحت أي ظرف أو تحت أي مسمي. بيد أن السلطان الشهيد علي دينار خلال تواجده

---

[13] Ibid .

بأم درمان عمل على تجميع رجالاته حوله وتمكن من تكوين تنظيم دارفوري سري وقوي أثبتت الأيام أن السلطان كان ابعد نظراً وأقوى شكيمة من نظرائه[14].

وبالرغم من عدم وجود وثائق يمكن أن تكشف النقاب عن فترة أم درمان بالنسبة للسلطان الشهيد علي دينار ومراحل وكيفية تكوين هذا التنظيم السري الدارفوري إلا أن القرائن وما تلى من أحداث تفسر وتؤيد ما سبقت الإشارة إليه. فإذا تقرر بما لا يدع مجالاً للشك أن السلطان الشهيد علي دينار لم يشترك في معركة أم درمان الكبرى والفاصلة بكرري 1898م، وأن ذهابه إلى غرب السودان تلقاء الفاشر عاصمة أجداده لم يكن فيه بمفرده وإنما تبعه رجالاته الذين قام بتنظيمهم والإشراف عليهم أثناء تواجده بأم درمان ولحقت به فرقة أخرى من أتباعه، كل ذلك يدل في تقدير الكاتب على وجود تخطيط مسبق، وتنظيم دقيق، ووجود قيادة مقتدرة، جريئة وشجاعة وتوقيت مناسب وكلها تصب في خانة قدرات وكفاءة السلطان الشهيد علي دينار التنظيمية والقيادية ومدى قدراته على التعاطي مع الواقع بايجابية وتقية. ولعل عبارة نعوم شقير ووصفه له في العبارة التالية يدلان على أن السلطان الشهيد علي دينار كان في أم درمان على اتصال وثيق ودائم بكبار رجالات البلاط الدارفوري والذين قد تبوأوا مكانة مرموقة في ظل الثورة المهدوية حيث يقول: (أما علي دينار فقد مر أنه فر من واقعة أم درمان بنفر من أهله وأخصائه وفيهم الأمير قمر الدين البرناوي من أمراء الأرباع والفقيه أمين الفلاتي وهو من رجال السلطان إبراهيم قرض الذين اشتهروا بالصلاح والتقوى وسداد الرأي. وقد كان عند الخليفة أميناً للجبخانة فسار بهم السلطان الشهيد علي دينار إلى الترعة الخضراء وكان فيها أبل الخليفة فأخذها وتقدم إلى كحمر فأقام فيها ثمانية أيام إلي أن تكامل الفارون من أهل دارفور من عرب وسود، وسار بهم إلى الفاشر)[15]. يلاحظ المرء أن دارفور طوال تاريخها الماضي كانت تحكمها قومية واحدة لا تعرف التفرقة العنصرية والإثنية البغيضة إليها سبيلاً، فالذين ساروا تحت راية علي دينار هم عرب وزنوج وفلاته. ويمثلون شتى أنواع الطيف العرقي والإثني

[14] تاريخ السودان: نعوم شقير: تحقيق واختصار محمد ابراهيم ابو سليم / لبنان / بيروت / دار الجيل 1981م. ص 845-846.

[15] المصدر السابق. ص 964-965.

في دارفور، وهذا شأن دارفور عبر التاريخ حتى الذين يقومون بالنهب المسلح في دارفور كانوا وظلوا إلى يومنا هذا هم من شتى ألوان الطيف الإثني والعرقي

هذه الإشارات في مجملها تؤكد على أن السلطان الشهيد علي دينار كان على صلة دائمة ووثيقة برجالات دارفور الموجودين في أم درمان من كل ألوان الطيف السياسي والجهوي العرقي دون تفرقة عنصرية. وأنه لم يتنازل عن مركزه القيادي في التوجيه والتنظيم والتخطيط، كما أن عملية الإعداد التي كان يقوم بها خلال تواجده في أم درمان آتت ثمارها اليانعة وقطوفها الدانية بأن تجمع حوله فور انفصاله عن الدولة المهدوية كبار رجالات دارفور الذين تبوأوا مناصب قيادية خطيرة ومتقدمة في الدولة المهدوية. واستطاع بمهارة متناهية أن يجمع صفوفهم بعيداً عن عين الخليفة ورقابته الحازمة وان يفر بهم عشية الحملة الانكليزية المصرية على أم درمان 1898م. ولا يخفى أن انتظاره في مكان معين لجمع صفوف الفارين من أهالي دارفور يدل على التخطيط المسبق وتحديد نقاط التجمع بعناية فائقة. ولعل الدولة المهدوية بالرغم من حذر الخليفة الزائد لم تكن تملك جهاز استخبارات على قدر من اليقظة والفاعلية والكفاءة العالية ولعل انشغالها بمخاطر الجبهة الخارجية شل قدراتها وأضعف من كفاءتها الأمنية الداخلية وأتاح الفرصة للسلطان الشهيد علي دينار ورجالات دارفور أن ينظموا صفوفهم وأن يحددوا ساعة الصفر بعناية وبدقة، كما يؤكد ذلك على أن الدولة المهدوية كانت مخترقة من مفرق رأسها إلى أخمص قدميها وإن لا فإن الذي قام به السلطان الشهيد علي دينار من جانب آخر يدل على قدرته الفائقة على الإستقطاب والجاذبية القيادية. أما تمكنه من المحافظة على سرية الإعداد والتنظيم واهتبال الوقت المناسب وتحديد ساعة الصفر بكفاءة واقتدار فهذا مؤهل قيادي نادر توفره. وفي ذات الوقت يدل ذلك الحدث على مدى غفلة الدولة المهدوية حتى في عقر دارها في العاصمة. ولعل كتاب (أوهر والدر) وهروبه من أم درمان سنة 1891مما يمكن أن يفسر به ما يجري في الأطراف. وما كتبه هذا الألماني الكذاب والأفاك في ذات الوقت عن الدولة المهدوية ونشره له في أوروبا بعدة لغات يؤكد على أنها كانت دولة يمكن اختراقها بواسطة أي استخبارات خارجية بسهولة وبيسر، ولعل هذا في حد ذاته يفسر

مهزلة هروب كل من (أوهر والدر) (وسلاطين باشا). ويشير إلى تورط عناصر داخلية تدعي الوطنية في ارتكاب هذه الحماقة التاريخية وفي التعامل مع هذه الجهات الخارجية. مما يضعها في خانة العمالة وارتكاب جريمة الخيانة العظمي مهما كانت المبررات والمسوغات ولعل هذا يطال كثيراً من الحركات والقيادات السياسية الحديثة والمعاصرة بمختلف ألوان طيفها وواجهاتها ومسمياتها بغية تمكين أفراد تنظيمها بغض النظر عن مصالح الأمة أو الشعب.

و- السلطان علي دينار والهيمنة التامة على دارفور:

بناء على ما سبق سرده يمكن القول بأن السلطان الشهيد علي دينار أثناء وجوده في أم درمان تحت سمع وبصر الخليفة لم يكن على وفاق تام معـــه أو مـــع الـــدعوة المهدوية منذ بزوغ فجرها في أول يوم وحتى آخر لحظة من أفول نجمها. وبالتالي فإن إذعانه للمهدية كما أشرنا سابقاً لم يكن إلا توجهاً مرحلياً، ومهادنة تكتيكية مؤقتة، بغية تجميع وإعداد رجالات دارفور الموجودين في مفاصل الدولة المهدوية ومحاولة انتهاز أية فرصة مناسبة للانقضاض والاستيلاء على دارفور، وإقامة نظام ومراسم الـــسلطنة من جديد. علً ذلك تبينه لنا مغادرته لأم درمان في وقت كانت فيـــه الثـــورة المهديـــة بحاجة إلى ذرة أي جهد وطني وقوة أي رجل في قلبه ذرة إيمان بمبادئ المهدية. في هذا اللحظات الحرجة من تاريخ السودان ومن تاريخ الحركة المهدوية (فـــر الـــسلطان علي دينار بأنصاره إلى دارفور) [16]. الأمر الذي يؤكد على وجود التنظـــيم المحكـــم والترتيب الدقيق والتخطيط والإعداد المسبق. إذن كان السلطان الشهيد علي دينار يقـــيم في أم درمان بجسده، وروحه وقلبه معلقان في الفاشر ودارفور عموماً. وأن الكفاءات المقتدرة التي جمعها حوله تدل على نظرته البعيدة. وكما تقدم فقد اتجه عشية الحملـــة الانكليزية المصرية صوب الفاشر من نقاط اللقاء المختارة بدقة وبعناية. وكان محمود ود أحمد لحظتئذ قد ترك في الفاشر حامية مؤلفة من ثلاثمائة رجـــل بقيـــادة أمبـــدي الرضي التعايشي، وتوجه صوب أم درمان، وترك حامية أخرى في كبكابيـــة مـــسلحة بـــ (50) بندقية بقيادة الفكي سنين التاماوي.

---

[16] المصدر السابق، ص 823.

وفي 1897م هرب رجل من سلاطين دارفور يدعي إبراهيم علـــي مـــن جـــيش محمود ود أحمد ولجأ إلى السردار قائد الحملة الانكليزية المـــصرية علـــى الـــسودان. الأمر الذي يلقي الضوء وبكثافة شديدة على ما يجري في دارفور الآن من أحداث من غير رتوش أو لف أو دوران أو تجبير لحقائق التاريخ والالتفـــاف حولهـــا. وأذن لـــه السردار بالذهاب إلى دارفور وجمع أهلها على طاعة الحكومة باعتباره عميلاً متبرعاً بعمالته لصالح الحكومة الإنكليزية حقيقة المصرية إسماً. ولكنه لحسن حـــظ الـــسلطان الشهيد علي دينار قد تأخر العميل في الطريق وقبل وصوله أم شـــنقة كانـــت واقعـــة أم درمان 1898م. وفي هذا الأثناء كان السلطان علي دينار قد أتى الفاشر وطرد منها القائد المهدوي أمبدي الرضي إلى غير رجعة، ولما لم يكن بد من التقهقـــر وشـــعور أمبدي الرضي بإيذان شمس المهدية للغروب وبمنطق حساب الربح والخسارة بعيداً عن التمسك بالمبادئ وأخلاقياتها أنضم الأخير إلى إبراهيم علي في أم شنقة، وفـــضل أن يكون عميلاً للنظام الجديد بدلاً من أن ينضم إلى السلطان علـــي دينـــار أو أن يلحـــق بالخليفة. وقدر بأن انضمامه إلى الحملة ونظام الحكم البريطاني الجديد قد يمنحه مكانة وفرصة جديدة في الحياة. الأمر الذي يؤكد على ضعف الولاء للمهدية، لأنه لا زالـــت الدولة المهدية تلفظ أنفاسها الأخيرة ولم تمت بعد لأن الخليفة وهو القائد العام لا يـــزال على قيد الحياة ومعه ثلة من رفاقه. وعلى صعيد آخر رأي السلطان الشهيد علي دينار أن دخول إبراهيم عليه في الفاشر وهو سليل العائلة المالكة من غيـــر منـــازع يعتبـــر تعدياً[17] صريحاً من قبل هذا الدعي وهو تجاوز للخط الأحمر. وأيضا كان هناك دعي دارفوري آخر يدعى حسين أبوكوده الدارفوري. بيد أنه بوصول السلطان الشهيد علي دينار سلم إليه الأخير زمام الأمر فعينه الأول مكافأة له على هذا التنازل أميـــرا علـــى الكرنك[18]. أما إبراهيم علي فلم يجد بداً من التقهقر بعد أن جرد عليه السلطان علـــي دينار جيشاً هزمه ورده على أعقابه. فبعث إبراهيم علي إلى السردار يطلب منه المـــدد لمنازلة السلطان الشهيد علي دينار ومحاولة طرده من دارفور. بيد أن السردار وقائـــد

---

(17) المصدر السابق، ص 964-965. أنظر أيضاً:
H.A. Macmicheal: (Notes) OP. cit. PP. 27 .

(18) المصدر نفسه.

الجيش الانكليزي كتب إليهما يوفق بينهما حتى يتسنى للجيش الثنائي البريطاني التفرغ لاحتلال دارفور. ورأي إبراهيم علي أن لا مناص من التقهقر والتسليم بالأمر الواقـــع، فكر راجعاً إلى أم درمان[19]، يبدو أن المعلومات التي وفرها سلاطين باشا النمـــساوي – صديق السلطان الشهيد علي دينار القديم – عن السلطان علي دينار للجيش الغـــازي وقيادته لم تكن مطمئنة ولم تدفع بالجيش الغازي وقيادته إلى إختيار السلطان علي دينار ليكون عميلاً آخر بديلاً عن إبراهيم علي. بيد أنه من ناحية أخرى فإن سكوت الجـــيش الغازي ومحاولته التوفيق بينهما هو من باب التسكين المؤقت ريثما تنجح الحملة فـــي مسعاها بالإستيلاء على كل السودان وتوطيد أقدامها ومن ثـــم تلتفـــت إلـــى دارفـــور وتستولي عليها بالقوة.وبقراءة لما وراء السطور في الفقرة السابقة يلحظ القارئ طبيعة الشخصية الدارفورية المتمردة دوماً والمتطلعة إلى التفلـــت والخـــروج علـــى القيـــادة والسلطة المركزية واعتدادها بنفسها وتصارعها فيما بينها. ولعل ذلـــك يفـــسر كثـــرة التحركات السياسية القائمة الآن بدارفور بـــدون مبـــرر منطقـــي أو وجـــود فـــوارق أطروحات ذات جذور موضوعية ومنطقية بقدر ما أنها محوريـــة الـــذات شخـــصانية التوجه فردية القرار استعلائية القيادة لا تحكمها معايير أو استراتيجيات بقدر ما هـــي استجابة بوعي أو بدون وعي لأجندة أجنبية بمقابل أو بدون مقابل.

ز – السلطان الشهيد علي دينار والاحتلال:

سبق وأن رأينا أن اختيار الجيش الغازي قد وقع ابتداء علي إبراهيم علي ليقـــوم بدور كرزاي أفغانستان أو علاوي العراقي بإخضاع دارفور تحت راية الجيش المحتل مما يعني أن السلطان الشهيد علي دينار لم يكن يومئذ خياراً مفضلاً للإنكليز. بيـــد أن السلطان الشهيد علي دينار القائد الجسور والسياسي المحنك الذي أفنى ردحاً من عمره قائداً وهو من أبناء السلاطين وقد آلت خلافة قيادة دارفور إليه بدون منـــازع خـــلال الفترة الماضية لا يمكن أن يغفل دوره في مثل هذه الظروف الحرجـــة مـــن تـــاريخ دارفور على وجه الخصوص وتاريخ السودان على وجه العموم. ولذا كان لا يـــسمح

[19] المصدر نفسه.

لأحد كائناً من كان أن يتجرأ على انتزاع القيادة منه ولو بالخطأ أو حتى منافسته تحت أي مسمى من المسميات. لذا سارع ودونما توجيه من أحد عشية غزو القوات الانكليزية للسودان ووصولهم إلى المعركة الفاصلة في كرري سارع إلى الفاشر رأساً لاستعادة سلطنة آبائه. وكان في ذات الوقت مستعداً لأية مقاومة وهذا يفسره موقفه تجاه رجلين من أبناء السلاطين أولها أبو كوده وثانيهما إبراهيم علي. فقد أخذ من الأول زمام المبادرة وسحب البساط من تحت الآخر بأن جرد عليه جيشاً لهزيمته.

ولم يكن السلطان الشهيد علي دينار يومئذ في موقف يؤهله لمقاومة الجيش الغازي. ولكن الملفت للنظر والخطير فعلاً في الأمر أنه قد ناصب مبعوث السردار الانكليزي العداء منذ الوهلة الأولى دون هوادة، لأنه قد تجاوز الخطوط الحمراء لديه، الأمر الذي قد يجر عواقب وخيمة عليه وعلى بلاده ولكنه بالرغم من ذلك لم يبال بالعواقب أياً كانت درجتها، وأياً كان مصدرها. بيد أن الجيش الغازي على الصعيد الآخر لم يكن يومها في وضع يؤهله لمواصلة غزو بقية بقاع السودان الشاسعة ودار فور الواسعة على وجه التحديد. وكانت قوات الاحتلال ترمي حين غزوها للسودان إلى إيجاد شخصية دارفورية كارزمية عميلة سهلة القياد خلاف كارزمية وشخصية السلطان الشهيد علي دينار المعروف بتمرسه وعناده تستطيع القضاء على نفوذ المهدية في دارفور وتحكم البلاد وتخضعها للحكم الثنائي البريطاني دونما خسائر، وتكون على استعداد لتسليم مفاتيح دارفور طوعاً واختياراً لمندوب الحاكم الانجليزي دون نقاش. لذا نلاحظ أن خطاب السردار إلى كل من إبراهيم والسلطان الشهيد علي دينار كان يعني قدراً من المرونة والمكر والدهاء السياسي. ويوحي بأن هناك خيطاً ممدوداً يمكن التعامل من خلاله مع أي منهما متى سنحت الفرصة.

لقد اهتبل السلطان علي دينار هذه الفرصة السانحة بذكاء وبعث بخطاب إلى السردار يعلن له فيه طاعته. ويبدي رغبة أكيدة في أنه سيحكم دارفور مقابل ضريبة اسمية يدفعها لحكومة السودان[20]، وللمرة الثانية يكرر السلطان الشهيد علي دينار ذات اللعبة السياسية الذكية التي لعبها من قبل مع المهدية، وهي عملية شراء الزمن الذي قد

[20] نعوم شقير مصدر سبق ذكره ص، 965. انظر ايضاً:
H.A. Macmichcal. (Notes).op. cit. P.27.

يكون في صالحه إذا ما رسخت أقدامه في دارفور ومن ثم يقلب ظهـــر المجـــن لهـــا، ولكنه هذه المرة يكررها على مسرح آخر، مع قيادة جيش الإحتلال الجديد الانجليزي بخبراته واستخباراته مما يدل على قراءته الجيدة لمعطيـــات الواقـــع ووضـــوح رؤاه المستقبلية. فبذات القدر الذي ظلت تلعب فيه السلطة المحتلة معه دوراً مرحلياً كان هو من جانبه يقوم بمغازلتها بذات المستوى من الذكاء والدهاء وكان كل منهما يتعامل مع الآخر من زاويته التي تقاطعت فيها مصالحه مع الآخر. وهو دور أشبه ما يكون بدور القط والفأر، الكل يتربص بالآخر ويرى أن الأيام كفيلة بحسم الأمر لـــصالحه. وممـــا يجدر ذكره والتأمل فيه أنه بمجرد وصول السلطان الشهيد علي دينار إلي دارفور عمل ختماً نقش فيه: السلطان علي دينار بن السلطان زكريا بن السلطان محمد الفضل بـــن السلطان عبد الرحمن الرشيد بن السلطان بكر 1316هـ[21]. فيمـــا يتـــصل بالنقطـــة الأولى ومراسلته ومبادرته للسردار بـــإعلان الطاعـــة أمـــر لـــه مدلولـــه المنطقـــي والموضوعي في ذات الوقت إذ كان ينشد بذلك نزع اعتراف مبدئي بـــسلطانه علـــى سلطنة آبائه وأمجاده من قبل المحتل. هذا بالرغم من عدم قناعته بلزوم ذلـــك، حيـــث أعلن نفسه سلطاناً على دارفور من أول يوم وصل فيه إلى ديار آبائه وأجداده وعمـــل الخاتم الرسمي مما يدل على تصميمه المسبق على استعادة مجده وإحياء سلطنة الآباء. ولكن المصلحة العاجلة، والدهاء السياسي يقتضي منه ذلك الـــسلوك المرحلـــي. أمـــا محاولة إثبات شرعية سلطانه ليست بحاجة إلى إقرار الحكومـــة الثنائيـــة البريطانيـــة الغازية المحتلة، ولكنه كان يدرك مدى الخطر الذي يمكن أن يحدق ببلاده فـــي حالـــة مناصبته العداء لهذا النظام السياسي القاهر الجديد في البلاد منذ الوهلة الأولـــى. فقـــد رأي بأم عينيه ما حاق بالثورة المهدية من تقتيل وتشريد وخراب ديـــار. لـــذا حـــاول انتزاع الاعتراف من الحكومة الثنائية البريطانية. وضمن خطابه إقراره بـــدفع جزيـــة سنوية ليضمن استقلاله شيئاً ما، وليضفي شرعية قانونية على نظامه ووجوده. في رأي الكاتب أن هذا السلوك من السلطان الشهيد علي دينار في وقته يـــدل علـــى واقعيتـــه وقدرته على التعاطي مع الواقع بذكاء وبوعي تام، فإن ما لا يدرك كله لا يترك كلـــه،

---

[21] نعوم شقير مصدر سبق ذكره، ص 965. انظر ايضا:

A.C. Beaton op. Cit. PP.5

Moreover see: S.I.R. 90/8-9 Ist to 31st January, 1902 .

والسياسي الناجح هو الذي يستطيع التضحية بالأهداف الثانوية في سبيل تحقيق الأهداف الإستراتيجية الجوهرية. وهذا ما تقوم به كثير من الكيانات السياسية المعاصرة على مستوى السودان أو العالم الأفريقي والإسلامي. فمثلاً في السودان لقد ضم تنظيم الجبهة الوطنية في سبعينيات القرن العشرين متناقضات ومتنافرات ما بين طائفية وحركة إسلامية واتحادي ديمقراطي. وضم تنظيم التجمع في تسعينيات القرن الماضي وبدايات الألفية الثالثة متناقضات غريبة وعجيبة شيوعيين وطائفية واتحاديين وهكذا ...الخ.

إذن كانت دبلوماسية السلطان الشهيد علي دينار دبلوماسية ناجحة وذكية في ذات الوقت لا سيما إذا علمنا أن وجود سلاطين باشا النمساوي الأصل في صفوف الجيش الغازي وصداقة السلطان الشهيد علي دينار القديمة له قد أفادته إلى حد كبير في انتزاع الاعتراف به من قبل الحكومة الثنائية البريطانية بسيادته على بلاده في دارفور[22]. وتمكن السلطان الشهيد علي دينار بكفاءة من توظيف واستثمار هذه العلاقة إلى أقصى مدى ممكن دون أن يضر ذلك بثوابته وأهدافه الاستراتيجية الغربية والبعيدة المدى.

ومن المعروف أن سلاطين باشا النمساوي كان حاكماً سابقاً لدارفور في الفترة التركية (أي الحكم المصري السابق). وقد تناول تاريخ دارفور بشيء من التفصيل وبقدر من التعاطف في كتابه السيف والنار المطبوع (1895م) وان كان قد ضمنه طائفة من الأكاذيب وقدراً من التحامل على الثورة المهدوية وقادتها لخدمة أهداف غربية ذات بعد استخباراتي واستراتيجي في السياسة الإقليمية وإضفاء شرعية على حركة الغزو الانجليزي للسودان. وقد قام صديقه ونجت (ريجنالد) رئيس قلم الاستخبارات في الجيش الثنائي البريطاني والحاكم العام في السودان فيما بعد بترجمة هذا الكتاب الذي تلقفه الأكاديميون السودانيون الأوائل بشراهة وغفلة وجعلوه في بعض الأحيان مصدراً من المصادر الأصيلة، علماً بأن هذا الكتاب هو صنيعة استخباراتية استعمارية. فقد ترجم هذا الكتاب بعلاته وبأكاذيبه إلى اللغة الانكليزية (1896م)[23].

---

(22) D.S.A.Intell 301/6.

(23) نعوم شقير مصدر سبق ذكره، ص845-847.

فلعل لصداقة السلطان الشهيد علي دينار وصلته بسلاطين أثر في ذلك، أي في تنـــاول سلاطين لتاريخ دارفور بشيء من التعاطف. كما أثرت تلك الصداقة علـــى الإســـراع بانتزاع الاعتراف من الحكومة الثنائية البريطانية بسيادته على بلاده باعتباره ســـلطاناً مستقلاً: (أسس حكومته على مثال سلطنة أجـــداده وصـــنع ختمـــاً للـــسلطنة كأختـــام أجداده)[24] هذه العبارة أوردها نعوم شقير في كتابه تاريخ وجغرافية الـــسودان ومـــن المعلوم أن كتابه قد ألفه (1903م). وهو رجل يتبع للمخابرات الثنائية البريطانية شـــأن كثير من الشوام أو ممن تناولوا تاريخ السودان خلال هذه الفترة ممن عملوا في ســـلك الحكم البريطاني حقيقة المصري اسماً، لذا فإن ورود هذه الإشارة وبهذا القدر تدل على استقلالية السلطان ببلاده ومنذ اليوم الأول وأن الحكومة الثنائية البريطانية كانت علـــى علم بذلك. وبذا نستطيع أن نجزم بأن السلطان الشهيد علي دينار قد استطاع ومنذ اليوم الأول أن ينتزع الاعتراف به من قبل الحكومة الثنائية البريطانية باعتباره كياناً مستقلاً وباعتباره أمراً واقعاً ورقماً لا يمكن تفاديه أو تجاوزه في المعادلة السودانية. لا شك أن هذا القدر من الحقيقة التاريخية في دارفور يمكن أن تفسر من خلاله أحداث دارفـــور المعاصرة إذ تخطئ أي حكومة تتجاوز أهل دارفور أصحاب السلطة التاريخيـــة فـــي موازناتها السياسية وفي تركيبتها الإدارية. فأهل دارفور كـــانوا ولا زالـــوا وســـيظلوا يشكلون محور الأحداث والفاعلية الإيجابية في دارفور وفي السودان عمومـــاً ويكفـــي أنهم الآن متغلغلون في كل التنظيمات السياسية الإسلامية والعلمانية والحديثة على حـــد سواء. ففي الجيش لا يقل عددهم عن 40% وكذلك في الشرطة وفي التعليم العالي فإن نسبتهم بين الأساتذة قد تصل إلى الستين في المائة (60%) وكذا بين طلاب الجامعات السودانية وفي دواوين الحكومة المختلفة. فان عددية على هذا القدر وفاعلية على هـــذا المستوى لابد من أن يوضع أمرها في الاعتبار. ويلاحظ المرء كأنهم جميعاً يـــشكلون تنظيماً سرياً متواصلاً بالرغم من توزيعاتهم المختلفة وتواجدهم المتنوع وتوزعهم على كل ألوان الطيف السوداني. فهم أصحاب سلطة تاريخية ومجد حـــضاري فاعـــل فـــي المنطقة كلها مما يعني ضرورة إعطائهم مساحة من الحركة في أي معادلـــة سياســـية

[24] المصدر نفسه، ص 965.

قادمة. وإن لا فهم جاهزون لإحداث هزة في النظام السياسي القائم مهما كان توجهــه ولونه وطبيعته. شأنهم شأن معظم القبائل الكبيرة المستقرة أو المشتركة بــين دارفــور ودول الجوار التي كانت وما زالت وستظل تشكل مهدداً أمنياً هاماً خطيــراً ومــؤطراً للسياسة السودانية الخارجية عبر التاريخ.

ح- إسلامية السلطنة والوجود العربي بدارفور والحفاظ على الهوية:

لقد استطاع السلطان الشهيد علي دينار بذكاء ووعي تام انتزاع الاستقلال من قبل الحكم الثنائي 1900م[25]. ولعل وجوده في الاعتقال التحفظي لفترة من الزمن بجانب الخليفة وحضوره صلاة الجماعة بانتظام ودروس مجالس الخليفة العلمية بأم درمان قد كون لديه شعوراً بضرورة أحياء العقيدة في مجال سياسة الراعي والرعية وعليه فان رفضه للدعوة المهدوية لم يكن يشكل رفضاً للإسلام وانما كان يرى بأن إرثه الإسلامي أصيل، وأن حملة مشاعل الدعوة المهدوية منبتو الأصول الحضارية والتاريخية، فما المهدي في نظره إلا رجل من عامة الناس وكذا الخليفة، أما هو فهو ابن السلاطين وسليل السلطة الحاكمة في دارفور باسم الإسلام لمدة تزيد على الأربعة قرون من الزمان وبالتالي كان يأنف من الدنيوية والخضوع لقيادة المهدية، وهذا شأن أصحاب المجد التاريخي الذين يصعب أن يسلس قيادهم لمن هم أحدث منهم في هذا المضمار، مضمار القيادة والسياسة إذ يرون فيهم مستجدي نعمة ومتطاولين على حق ليس لهم فيه نصنيب من الدعم التاريخي. وهذا النوع من الناس يكون دوماً أسير موروثه التاريخي وحبيس ماضيه وبالتالي لا يضع اعتباراً للكفاءة والمنافسة الحرة الشريفة في هذا المجال، إذ يعتبر نفسه أنه خلق للحكم أي ليصير حاكماً وليس محكوماً وأن غيره خلق ليكون محكوماً له. وهذه مشكلة أحفاد الطائفتين التقليديتين في السودان الآن (الانصار والختمية) مع الطبقات المثقفة الحديثة في السودان. وفي كثير من بلدان العالم الثالث ذاتي الطبيعة العشائرية أو القبلية أو الملكية أو الشاهشانية. فبوصوله الفاشر أطلق علي نفسه ألقاباً ذات صلة وثيقة بالنظام السياسي الإسلامي في زمن

[25] Sir Reginald Wingate .D.S.A.Intell.103/66.

السلف مثل قوله: (فمن ... أمير المؤمنين ... السلطان علي دينار)[26]. وقوله في خطاب آخر: (فمن عبد ربه الراجي عفوه المعتصم بالله أمير المؤمنين وسلالة الطيبين الطاهرين)[27]. وفي خطاب ثالث جاء قوله: (فمن حضرة السلطان الأعظم والخليفة الأكرم من دانت له جميع الأمم وخضعت له رقاب العرب والعجم أمير المؤمنين)[28]. هذه الإشارات لها دلالتها الموضوعية والتاريخية والعرقية والحضارية، فدارفور كانت ولا تزال وستظل هي موطناً وموئلاً للعرب والعجم. ولأن دماء كل فريق قد جرت في شرايين الفريق الآخر تزاوجاً ومصاهرة ومؤاكلة ومشاربة وثقافة وديناً ... والعلاقات الإجتماعية والإدارة والتنظيمات القبلية والعشائرية تحكمها نظم وأعراف وتقاليد وقيم وسماحة ودماثة خلق لا يتجاوزها المقدر السياسي أو العلمي أو المعرفي للفرد مهما كان ومهما كانت درجته العلمية أو السياسية أو الفكرية. فلكلٍ ماعون إجتماعي محدد وسقف لا يتجاوزه. ومهما كانت المشكلة على درجة من التعقيد وان بلغت إهدار الدم فلها في دارفور حل وألف حل في ظل الأطر الاجتماعية والأعراف والتقاليد والقيم السائدة الموروثة. وتربى بعضهم في أحضان وبيوت البعض الآخر فهذا موسى هلال الحالي قد تربى ونشأ في بيت التجاني آدم الطاهر وهكذا دواليك. فيحكي لي دكتور عبدالمجيد عبدالرحمن المدير التفيذي لمكتب مدير جامعة النيلين بأنه قد حضر ذات مرة مجلس صلح في الخرطوم بين فريقين متحاربين في دارفور أهريقت بينهما دماء فما أنْ حضر الطرفان وقد كان رأس الفريق الأول قد تربي في بيت رئيس الفريق الأخر فذكره رأس الفريق الآخر بذلك قائلاً له: أتريد أن تقتل أمي أو أختي فلانة؟ حتى جهش الفريقان بالبكاء وتعانقا واعتبر الفريقان أن ذلك صلحاً قد تم دون توقيع معاهدات أو إجراء عقوبات على الفريق المعتدي. فهذه هي دارفور الأصالة والعراقة والتداخل العرقي والتسامح.

---

(26) خطاب من علي دينار بتاريخ 1316/4/1هـ الي كافة من يطلع علي هذا الرسم. S.N.A. Intell 1/30

(27) خطاب من علي دينار في 1317/4/8هـ S.N.A. Intell 1/30

(28) خطاب من علي دينار في 1316/8/4هـ S.N.A. Intell 1/30

ولا يخفي أن أي محاولة توصيفية تتجاوز هذه المعرفة التاريخية وهذه المفردات الثقافية وذلك الإرث الحضاري التليد مصيرها الفشل. وأي حزب سواء أكان دارفورياً أم طائفياً أو علمانياً أو إسلامياً عميلاً أو عليماً أو جاهلاً أو مثقفاً يتبنى طرحاً خلاف ذلك الموروث الحضاري هو حزب منبت الأصل والفكر تاريخياً واجتماعياً وثقافياً عن موروث دارفور السياسي والاجتماعي والثقافي والحضاري. ويلاحظ المرء أن معظم خطابات السلطان الشهيد علي دينار التي كتبها في فترة مبكرة كانت تحتوي على مثل هذه العبارات الإسلامية التي تفوق العد والحصر. وهذه دلالة إسلامية تلقي الضوء على هوية السلطنة والسلطان منذ الوهلة الأولى. وهناك دلالة أخرى تتمثل في استخدامه التاريخ الهجري بانتظام في كل مكاتباته الرسمية والشخصية على الإطلاق. وهو بهذه الكيفية وبهذا السلوك المتفرد والمتميز قد تجاوز عقدة الدونية التي شكلت رؤى كثير من الساسة وقادة الفكر الحديث والمعاصر الآن سواءً علي مستوي دارفور أو السودان أو العالم الإسلامي ممن أصبحوا يقدمون في مراسلاتهم التاريخ الإفرنجي على التاريخ الإسلامي. ودلالة ثالثة تؤكد على إسلاميته التي لا تقبل الجدل تتجسد في تطبيقه الأحكام الشرعية دون هوادة، وقد أشار إلى ذلك بقوله: (فهو أني معاهد الله أن الذي يغير أو يبدل الأحكام الجارية حسب الأصول العادلة من جماعتنا التي تحت ركاب دولتنا ولو يكون ابني لو انحرف عن الحق الشرعي لا أرفع عن إيقاع أحكام الجزاء اللايق به كما يقتضيه الشرع المحمدي) [29].

- بكل ثقة يمكن أن نقرر بأن دولته كانت تشكل نقلة نوعية حيث كانت تحكم بشرع الله وتنفذ أحكامه العادلة ولا تتعامل إلا بمصطلحات القاموس الإسلامي في تعاطيها مع القوى المحلية والإقليمية. ولا يكاتب السلطان الشهيد علي دينار أحداً إلا بالتاريخ الهجري. وهذا التوجه فيه محاولة جادة لإبطال المشروع الغربي في السودان وفي العالم الإسلامي مما يؤكد على أن السلطان علي دينار كان رمزاً وطنياً وإسلامياً دلالة رابعة: وهي أن حكمه لا يعدو عن كونه امتداداً طبيعياً لسلطنة آبائه وأجداده وهي سلطنة إسلامية بكل المقاييس ويقرر ذلك بقوله: (إن مملكة دارفور في العادة

[29] خطاب من علي دينار إلى سلاطين في 1321/3/3هـ S.N.A. Intell 7/1/5

القديمة ملوكها وكافة أهل الوظائف التابعين ركاب السلطنة لهم عوايد تجري عليهم من آبائنا وأجدادنا السلاطين الماضين. كانت قبل خراب دارفور موجودة .. والآن بعـودة أهل الوظائف من الملوك والشراتي والدمالج وسلاطين ديار رغبوا منا إعمال عوايدهم لهم كالعادة القديمة)[30]. هذه المفردات غاية في الأهمية من الوجهة التاريخية وإيرادها في هذا السياق كانت مقصودة لتؤدي هدفاً مرسوماً لأنه بهـذا الـنص أراد الـسلطان الشهيد علي دينار أن يقرر عزمه على قيام نظام إداري جديد على غرار ما كان سائداً في السلطنة قبل خرابها. وهذه التسميات لم يسبق لنظـام آخـر قيامـه بهـا، وهـي مصطلحات إدارية وتنظيمية وسياسية تفردت بها سلطنة دارفور تاريخياً عن غيرهـا فالشراتي: هم في مقام المدراء. والدمالج: تعني مأمورين. والملـوك هـم رجـالات الإدارة المركزية في البلاد [31].

- مهددات الأمن ومحددات السياسة الخارجية السودانية الحالية:

وبهذه الإشارة قرر السلطان الشهيد علي دينار فعلاً أن النظام قد اسـتكمل بنـاءه وفقاً لما كان سائداً في عهد أجداده وأكد على أنه امتداد طبيعي لما انقطع من مـشوار هذه السلطنة ونظامها السياسي والإداري. وهذا بدوره يعطي بعداً اسـتقلالياً متميـزاً. ويوحي بأن التبعية الدارفورية للحكومة الثنائية الانكليزية المصرية كانت تبعية إسمية. إن هذه المفردة التاريخية الهامة تشير إلي أن دارفور في تاريخهـا القـديم والحـديث والمعاصر يغلب عليها النظام السياسي التقليدي من حيث الإذعان والطاعـة للأرقـام التاريخية أكثر من استجابتها للعناصر الحديثة منبتة الأصل أو التي تحمل ثقافة وقيمـاً مخالفة للموروث السياسي والمعرفي في دارفور وان حاولت فـي الظـاهر تجـاوز الموروث والخروج على المألوف فإنها لا تستطيع أن تحدث استقراراً أو هـدوءاً فـي دارفور في الوقت الراهن أو المستقبل القريب ذلك لأن مشكلة دارفور هي غايـة فـي التعقيد إذ ترتبط ارتباطاً وثيقاً بإثنياتها وبعرقياتها التي تزيد على الاثني عـشر أثنيـة

(30) D.S.A. Box 110/6 Macmicheal (Notes) OP. Cit. PP. 27-33.

(31) نعوم شقير، مصدر سبق ذكره ص 176- 177. أنظر أيضاً: محمد بن عمر بن سليمان التونسي: (ملحق جومار)، ص 416-417.

مشتركة بينها وبين تشاد والنيجر ومالي ونيجيريا وأفريقيا الوسطى وليبيا في آن واحد. وهي تشكل مهددات أمنية دائمة ومحددات هامة في التعاطي مع السياسة الخارجية للسودان وهم مجموعة الزغاوة والمساليت والقرعان والفور والطنجور والداجو والمحاميد وغيرهم من الأثنيات التي سيتعرض لها كتابنا الذي سيصدر قريباً تحت هذا العنوان المتقدم. وبالتالي فإن فرض أي نظام حديث بالقوة ودون وضع اعتبار لهذه المعطيات الهامة والخطيرة في ذات الوقت ومتجاوزاً هذه الأطر التقليدية يكون خاطئاً إلا بعد حدوث تحول ثقافي عميق وتحول اجتماعي دقيق واهتمام فائق بإعداد الكادر البشري ورفع كفاءة وعيه السياسي والاجتماعي والاقتصادي ومعالجة الروابط العرقية مع دول الجوار عن طريق مساجلات ومحادثات وحوارات طويلة الأمد وتخطيط أمني واستراتيجي واقتصادي وتكاملي مشترك بين السودان وهذه الدول المشتركة معه في هذه الاثنيات والعرقيات المتعددة. ولعل هذه هي مشكلة السودان التي ستظل تشكل قنابل موقوتة لا يفك طلاسمها إلا التكامل والرؤية العقلانية من قبل القيادات الفاعلة والمؤثرة في هذه الدول مجتمعة. ولعل الغالب الأعم من الساسة عندنا في السودان وفي دول الجوار انفعاليون مرتزقة وتجار سياسة نفعيون أكثر منهم عقلانيين ومصلحيين أكثر منهم وطنيين مخلصين إذ تجدهم في الغالب يعملون لرفعة شأنهم لا لرفعة الوطن أو الأمة ولبناء أسرهم لا لبناء المجتمع الذي هتف باسمهم ويوعدون فيخلفون ويقسمون فيحنثون ويدعون فيكذبون ويقولون ما لا يفعلون. وان أمر السياسة في السودان وفي كثير من الدول العربية والأفريقية والإسلامية يقوم علي الأفعال وردودها، وعلي الكسب الرخيص مقابل التضحية بالأهداف القومية والمكاسب الوطنية. فبعد أكتوبر في السودان على سبيل المثال لا الحصر رفع اليسار شعار التطهير واجب وطني ففقد السودان بذلك خيرة كوادره المدنية نتيجة غيرة حزبية متشنجة وتصفية حسابات شخصية لا تمت للمصلحة الوطنية أو القومية بصلة. وفي عهد مايو رفع اليسار مرة أخرى شعاراً آخر ألا وهو تصفية الإدارة الأهلية دون دراسة واعية وتحليل موضوعي ففقد السودان أحد ركائز الاستقرار فيه بغض النظر عن موافقتنا على سلوكها

وممارساتها بيد أن العقل يقول أن الحياة لا تقوم على الهدم لما هو موجود وإنما العقل السليم يقول أن تطوير ما هو موجود هو الطريق القويم للوصول إلى نتائج أفضل. ولم يكن البديل واقعياً أو فعالاً والذي تجسد في خطرفات جعفر محمد علي بخيـت والتـي قبرت بزواله. وتمت عملية تنزيل السلم التعليمي على الواقـع دون دراسـة فأصـبح الطالب يقرأ ولا يكتب إلى أن جاء الوقت الذي لا يحسن فيه القراءة ولا الكتابة معاً كما قدمنا. وتمت تصفية النقل الميكانيكي في عهد الإنقاذ دون دراسة. فامتلأ السودان بقدر هائل من الحديد والسيارات التي لا تناسب البلد والتي تم استيرادها بعمـلات صـعبة خصماً علي مقدرات هذه الأمة ودخلها القومي لصالح مجموعة لا تخاف إلاً ولا ذمـة في مقدرات وحق هذا الشعب الأبي الكريم. وتم التوقيع على اتفاقية نيفاشـا دون أخـذ رأي الأمة. وهكذا ما حدث في القاهرة من اتفاق من أجل هم الحصول علي كراس في الحكم دون مراعاة حقوق ومصالح الشعب. ويجتمع في الخرطوم ثلاثة مـن الـشيوخ الذين تجاوزهم الزمن ومعظمهم تجاوز السبعين ليقرروا دون تفـويض مـصير أمـة ويزعمون بأنهم قادرون على إيقاف الحرب في دارفور وهم فتيلة إشعالها. ولعل مـن مصائب هذه الأمة أن يتسلط عليها أمثال هؤلاء المتسيسون الأنانيون الذين بلغ ببعضهم من الكبر عتياً وما زالوا يتشبسون بأهداب السلطة بل أن بعضهم ظن انه مخلـد ولـو كان مخلداً لما آل إليه الأمر. لأن السلطة عارية من الله يأخذها كمـا يأخـذ صـاحب الأمانة أمانته متى شاء وأنى شاء وبالكيفية التي يشاء .فكم من عزيز ذل، وكم من قوي ضعفَ، وكم من غني قد افتقر وانفض عنه السامر. وهم ليسوا بدعاً من ذلـك القـدر الإلهي الماضي وليسوا استثناء من سنن الله الجارية على مخلوقاته فبعضهم قـد حفـر الزمان على جبهته وخدوده حدوداً أو مجار أنهار وأدمع، وبعضهم ضعف بصره وكلّ متنه حتى أصبح يتوكأ على عصاه أو على غيره وما زال متشبثاً بالـسلطة وبعـضهم أبيض شعر رأسه ولحيته وشاربه فجعل يخفيه بأصباغ نسياً وتجـاوزاً لجيلـه ولكـن هيهات هيهات!

ط- السلطنة الدارفورية بين الاستقلال والتبعية:

لعل نقاشاً قد يدور بين الباحثين حول مدي الاستقلالية التي تمتعت بها هذه السلطنة في عهد السلطان الشهيد علي دينار. وهل هذه السلطنة كانت مستقلة أم لا؟ في تقدير الكاتب أن هذه السلطنة قد تمتعت بلا شك باستقلالية تامة وواضحة سواء أكانت دستورية أم إدارية أم عسكرية أم تنفيذية أم تشريعية أم قضائية أم شكلية، ومارستها واقعاً لا مراء فيه. الأمر الذي اقتضى دراسة علاقاتها على ضوء هذا التقدير واعتبارها إحدى انجازات السلطان الشهيد علي دينار، الأمر الذي أهله لأن يقود أول مقاومة وطنية بالبلاد، مقاومة متفردة في وسائلها وأطروحاتها وموضوعها ونتائجها وعلاقاتها ومواقفها المحلية والإقليمية والدولية.

- أهم الملامح الاستقلالية هي:

أولاً: أن التسميات [32] التي وردت في وثائق هذه السلطنة تعكس روحاً استقلالية تامة شكلاً ومضموناً عن النظام الأوربي المزمع قيامه في البلاد. وينافي وجودها بتلك الكيفية المتميزة ذات الإرث الحضاري والبعد التاريخي، التبعية بأي مستوىً ولائي سواء للخديوية المصرية أو الحكومة الإنجليزية أو السلطنة العثمانية بتركيا. وتعتبر هذه المصطلحات ذات دلالة تاريخية وحضارية في النظام السياسي الإسلامي.

ثانياً: إن الحكم بشرع الله الذي نفذه السلطان الشهيد في دارفور دون هوادة كما تقدم له مغزى استقلالي مطلق عن النظام المطبق في بقية أجزاء السودان الخاضعة للحكم المصري الانكليزي.

ثالثاً: استخدام التاريخ الهجري من قبل السلطان الشهيد علي دينار منذ الوهلة الأولى لتوليه الحكم في دارفور يعتبر بعداً استقلالياً واضحاً واتجاهاً وطنياً محرراً من رؤية الغزاة البريطانيين.

---

(32) J.E. Boustead. OP. Cit. PP. 142-149.

رابعاً: إقدام السلطان الشهيد علي دينار ومنذ الأيام الأولى على صـــك عملـــة خاصـــة بدولته يعتبر ذلك عاملاً استقلالياً هاماً[33]. لا يستطيع أحد إنكاره حتى بمقاييسنا الحالية، لأن العملة مظهر سيادي. وهو بهذا الإجراء قد ضرب بمسمار في نعش تبعيته للنظام الانكليزي بالبلاد.

خامساً: ومما لا ريب فيه أن مطالبته المستمرة بتحديد الحدود الفاصـــلة بينـــه وبـــين الحكومة الثنائية البريطانية والإشارة إلى أن حدود دارفور قديماً كانت تشمل كذا وكذا يدل ذلك كله على قناعته التامة بالاستقلال الكامل وغير المـــشروط وبـــذا يعلن براءته التامة عن التبعية للحكم المصري الإنكليزي في البلاد[34].

سادساً: إن ورود كلمة دولتنا الآنفة وقوله: (ولكنني مما صار جلوسي فـــي كرســـي مملكة آبائي وأجدادي ...)[35]. تؤكد هذه الإشارة إلى أن السلطان الشهيد كـــان يعتبر أن الإقليم الذي يحكمه هو دولة تتميز بمراســـمها وقوانينهـــا وتقاليـــدها وأعرافها ونظمها الإدارية والسياسية والتشريعية والقضائية عن حكومة الانكليز التي أقاموها في الخرطوم بغياً وعدواناً رغم إرادة الأمة السودانية.

كل ذلك فيه دلالة إعلامية ورسالة واضحة للحكم المـــصري الإنكليـــزي بأنـــه مستقل بحكم بلاده لا يشاركه فيه أحد كائناً من كان. وهو مقتنع في قرارة نفسه بهذه الكيفية الاستقلالية وكل ما عدا ذلك يفسر لصالح هذا الاستقلال.

سابعاً: يلاحظ الدارس لتاريخ هذه الفترة في دارفور في فترة السلطان الـــشهيد علـــي دينار قيام نظام إداري وقضائي وتشريعي وسياسي وعسكري يعتبر صنواً بل امتداداً طبيعياً لما كان سائداً في السلطنة قبل سقوطها عـــام 1874م ويـــشكل دلالة قوية على استقلالية هذه السلطنة الدارفورية، وبذا تعتبر الـــسلطنة التـــي أوجدها السلطان الشهيد علي دينار امتداداً طبيعياً لسلطنة دارفـــور بتقاليـــدها وإداراتها وأقاليمها[36]، وتنظيماتها وتشريعاتها وأعرافها ومراسمها وطقوسها.

---

[33] نعوم شقير مصدر سبق ذكره، ص 189. وقد قام السلطان علي دينار بصك العملة لأول مرة في 1317هـــ. 1899م.

[34] السلطان إلي سلاطين في 1901/2/7م S.N.A. Intell 7/3/7

[35] السلطان إلي سلاطين في 9 رمضان سنة 1330هـــ S.N.A. Intell 7/2/14

[36] نعوم شقير مصدر سبق ذكره، ص 189.

ثامناً : محاولة السلطان علي دينار الدعوبة لبناء قوات مسلحة مصادمة ووجود جـيش مستقل عن جيش الاحتلال شكلاً ومضموناً، ولا يخضع جملة أو تفصيلاً لأوامر الخرطوم يعتبر ذلك في تقدير الكاتب دلالة استقلالية.

تاسعاً: لا يخفى أن إتباع السلطان الشهيد علي دينار لسياسة داخليـة لا تـأتمر بـأمر الخرطوم أو أي جهة داخل أو خارج السودان في ذلك الزمان يعتبر دليلاً قاطعاً على استقلاليته التامة والمطلقة من ذلك حملاته التي دأب على القيام بها علـى القبائل والبطون الخارجة عن سلطانه والتي كان الهدف منها تثبيت دعائم حكمه، مثل حملته على كل من المعاليا والرزيقات وكاجا سروج، ومحاولة إخضاع هذه القبائل وتلك المناطق لسلطانه دون أذن أو علم الحكومة المـصرية الإنكليزيـة المحتلة.

- جذور مشكلة دارفور الحالية وإمكانية حلها:

ولئن كانت النقطة السابقة في تقدير المؤلف ذات بعد موضوعي وتاريخي وثقافي وسياسي هام في تفعيل الأحداث الحالية في دارفور بعيداً عـن الاسـتغلال الأجنبـي الحالي. فإن دارفور كانت ولا تزال وستظل بحكم تكوينها الطبيعي والبشري وموقعها الجغرافي منطقة رعي وزراعة كانت ولا تزال، ومنطقة قبائل رحل وقبائل مـستقرة وقبائل مشتركة بين دارفور وجيرانها على امتداد هلامي ناحية الغرب وامتداد محدود ناحية الشمال والجنوب الغربي في كل من ليبيا في الشمال وأفريقيـا الوسـطى فـي الجنوب الغربي. فهذه الأثنيات المشتركة وتلقائية انتقالهـا وتجـذرها فـي عـدة دول مجاورة من أمثال تشاد التي توجد بها أكثر من عشر عرقيات لها امتداد طبيعـي فـي السودان مما يؤثر على امن المنطقة القومي والسياسي والاقتصادي إذ يكفي الإشـارة إلى أن الرئيس التشادي الحالي (ادريس دبي) هو زغاوي أباً عن أم وللقارئ أن يقـوم بإكمال فصل القصة. ومن المألوف في ظل هذه الظروف الطبيعية والبشرية والثقافيـة أن تحدث منازعات وتمردات وخروج على السلطة المركزية وهي قضية قديمة حديثة من باب تنازع الزعامة، أو من باب الاعتداء الفـردي أو الجمـاعي علـى أراضـي

أو مزارع الغير. وهي مسألة طبيعية في ظل ظروف مكانية واجتماعية بهذا القدر من الخصوصية بمكان. ولا يمكن تجاوزها أو حلها إلا إذا حدث تحول اقتصادي واجتماعي وثقافي وترقية فهم ووجود أداء بشري متميز. لأن مشكلة دارفور الحالية بكل تداعياتها وزخمها السياسي والاجتماعي والاقتصادي والتاريخي والثقافي هي مشكلة ثقافية وسياسية بالدرجة الأولى أكثر منها عرقية. ويخطئ من يريد تحويلها إلى مشكلة بين العرب والزنوج لأن نسبة الدم العربي في كل سكان دارفور دون استثناء هو ما بين 40% إلى 80% حسب الدراسات الجينية الحديثة التي قامت بها بعض الدول الأوربية (ألمانيا) على وجه التحديد لتحقيق أجندة خفية وما أن جاءت الدراسة مخيبة لآمال الدولة الممولة لهذه الدراسة حتى قامت بإخفائها ولمزيد من البحث يمكن الرجوع إلى كتابنا و بحثنا عن العلاقة المكية السودانية عبر التاريخ لإجلاء الموقف أكثر مما هو وارد في هذه العبارة الموجزة[37]. وبالتالي يفتضح سذاجة التفسير الغربي لمشكلة دارفور وكذا محاولات الجماعات المختلفة التي تريد المتاجرة بقضية دارفور من اجل كسب الرخيص أو تحقيق أجندة غربية في المنطقة. لأننا كثيراً ما نجد تداخلاً عرقياً وتماذجاً اجتماعياً غريباً بين قبائل دارفور فالمسلاتي يتزوج من الزغاوة والفوراوي يتزوج من الداجو والداجي يتزوج من بني هلبة ... الخ هذه الرواية. وقد سبق أن ذكرنا أن قصة النزاع الذي نشب بين الفريقين كان فيه الزعيم موسى هلال قد تربي في بيت زعيم آخر مما يدل على الاحتضان الطبيعي والألفة الإنسانية التي تمتعت بها دارفور بكل اثنياتها وعرقياتها.

- السلطان الشهيد علي دينار والاعتداد بالذات:

ولعل أقوى برهان على أن السلطان الشهيد علي دينار كان معتداً بذاته مستقلاً ببلاده هو عدم سماحه لأي مسئول مصري أو أوروبي بدخول بلاده طوال فترة حكمه وكذا عدم خروجه البتة لمقابلة أي مسئول من الحكومة المصرية الإنكليزية، لا شك أن

[37] يراجع في ذلك كتابنا العلاقات السودانية المكية عبر القرون الذي صدر مؤخراً عن الدار العربية للنشر بالقاهرة 2005م وبحثنا الذى نشرته الندوة العلمية الكبرى لمكة عاصمة الثقافة الاسلامية / سبتمبر 2005م / المحور التاسع.وهو منشور على الانترنت في موقع الندوة المشار اليها.

ذلك يعتبر مظهراً استقلالياً واعتداداً بالذات وإدراكاً لما وقع فيه الزبير ود رحمة من أخطاء حين تم استدراجه من قبل السلطات المصرية وسافر إلى القاهرة بحسن نية سودانية ساذجة وطيبة مبالغ فيها، فتم احتجازه هناك إلى أن قضى نحبه، هذا مما يؤكد على قدرة السلطان الشهيد علي دينار على الاعتبار بمفردات التاريخ والتعاطي مع الموروث التاريخي بمسؤولية وذكاء، ووعيه لمرامي الإنجليز في المنطقة، وقدرته على المراوغة والمرونة في التعاطي مع الأضداد دون التفريط في مكتسباته التي حققها بعزم واقتدار عبر نضال وكفاح مرير دام لعشرات السنين.

مما مضى يتضح أن السلطان الشهيد علي دينار قد أفلح إلى حد كبير في استعادة السلطنة الدارفورية فأقام نظاماً إدارياً وحكماً شرعياً شبيهاً بنظام السلطنة في عهد أجداده. وأنشأ نظاماً قضائياً مستقلاً يعتمد الكتاب والسنة باعتبارهما مصدراً للتشريع الإسلامي. وعين علي كل جهة مقدوماً يتولى الإدارة السياسية والاقتصادية والعسكرية. وقسم البلاد إلى حواكير، وأنشأ جيشاً لحماية البيضة في البلاد. وقام بإزاحة كل العقبات التي تعترض هيمنته علي البلاد. فقام بطرد القائد المهدوي عربي دفع الله من دارفور[38]. واخضع القبائل التي لم تدن له بالسيادة. وفي مجال العلاقات الخارجية كان له نشاط وافر حسبما توفر للكاتب واستطاع جمعه من وثائق ومراسلات. وكان حذراً إلى حد الإفراط في علاقاته مع الحكومة البريطانية المصرية ولم تلن له قناة طوال فترة حكمه التي امتدت ما بين 1898-1916م ولقد شكل بادرة أول مقاومة وطنية نظيفة سودانية لم تلطخ يديها بمصافحة الاستعمار الأوروبي الانكليزي أو الارتماء في أحضانه، هذا في وقت لانت فيه إرادة كثير من القيادات السودانية يومئذ وسارت في ركب الوجود البريطاني طوعاً أو كرهاً إلى أن قضى السلطان نحبه في سنة 1916م شهيداً في ميدان الحرب من أجل قضية الإسلام والمسلمين ومن أجل تحرير وطنه من الغزو الأجنبي. فعاش السلطان الشهيد علي دينار رحمه الله مستقلاً ومات مستقلاً، عاش كريماً حراً ومات كريماً حراً ووقف بصلابة منقطعة النظير في وجه الاستعمار الأوروبي بأشكاله المختلفة لذا لا غرابة أن قام الانكليز وأقلام

[38] A.B. Theobald. OP. Cit. PP. 34.

استخباراتهم وأعوانهم ممن رضعوا من أثدائهم من الأكاديميين ومن المغفلين بتــشويه سمعة السلطان الشهيد عن ترصد وعمد، وإخفاء دوره البارز والفاعــل فـــي الـــبلاد وقيادته المقاومة والحركة الوطنية السودانية الأولى بلا منازع.



ابن السلطان الشهيد على دينار

الفصـــل الثانـــي

العلاقات الدارفوراوية الليبية في الربع الأول من القرن العشرين(1898-1916م)

الفصـــل الثانـــي

العلاقات الدارفورية الليبية في الربع الأول من القرن العشرين (1898-1916م)

• المبحث الأول:-

السنوسية وقيادة الحركة الوطنية في دارفور

- تعريف بالسنوسية:

السنوسية تعتبر واحدة من الدعوات السنية والحركات الإصلاحية الفاعلة بايجابية والتي انتظمت العالم الإسلامي في بدايات القرن التاسع عشر الميلادي واستمر عطاؤها بقدر وافر حتى النصف الثاني من القرن العشرين. وتعود نشأتها إلى المؤسس الأول محمد بن علي السنوسي الكبير[1] تلميذ المصلح الكبير أحمد بن إدريس الفاسي دفين صبيا بعسير جنوب المملكة العربية السعودية الحالية، ولقد بزغ فجر هذه الطريقة علي سفح جبل أبي قبيس بمكة (1150هــ أو 1152هــ) الموافق (1835م أو1837م). وذلك بعد وفاة أستاذ الجيل الشيخ أحمد بن إدريس مباشرة وانقسام أتباعه إلى الطريقة الإدريسية ومن نسله الادارسة الموجودين بالموردة في أم درمان وأتباع محمد بن على

[1] هو محمد بن علي السنوسي الخطابي الحسني الإدريسي ينتهي بنسبه إلي إدريس بن عبدالله مؤسس دولة الأدارسة في الثلث الأخير من القرن الثاني الهجري ونهاية القرن الثامن الميلادي. وذكر الأمير شكيب أرسلان أنه قد اطلع علي تاريخ للعائلة يصل نسبها بعلي ابن أبي طالب. ولقد بزغ فجر المؤسس في بيت علم ودين في بلدة مستغانم بالجزائر في محلة يقال لها الواسطة وذلك في 12 ربيع الأول 1202ه 22 ديسمبر 1785م. وتوفي والده وهو لا يزال في طور الطفولة فتولت عمته التي كانت من كبريات الفضليات العالمات في عصرها يومئذ تربيته ورعايته علمياً وتربوياً. محمد فؤاد شكري: السنوسية دين ودولة / مصر / القاهرة / دار الفكر العربي 1948م ص10 وأنظر أيضا: نقولا زيادة: صفحات مغربية / لبنان / بيروت / ط1 1966م ص297 .

السنوسي الكبير والختمية بالسودان واريتريا حيث أن الذي أنشأها هو محمد عثمان الكبير هو صاحب كتاب تاج التفاسير والجد الأكبر لأولاد السيد علي الميرغني الحاليين وأبناء عمومتهم بكسلا هو زميل لمحمد بن علي السنوسي الكبير.

وتعتبر منطقة الكفرة بليبيا معبراً هاماً لقوافل شمال أفريقيا وجنوبها ومنطقة دارفور وتشاد على وجه التحديد ونقطة ارتكاز هامة للغادين والرائحين، ولعل ذلك مما زاد من أهميتها التجارية، فقد أنشأ فيها محمد المهدي بن محمد علي السنوسي الكبير مؤسس الطريقة السنوسية (ت1902م) مصنعاً للسلاح ومعدات الحرب. وقد يرد سؤال هام لماذا سمى محمد بن علي السنوسي ابنه بمحمد المهدي؟ ولماذا لم يستجب ابن السنوسي لنداءات المهدي؟ ولماذا سمى محمد عثمان الكبير نفسه بالختم؟ أنِ الإجابة بوضوح على هذه الأسئلة تكشف لنا بأن الطرق الصوفية هي التي شحنت الصدور والعقول بدعوى ظهور المنقذ. وكانت كل طريقة من الطرق الصوفية السودانية أو الأفريقية أو الآسيوية تزعم أو تترقب ظهور المهدي من بين أفرادها. وبهذا يمكن تفسير العداء الدفين والمقاومة الشرسة التي قادتها الختمية في وجه الحركة المهدوية بالبلاد طوال فترة هيمنتها في البلاد وحتى خروج قادة الختمية وقدومهم مع الحملة الانكليزية. لقد تمتعت الكفرة بهذا الموقع الجغرافي والاقتصادي الاستراتيجي والتجاري المتفرد بالإضافة إلى ما يحمل إليها من الساحل وما يحمله الزوار من أشياء من شمال وغرب أفريقيا من النيجر والنيل[2]. والسنوسية في الأصل هي حركة جهادية بكل ما تحمله الكلمة من معان، ودعوية عملية ذات بعد شعبي أكثر منها حركة صفوية نخبوية كما هو الشأن بالنسبة للحركات السياسية والفكرية ذات التوجه الإسلامي أو العلماني التي ظهرت خلال النصف الأول والثاني من القرن العشرين كحركة الأخوان المسلمين أو حركة حزب البعث أو حركة الشيوعيين أو الحركة الإسلامية الباكستانية. لأن من المعلوم أن الحركات الصفوية النخبوية يصعب أن تحدث انقلاباً اجتماعياً وثقافياً ما لم تتنازل عن عروشها العاجية وتختلط بالشعب في أفراحه وأحزانه وتشاركه همومه والآمه، وتعتبر السنوسية من أقوى الحركات التي قامت في القرن

[2] الجريدة العدد 1417 ، 1911/11/11م بقلم نجيب ناصر D.S.A Box 301/6

التاسع عشر على الإطلاق تنظيماً وحركةً ونشاطاً وشعبيةً. إذ قامت فكرتها على أساس روحي عميق ونظري دقيق وعملي متقن وبنت فكرتها على الاعتماد على الذات نظرياً وعملياً وتربوياً وثقافياً وبثت في روع أفرادها روح العمل الجاد والعبادة الخالصة والعلم النافع، عكس الطرق الصوفية التي اختزلت الحياة اختزالاً إلى الانقطاع والأذكار والتمائم والرقي والخلوة واعتزال الحياة والخمول والبطالة والكسل والانزواء عن ضوضاء الحياة وفاعليتها، فهي حركة إيجابية بكل المقاييس تركت بصماتها على كل من اتصل بها من أتباعها أو من غيرهم. وكانت بحق نواة المقاومة للوجود الأجنبي في ليبيا وكل المنطقة العربية فهي التي أنجبت مقاومة حركة المجاهد العلم والرقم الصعب في مقاومة الإحتلال الأجنبي عمر المختار بكل زخمها وظلالها وآثارها الايجابية في الساحة العربية والإسلامية. واتصفت الحركة السنوسية عموماً بالاتزان في الطرح والقدرة الفائقة على التأثير في الجماهير. وتميزت في الوقت ذاته بطرح موضوعي أخاذ وهي أول حركة في التاريخ المعاصر والحديث طرحت شعار الاكتفاء الذاتي والاعتماد على الذات بصورة عملية ونجحت في اجتياز التحدي وتحقيق ما رفعته من شعار استقلالي متفرد وتميزت بنظام إداري دقيق وروحي فريد وأخلاقي واع ومنهجي رائع.

ولعل من أكبر نجاحات هذه الدعوة وتلك الحركة أنه قدْ بلغ عدد أتباع السنوسية في بداية القرن العشرين ما يربو على الخمسة ملايين موزعين على أنحاء العالم. وأصبح لها نظام إداري يتربع على قمته الوكيل ومهمته الوظيفية إطلاع المقدمين على شؤون السياسة العامة للحركة ونشاطاتها المختلفة. وهؤلاء بدورهم كانوا يقومون بتبليغ الأخوان[3]. مما يعني أن الحركة كانت تملك حساً إعلامياً راقياً وتعمل على تمليك المعلومة الصحيحة لكل أفرادها. الأمر الذي يزيد من ثقة الأفراد بقيادتهم وإطلاعهم على أدق التفاصيل وزيادة وعيهم السياسي والدعوي.

---

(3) المصدر السابق D.S.A Box 301/6

واستطاعت الحركة السنوسية بروحها الكفاحية أن تكسب انتصاراً وبنشرها للعلم تمكنت من استمالة أهالي تلك الصحراء والأقطار المجاورة لها وترقية أدائهم لا سيما وأن الروح البدوية الساذجة بخشونتها وجديتها وتلقائيتها أقرب ما تكون إلى الروح العسكرية بالرغم من ميلها الدائم إلى الانفلات. ولكن مع الإدارة المقتدرة والإرادة القوية يمكن تعديلها وتقويمها حسب ما تقتضي مصلحة الجماعة. وهذا ما نجحت السنوسية فيه. فالفكرة الجادة، والنظرة الواقعية، والطرح المقبول، ومصداقية القيادة، والقدوة الحسنة أكسبها أنصاراً وبعداً جماهيرياً منقطع النظير.

فقد كان لكل زاوية من زوايا السنوسية المنتشرة في أنحاء القطر الليبي والأقطار الأفريقية المجاورة والبعيدة شيخها ومزرعتها يقوم فيها بالعمل التلاميذ وطلبة العلم من أجل تحقيق شعار الاكتفاء الذاتي، وعليها يعتمدون وما زاد من دخل يرسل إلى قائد المسيرة وربان السفينة محمد المهدي[4]. فقمن بحركة هذا دورها الطليعي وتلك فكرتها أن تكون لها صلاتها بالقوة المحيطة بها بغية تبشيرها بدعوتها وإحداث مناطق نفوذ لها في مواجهة الحراك الاستعماري المحموم في المنطقة العربية والأفريقية وفي غيبة وعي القيادات التاريخية. فقد حاولت السنوسية ومنذ فترة مبكرة أن تمد ببصرها إلى دارفور باعتبارها مهد سلطنة إسلامية ذات صيت ذائع ومجد مؤثل. وتطورت هذه العلاقة بين السنوسية والسلطان الشهيد علي دينار حتى أصبحت تشكل حلفاً إسلامياً في المنطقة يهدد القوى الأجنبية في عهد السلطان الشهيد علي دينار. وتجاوز الحلف منطقة دارفور وليبيا ليشمل الدولة العثمانية.

---

[4] استطلاع مجلة الهلال السابق D.S.A Box 301/6 – محمد المهدي هو ابن محمد علي السنوسي الكبير وهذه التسمية لها دلالة موضوعية في الحركات الصوفية على امتداد العالم الاسلامي. والفكرة نابعة من أن مهدياً خاتماً سيظهر وكانت كل طريقة تحسب أن هذا المهدي سيظهر من بين أفرادها فالسمانية كانت تحسب أن المهدي سيظهر منها وكذلك الميرغنية، لان مصطلح الختم يعني بذات القدر خاتم الأولياء وهو المهدي. وفي هذا الجو المشحون بهذه الأفكار الغيبية الممعنة في التشاؤم والخذلان والتنبؤ بنهاية المطاف ظهر مهدي السودان تحت مظلة وعباءة الطريقة السمانية مستثمرا هذه المزاعم الصوفية لتحقيق أهدافه. ومن هذا الباب كانت معارضة الختمية له وكذا محمد شريف ورفض حفيد السنوسي الاستجابة لدعوته من باب الغيرة والحسد والتنافس على هذه الوظيفة.

• **المبحث الثاني :-**

السلطان علي دينار بين المنفذ التجاري والاستقلال وتأصيل عروبة وزنجية وإسلامية دارفور

كان السلطان الشهيد علي دينار بعد تربعه على عرش آبائه يتطلـع إلـى آفـاق أرحب تتجاوز حدود بلاده. كما أنه كان حريصاً على الإستقلال التام والانفـلات مـن قبضة الحكم الثنائي البريطاني. لذا كان سعيه حثيثاً لإيجاد منفذ تجاري يجعله في حـل من مراقبة الحكم الثنائي البريطاني وتفتيشه لقوافله الغادية والرائحة ويؤمن لـه إلـى حد ما احتياجاته الملحة من الأسلحة التـي تمكنـه مـن تقويـة موقفـه إزاء القـوى الاستعمارية المحيطة به، من الشرق (البريطانيون)، ومن الغرب (الفرنسيون).

وتبدو أهمية هذا الأمر إذا علمنا أن دارفور كانت ولا زالت وستظل تعتمـد فـي اقتصادياتها على التجارة الخارجية تصديراً واستيراداً. وهي مـن المنـاطق الواعـدة إقتصادياً في السودان على مر التاريخ لما حباها الله به من موقـع جغرافـي ممتـاز، ومناخ متنوع، وتربة متفردة، وتكوين سكاني متميـز وثـروات حيوانيـة وزراعيـة متنوعة. وأن حاجتها للأسلحة يومئذ كانت ضرورة تقتضيها حماية حـدودها والـدفاع عن إستقلالها. والاستقلال هدف استراتيجي بالنسبة للسلطان الشهيد علي دينار تقتضي حمايته وتامينه والدفاع عنه توفير الأسلحة. وتأمين مصادر آمنـة لتوريـده وإمـداد دارفور يومها باحتياجاتها منه. هذه الأسباب ظلت تشكل في مجموعها إحدى دواعـي الإقتراب بين الطرفين السنوسي والدارفوري في هذه الفترة الحرجة من تاريخ المنطقة. حيث كانت ولا زالت وستظل تشكل ليبيا ظهيراً هاماً وواقيا لدارفور .

لذا يلاحظ بمجرد تسلم السلطان الشهيد علي دينار العرش فكر في الاستفادة مـن الطريق التجاري الذي يربطه بالشمال مع ليبيا. ومن المعلوم أن العلاقة بين دارفـور وليبيا هي علاقة عرقية وثقافية واقتصادية أزلية ضاربة بشعابها في التاريخ فالمساليت هم قد أخذوا اسمهم من موطنهم الأصلي من مسلاتة الليبية. وكذلك المحاميد لهم أبنـاء

عمومتهم في ليبيا وكذا القرعان، وكانت وستظل العلاقة بين دارفور وليبيا هي علاقـــة متصلة ومتينة لا يستطيع نظام سياسي أو تجمع جهوي أن يقطعها. فـدارفور كانــت ولا تزال وستظل بوتقة انصهار عرقي وثقافي ونقطة ارتكـــاز حـضاري وتواصـــل اجتماعي خطير. وبالتالي فإن إجراء أي عملية جراحية على المستوى الـسياسي فـــي دارفور حالياً أو مستقبلاً تحاول إنكار هذا الوجود العربي الذي امتزج بالـــدم الحـــامي والزنجي لمئات بل آلاف السنين يكون قد تجاوز السقوف الائتمانية المنطقية والعقلانية والاجتماعية والحضارية. ويظل أي حزب أو جماعة طائفية أو قوى حزبيـــة حديثـــة اسلامية أو علمانية تطرح طرحاً مغايراً لهذا المفهوم العقلاني والواقعي فانه يظل بوقاً غربياً يعزف عزفاً نشازاً بكل المقاييس وبعيداً كل البعد عن الواقع ودراسة مفــردات التاريخ الدارفوري بذكاء ووعي. ويعبر موقفه بهذه الكيفية عن بلادة تاريخيـــة وتبلـــد حسي في مجال الوعي التاريخي العام. وفي هذه الأثناء زادت شكوك الحكومة الثنائية البريطانية في السودان حول نوعية وطبيعة ومدى العلاقة التي يمكــن أن تنــشأ بـــين قوتين ذاتي نزعة دينية واستقلالية وطنية وما ينتج عن ذلك من خطــر علـــى القـــوة المصرية الإنجليزية في السودان[5]. وذلك لما عرفت به الــسنوسية والحركـــات ذات الاتجاه السياسي الديني من شراسة وفهم ووعي متقـــدم تجـــاه القـــوى الاســـتعمارية الاحتلالية الغاشمة. والسنوسية كما ذكرنا هي حركة جهادية كما هي حركـــة صـــوفية تربوية إعدادية ذات توجه سني. ولقد كان لأحمد بن إدريس الفاسي دفين صبيا بعسير جنوب المملكة العربية السعودية الحالية، دور كبير في غرس هذه المعـــاني الـــسامية وتلكم القيم الرفيعة في أعماق المؤسس الأول محمد بن علي السنوسي الكبير.

وبدأت الحساسية الإنجليزية تتعاظم يوماً بعد يوم تجاه نشوء مثل هذه العلاقات منذ اليوم الأول لحكم السلطان. فقد جاء في أحد تقارير المخابرات ما يـــدل علـــى وجـــود علاقة وثيقة بين السنوسية والسلطان. حيث وردت الإشارة إلى أن رئيس فرقة سنوسية استطلاعية قد دخل الفاشر من غير تأكيد[6]. مغزى هذه الإشارة أن السلطان قـــد بـــدأ

[5] S.I.R. MAY 1900.
[6] Ibid.

يتطلع إلى إيجاد منفذ خارجي لتجارته. وفي الوقت ذاته كان يهدف إلى بنـــاء علاقـــة خارجية تكفل إستقلال بلاده. وتبدو عدم صحة ما ورد في مصدر آخر من أن السلطان بدأ علاقاته مع السنوسية سنة 1904م[7]. لما ثبت من أن محمد المهدي السنوسي قـــد أرسل في أول يناير من عام (1900م) أربعة مبعوثين إلى الـــسلطان الـــشهيد علـــي دينار. وقد استقبلهم هذا السلطان مبدياً مظاهر الود والاحترام إزاءهم وأخفاهم في بيته ولم يرهم أحد[8].

يشير ذلك التقرير الاستخباراتي البريطاني إلى مدى إدراك السلطان الشهيد علـــي دينار منذ الوهلة الأولى لأبعاد مثل هذه العلاقة ونظرة الحكومة الثنائية البريطانية لها. فلا غرابة أن أحاطها بقدر من السرية حفاظاً لإستمراريتها. ويدل هذا الاتصال المبكر على أن هناك قواسم مشتركة ومنذ اللحظات الأولى لمجيئه إلى سلطنة آبائه. وأنه كان يعمل بحذر شديد وفق إستراتيجية محددة في علاقاته بالحكم الثنائي البريطاني. ولعـــل ذلك يفسره عدم السماح لنفسه بمقابلة أي مسئول أوربي أو وضع يده في يده أو السماح لأي أوروبي بدخول بلاده لأكثر من ستة عشر سنة وهو موقف يستحق الإشادة ويثير الإعجاب خلال تلك الفترة الحرجة والعصيبة من تاريخ السودان والعـــالم الإســـلامي والأفريقي الحديث والمعاصر.

وقد سعت الحكومة الثنائية البريطانية من جانبها جادة للتأكد من صحة وجود مثل هذه العلاقة ومحاولة سبر أغوارها. فكتب أحد رجالات الاستخبارات البريطانية قائلاً: (إن الأخبار التي أفادتها مصادرنا اتحاد السنوسي وعلي دينار)[9].

هذه الإشارة وهي مبكرة جداً بكل المقاييس تؤكد على وجود علاقات - بدأت تأخذ مساحة من تفكير الاستخبارات البريطانية وعملها - بين سلطان دارفور والـــسنوسية. وحري بالسلطان الشهيد علي دينار بأن لا يجاهر بوجودها لإدراكه بحـــساسية الحكـــم الانجليزي المصري تجاه الحركات الدينية ذات التوجه الـــسياسي والـــوطني. وحـــق لانجلترا أن تكون على هذه الدرجة من الإفراط والحساسية والحذر في نظرتها إلى مثل

(7) A.J. Arkell: The conage of Ali Dinar. S.N.R Avol 23 (1940) Part. 2. p. 157

(8) يونان لبيب رزق، مصدر سبق ذكره، ص 238.

(9) تقارير المخابرات S.I.R. 2/16 Appendix (K) July 1900

هذه العلاقة، لا سيما وقد ذاقت إنجلترا الأمرين خلال الحكم المهدوي فـــي الـــسودان ولا يمكن أن تنسى بحالٍ ما لحق بها من هزائم منكرة مرّقت سمعتها وهيبتها بالتراب، والغربيون كالثعابين لا ينسون الهزيمة ولا يتخلون عن الثأر لهزيمة لحقت بهم عبـــر التاريخ مهما طال الزمان لأن وعيهم التاريخي حاضر دوماً ولا يسمحون لكرامتهم أن تهان أو تداس بالأقدام عكس حالنا في العالم الإسلامي والعربي والأفريقي لأننـــا أمـــة كتب عليها أن تنسى وأن تلدغ من الجحر الواحد أكثر مـــن عـــشر مـــرات. وجـــدير ببريطانيا التي وقف قائدها العسكري بعد قرابة الألف سنة على قبر القائد البطل صلاح الدين الأيوبي وقال وهو يخاطب المقبرة: نحن عدنا الآن يا صلاح الـــدين – إن كـــان ذلك شأنها حريٌ بها أن لا تسمح بتكرار التجربة التي تمثلت في قيام الدولة المهدويـــة التي هزمن جيوش الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس والتـــي تـــسمىٰ نتيجـــة استغلالها وظلمها للشعوب المقهورة في الأرض ببريطانيا العظمـــى مـــع محدوديـــة إمكانياتها الإدارية والمالية. ولعل هذا ما حدا بها إلى متابعة طبيعة هذه العلاقات بحذر دائم. ولدقة الموقف أرسل السلطان الشهيد خطاباً إلى مدير كردفان بغية تحويل الأنظار عن صلاته السرية بالسنوسية ورد فيه: (الشريف محمد السنوسي في هذه الأيام تحرك قيامه من محله الذي كان به وأتى زاحفاً حتى قرب الحدود برجاله وعموم جيشه وتـــم وصوله بمحل يدعى النخل القصار على طريق الأربعين. وبالتأمل أنه قاصـــد الحـــج لبيت الله الحرام بطريق دنقلا ولم أمكنا تأخيره)[10]. هذا أسلوب يدل على حنكة قيادية ومراس سياسي ضعيف قصد منه السلطان التعمية وذر الرماد في عيون الاستخبارات البريطانية.

ولربما كان القصد من هذه الإشارة إلباس علاقته مع السنوسية قدراً من الشرعية ووضع السلطات البريطانية في الصورة. ولعل تحرك السنوسي نحو البيت الحرام هو عين ما أشارت إليه صحيفة البصير المصرية التي تصدر في الإسكندرية فـــي عـــدد نوفمبر سنة 1900م. مشيرة إلى أن السنوسي قد تحرك نحو دار فور قاصداً الإتحـــاد مع علي دينار ضد الحكومة المصرية الإنجليزية. إن هذه الإشارة مهما كانت سذاجتها

[10] علي دينار إلى مدير كردفان في 9 ربيع الاخر سنة 1318هـ يوليو سنة 1900م INTELL 2/5/14

أو عدم موثوقيتها لها دلالتها الموضوعية لأن إشاعة على هذا المستوى لا يمكن أن تخرج من فراغ. وكما يقال لابد من أن تكون تحت الرماد نار لا سيما في هذه الفترة المبكرة من وجود السلطان بدارفور. وفي ذات الوقت تدل على مدى عمق العلاقة الدارفورية السنوسية ومتانتها وجذورها، مما يعني أن علاقة السلطان بالسنوسية لم تكن وليدة أحداث 1914م فحسب وإنما كانت أبعد من ذلك بكثير. وفي سنة 1903 لم تورد الوثائق أي أخبار عن تطور جديد في العلاقات بين الطرفين واستمراريتها. حيث شغل سنين التاماوي القائد المهدوي المخلص لمهدويته ولمبادئه في غرب دارفور في دار تاما جانباً كبيراً من جهد السلطان الشهيد علي دينار وكذلك غارات الزغاوة في الشمال ولعل الصورة من خلال هذه القراءة التاريخية لمنطقة دارفور تكشف عن طبيعة ما يجري فيها من أحداث الآن. فالزغاوة هم الزغاوة وأهل دارفور هم أهل دارفور الكل منهم له دعوى تاريخية في المنطقة والكل يأنف من الإذعان لسلطة مركزية يكون على رأسها الطرف الآخر ولعل هذا من زاوية أخرى يقودنا إلى تفسير تاريخي منطقي للتفتت والتجزؤ والتشقق الذي تعانيه حركات دارفور المتعددة وكذلك ما يعرف بالنهب المسلح في دارفور الذي لم يكن في يوم من الأيام مقصوراً على اثنية معينة أو عرقية بعينها أو قبيلة او عشيرة بذاتها حيث نجد أن من يقومون بالنهب المسلح قديماً وحديثاً يمثلون كل ألوان الطيف العرقي والإثني والقبلي والسياسي والثقافي والجهوي بدارفور دون استثناء أو استنكاف من عرقية او قبيلة بعينها، واستطاع السلطان الشهيد علي دينار بعد هزيمتهم أن يفتح الطريق إلى الكفرة. فأصبح يستورد أسلحة حديثة من هناك[11]. فالقضية في دارفور كانت ولا تزال وستظل قضية صدام وحرب ثأرية لأتفه الأسباب بعيداً عن الأثنية أو العرقية فهي ذات طبيعة ثقافية وسياسية واجتماعية أكثر منها صدام أعراق. وكانت في الغالب الأعم تحل عن طريق مجالس ومشايخ القبائل بصورة ودية أكثر منها دموية. ولا تزال مشاكل الدم وإزهاق الأرواح تحل عن طريق مجالس الصلح ولا شيء غير ذلك يمكن أن يحلها.

---

(11) المصدر نفسه.

وفي سنة 1906م عادت المصادر البريطانية العميلة للاستخبارات البريطانية لتؤكد بأن السلطان الشهيد علي دينار قام بمحاولات جادة لفتح طريق القوافل والتجارة إلى الكفرة عن طريق آبار الويطة. ووفق في ذلك حيث أصبح التجار عن هذا الطريق يحضرون الأسلحة من الشمال ويتاجرون فيها لدى الفاشر وأصبح تجار الأسلحة هؤلاء يقابلون مقابلة حسنة[12] في كل من الفاشر والكفرة وطرابلس. مما لاشك فيه أن العلاقة بين دارفور وليبيا هي علاقة تدعمها عرقيات أصيلة موجودة في كل من البلدين.

كما أن هاتين الإشارتين تكشفان عن الدور المبذول من قبل السلطان ومحاولاته الجادة لفتح طريق تجاري. وتلقيان الضوء على الحاجة الملحة لإيجاد منفذ تجاري يجعله يتفادى الرقابة المفروضة عليه من قبل الحكومة الثنائية البريطانية ورقابتها الاستخباراتية وكذلك مماطلتها في إمداده باحتياجاته من الأسلحة. وشكلت الديار السنوسية (ليبيا الحالية) مورداً ومصدراً هاماً وظهيراً أمنياً لا يمكن الاستغناء عنه بالنسبة لسلطنة دارفور الناشئة في ظل الظروف الدولية الراهنة.

وبدأ السلطان الشهيد علي دينار من جانبه يشجع التجار القادمين من طرابلس حيث استضاف في مارس سنة 1906م إثني عشر تاجراً سنوسياً واشترى كل ما لديهم من أسلحة وأعطاهم حوالي أربعة آلاف دينار هدية وتشجيعاً لهم[13]. وهذه سياسة اقتصادية واعية تعتمد على تحفيز الاستثمار الأجنبي وتشجيعه بشتى الوسائل.

وقام السنوسي في المقابل بتشجيع التجار السنوسيين للذهاب إلى دار فور وبيع الأسلحة بتلك البلاد[14]. وتم إيفاد الشيخ عبد القادر الأزرق من قبل السنوسي بوصايا وهدايا وأسلحة لبيعها في دار فور[15].

هذه السياسة الدارفورية من قبل السلطان الشهيد علي دينار يبدو أنها قد حققت جزءاً من الأهداف الإستراتيجية البعيدة الأمد التي يرمي إليها السلطان، وهي تتمثل في

(12) S.I.R. 140/4 MARCH 1906

(13) S.I.R. 140/4 MARCH 1906
S.N.A INTELL 2/3/12

(14) محمد عابد الشريف السنوسي 13 رمضان سنة 1326هـ

(15) المصدر نفسه.

إيجاد منفذ تجاري بديل عن سواكن والبحر الأحمر والسودان الشرقي وإثبات استقلالية بلاده والحصول على مصدر للسلاح يدعم به موقفه ووجوده، ويقوي به ترسانته الحربية تحسباً لأي هجوم أو محاولة عزل له من قبل الحكومة الثنائية البريطانية التي لا يُؤمَن لها جانب. ويدل ذلك على وعيه بالمعطيات الراهنة وإدراكه لأبعاد السياسة البريطانية في البلاد.

وأبدى أحمد الشريف السنوسي إهتماماً خاصاً بقوافل دارفور وتلقف أخبارها بشغف زائد وتزويد السلطان بتحركاتها والتسهيلات المقدمة لها[16]. مما يدل على متانة العلاقة بين الطرفين منذ فترة مبكرة. ولعل ذلك كله مما يدفع ما تعللت به الإدارة الثنائية البريطانية من مزاعم مفادها أن السلطان لم يلجأ إلى السنوسية والدولة العثمانية إلا يائساً من حلول الحكومة الثنائية البريطانية لمشكلة القبائل والحدود الغربية وحيلولتها دون حصوله على السلاح من قبلها. بيد أن الأمر لهو أبعد من ذلك وأعمق بكثير في تقدير المؤلف من سذاجة هذا التحليل الخطير. وهذه الرؤية الغربية الفطيرة إزاء هذا البطل الوطني الواعي لمرامي السياسة البريطانية في بلاده وفي المنطقة الأفريقية والعربية على العموم فقد كان السلطان الشهيد اكبر قامة من هذه النظرة الضيقة وهذا التحليل الفج.

ومن خلال ما تقدم يتضح أن العلاقة الدارفورية السنوسية لم تكن وليدة أحداث الحرب التي أسموها زوراً الحرب العالمية الأولى والتي كانت في حقيقتها حرب أوروبية. فهناك إشارات تؤكد على أن علاقات دارفور مع السنوسية ترجع بجذورها إلى فترة متقدمة جداً من حكم السلطان وقد أثارت مخاوف الحكومة الثنائية البريطانية منذ فترة مبكرة لا سيما استجلابه للسلاح من طرابلس وغيرها[17].

وكان اتجاه السلطان للتسلح تحسباً للمستقبل وتعويضاً عن خيبة الأمل التي أصابته من عدم إمداده بما يحتاجه من سلاح من الحكومة الثنائية البريطانية وموقفها تجاه

---

[16] أحمد الشريف إلى السلطان في شعبان سنة 1328هـ الموافق 1910/7/15م S.N.A. INTELL 2/3/12

[17] جمادي الأولى سنة 1329هـ الموافق 1911/34م S.N.A. INTELL 2/3/2

ما يدور على حدوده الغربية. وانفتحت بذلك صفحة مشرقة ما بين دارفور والسنوسية فالقوافل بين ليبيا ودارفور ظلت ذاهبة وآيبة. وتجار السلاح السنوسيون طفقوا يفــدون على دارفور تترى. وطفق أحمد الشريف السنوسي يلبي طلبات السلطان من الأســلحة دون قيد أو شرط. ولم يقتصر الأمر على أحمد الشريف السنوسي وإنما ظــل إخوانــه من أعضاء الأسرة السنوسية يقومون بالدور نفسه تجاه السلطان[18]. حيــث يبــدو أن السنوسية من جانبها بدأت تنظر إلى دارفور باعتبارها عمقاً أمنياً وبعــداً اســتراتيجياً هاماً وأفقاً اقتصادياً هاماً. ولا تزال دارفور بالنسبة للجماهيرية الليبية الحاليــة تــشكل عمقاً أمنياً واستراتيجياً وسوقاً اقتصادية هامة وخطيرة في ذات الوقت ومنطقة تــداخل عرقي واثني.

وفي سنة 1912م توافد التجار السنوسيون تباعاً على دارفور بغية الربح، وطلب أحمد الشريف السنوسي من السلطان مساعدتهم[19] وتسهيل مهامهم. وبــذا ظــل هــذا المنفذ التجاري الشمالي مفتوحاً تغدو القوافل منه وتروح والسلطان يبعث رسله تباعــاً لاستجلاب السلاح تقويةً لترسانته الحربية وتمتيناً لموقفه الاقتصادي ويبعــث بالهــدايا تترى للسنوسي[20].

من جملة ما سبق يتضح أن السلطان الشهيد علي دينار كان حاكماً إسلامياً وطنياً من الدرجة الأولى عكس ما كتب وأشيع عنه بواسطة أقلام الاســتخبارات الانكليزيــة والفرنسية المغرضة التي درجت على قلب الحقائق وتزوير الواقع فقد كان بحق غيوراً على استقلاله ووطنه. ولكي يحافظ على هذه الروح الاستقلالية ولكــي يثبــت أقدامــه فلا بد من أن ينال ثقة جيرانه من القيادات الوطنية ذات النزعة الاســتقلالية والتوجــه الإسلامي. فاعتراف القوى المحيطة به أمر تقتضيه الظروف. وخشيت الحكومة الثنائية البريطانية من تطور العلاقات التجارية بين الطرفين والتي أصــبحت تــشكل تحالفــاً

(18) السنوسي بتاريخ 27 محرم سنة 1328هـ الموافق 1911/12/18م S.N.A. INTELL 2/3/12

(19) السنوسي إلى علي دينار بتاريخ 30 ذو الحجة 1330هـ الموافق 1912/11/11م.
S.N.A. INTELL 2/3/12 .

(20) علي دينار إلى ابن إدريس السنوسي في سنة 1333هـ الموافق 1915م S.N.A.INTELL 2/3/12

سياسياً وعسكرياً قبيل نشوب الحرب التي تسمى بالعالمية فعملت على مراقبة طريق درب الأربعين وعرقلت القوافل التجارية فيه(21)، وذلك أثناء المقاومة الدارفورية للحكم الأجنبي في البلاد، ومما لا شك فيه لو أن ألمانيا وتركيا أوليا هذا الحلف الدارفوري السنوسي عناية خاصة وتحركتا بوعي وإيجابية أثناء اندلاع الحرب الأوربية الأولى لآتى ذلك ثماره اليانعة ولأفسد خطط الحلفاء في المنطقة، ولكن بالنسبة لألمانيا يبدو أنها قد أصيبت بخيبة في القيادات العربية حتى عادت تشكك في ولاء أي قيادة عربية على أي مستوىً وفي أي بلد عربي. ذلك لأن بعض الزعامات العربية التي كانت تطفو على السطح يومئذٍ وعدت الألمان بإشعال نار الحرب ضد انجلترا في كل بقعة من بقاع الرقعة العربية. ولكن سرعان ما اكتشفت الاستخبارات الألمانية أن هذه القيادات العربية كانت تميل كفتها مع من يدفع أكثر بما في ذلك شريف مكة(22). وعلى ضوء هذه المعلومات يمكن أن يفسر تقاعس المانيا تجاه كل من السنوسية والشهيد السلطان علي دينار، كما أفقد هذه المقاومة القدرة على الصمود ولو تمكنت ألمانيا أن تخرج من مربع الشك المشار إليه وقامت بعملية فرز موضوعي وقراءة دقيقة وأعانت السلطان الشهيد علي دينار والسنوسية بجزء مقدر من الإمكانات لأجل استعمار المنطقة لسنوات عدداً. وهذه ملاحظات وهنات في التاريخ يلحظها الدارس المتأمل ولكن لغفلة القيادات الوطنية يومئذ عنها كانت سبباً في كوارث تاريخية وقادت إلى هزائم محققة كان يمكن تفاديها لو أحسن القائمون على الأمر التعاطيَ مع مفردات الواقع بإيجابية وبفاعلية لازمة. وهي مشكلة وارفة لازمة من لوازم ومشاكل عالمنا العربي والإسلامي والأفريقي الذي لا يستفيد من عبر الماضي واستثمار الذاكرة التاريخية ومفرداتها ومعطياتها في صناعة الحاضر واستشراق المستقبل.

(21) الحكام العام إلى الفيلد مارشال في 1916/5/31م D.S.A. Box 128
(22) وجيه عبد الصادق: ورقة عن الوثائق الألمانية – مؤتمر العرب والتحديات الخارجية عبر العصور/ مصر / القاهرة / جامعة القاهرة / كلية الاداب– قسم التاريخ 17-2007/4/18م.

• **المبحث الثالث :**

النزعة التبشيرية والإحيائية للحركة الوطنية الليبية السنوسية

سبقت الإشارة إلى أن الحركة السنوسية كانت تمثل حركة بعث واعـد ووعـي إسلامي حديث متقدم في طرحه وعرضه ورؤيته فكانت حركة تهدف إلـى اسـتئناف الحياة الإسلامية على غرار حياة الرعيل الأول فكراً ورؤية وتطبيقاً ونظراً. وفي المقام الثاني فهي حركة تبشيرية بغيتها إيصال مفاهيمها الإصلاحية إلى الجمهور المسلم دون التقيد بالحدود الإقليمية أو المحلية أو الدولية أولاً وتبليغ دعـوة الإسـلام إلـى غيـر المسلمين ثانياً فهذان العاملان بدورهما أضحيا يشكلان دافعاً آخر للتقارب بين دارفور والحركة السنوسية[23].

وحيث أن دارفور تعتبر إقليماً مجاوراً لليبيا وقوافلها توصل ما انقطع فلا غرابـة أن حاولت السنوسية خلق قاعدة لها في هذه الديار[24] التي يمكن أن تشكل بعداً أمنيـاً وظهيراً إستراتيجياً لا يمكن الاستغناء عنه.

فما أن أفل نجم المهدية التي لم تلق تأييداً ومساندة منذ البدايـة مـن الـسنوسية للاعتبارات المتقدمة حتى أقدمت السنوسية على استطلاع الأحوال في دارفور لدراسة إمكانية ملء الفراغ الذي أوجده زوال الدولة المهدوية وسلطتها السياسية والدينية والقيام بالتبشير باعتبارها بديلا لها فيما يبدو[25]. وحاول احمد الشريف السنوسي بناء زاوية له في كل من مليط وجبل مرة. إلا أن السلطان الشهيد على دينار تماطل في السماح له ببناء هذه الزاوية ولعله كان يتخوف من أن تملأ السنوسية فراغ المهدية ممـا يـشكل عليه خطراً جديداً. وبالتالي يمكن أن تهدد نفوذه وإرثه الحضاري في دارفور. وأبـدى احمد الشريف السنوسي عدم ارتياحه من ذلك[26] الموقف السالب إزاء اندفاعـه نحـو دارفور. هذه المحاولة تعكس الروح التبشيرية الواضحة لدى السنوسية وفي الوقت ذاته

---

(23) أنظر الفصل الأول من هذا الكتاب

(24) تقارير المخابرات S.I.R. (70) 11TH MAY TO 3TH JUNE 1900

(25) تقارير المخابرات S.I.R. 10TH ADR TO 9TH MAY 1900

(26) تقارير المخابرات S.I.R. 42/4 1SH TO 31ST MARCH 1902

ترينا مدى الأناة والحذر اللذين كان يتمتع بهما السلطان الشهيد على دينار تجاه تعامله مع القوى المحيطة به لا سيما وهو في بداية المشوار مما يعني أنه كان حذراً إزاء أي نفوذ خارجي أياً كان مصدره ودوافعه يمكن أن يشكل خطراً على وجوده في دارفور تحت أي مسمى من المسميات أو في أي ظرف من الظروف.

ولم يكن هذا التماطل المقصود من قبل السلطان الشهيد على دينار ناجماً عن روح عدائية للسنوسية بالذات بل فيما يبدو كان اتجاهاً سياسياً بحتاً أملته الظروف الآنية القصد منه تحويل أنظار الحكم الثنائي البريطاني عنه. حيث أشار إلى ذلك العميل الشيخ صابر جبريل أحد رجالات المخابرات الثنائية البريطانية بقوله: كان علي دينار يتظاهر بعدائه للسنوسية ولكن في الواقع كانت صلته الروحية بالسنوسية قوية إلى حد كبير. والدليل على ذلك وصول أثنين من مندوبي السنوسي احتفل بهما السلطان الشهيد علي دينار وفي الحفل نسي نفسه فسأل أحدهما بقوله كيف حال سيدنا. وما أن تنبه إلى وجود مبعوث الحكومة الثنائية البريطانية حتى التفت نحوه إن كان لاحظ ذلك أم لا[27]. إذاً كان لهذا التباطؤ ما يبرره إذ أحاطت الحكومة الثنائية البريطانية السلطان بعدد من الجواسيس بغية الحصول على تفاصيل حول ما يدور بين احمد الشريف السنوسي ودارفور ونقل أخبار دارفور طازجة إلى قلم الاستخبارات البريطاني في الخرطوم. وفي السودان ينبغي أن نقرر بأن تعبير سيدنا هو تعبير شائع لدى أهل السودان ولعل مرده إلى عمق الوجدان الروحي والإرث الصوفي لدى أهل السودان عموماً. وقد لا تكون له دلالة موضوعية أو علمية من حيث تبعية السلطان الشهيد علي دينار للشيخ محمد المهدي أو حمد الشريف السنوسي. فأي شيخ في السودان يقال له سيدنا، وفي أدب الخطاب السوداني، يعني المصطلح أن المقصود به هو شيخ عالم أو شيخ طريقة.

بيد أن صاحب الدعوة السنوسية الشيخ محمد المهدي السنوسي كان في عجل من أمره حيث بعث بخطاب عاجل آخر إلى السلطان يطلب فيه منه إيضاح عدم الرد على

---

(27) تقارير المخابرات S.I.R. 80/5 9TH feb to 8TH march 1902

خطابه السابق والذي طلب فيه من السلطان الشهيد على دينار قبول طريقته واستقباله له حين قدومه قاصداً الحج[28]. هذا في الوقت الذي لم يكن فيه السلطان الشهيد علـــي دينار يملك الإمكانات الغذائية والأمنية التي يمكنه توفيرها لقوة يفــوق عــددها علـــى العشرين ألفاً من الأفراد. لذا قام بقفل طريق الأربعين وطريق دنقلا[29]. خوفـــاً مـــن حدوث انفجار سكاني في بلاده. وخليق بالسلطان وأي قيادة سياسية واعية تتعاطى مع الواقع بايجابية وتعتبر بمفردات التاريخ الحديث والمعاصر وتمتلك ذاكرة تاريخية قادرة على الاستدعاء المناسب في الوقت المناسب أن تتخوف ولما ترتكز أقدامه أو أقـــدامها بعد من قدوم قوة هائلة منظمة ومتسلحة بعقيدة راســخة وقيـــادة واعيـــة ذات نظـــرة استراتيجية بعيدة المدى كهذه. وتحت الإلحاح أجاب السلطان بأنه يؤيد الـــسنوسي فـــي توجهاته ودعوته. أما عن تهيئة مكان لـــه أثناء عبوره اقترح عليه جبل مـــرة مكانـــاً لإقامته[30]. من خلال هذه الإشارة نلاحظ أن السلطان الشهيد على دينـــار لـــم يوافـــق وحتى هذه اللحظة على الطلب ورغم الإلحاح الشديد من قبل السنوسي لإقامة زاوية له في دارفور. إلا أنه أبدى أعذاراً لطيفة لا تخرج عن حد اللياقة والدبلوماسية الحـــصيفة ولم يحاول في رده أن يخسر الكفة السنوسية تماماً. ولكنه في الوقت ذاته كان حذراً من تواجد قوة ذات تنظيم دقيق وإدارة مقتدرة وعقيدة راسخة من أن تتوغل فـــي بـــلاده. الأمر الذي قد يهدد وجوده وكيانه المستقل. ولعل تأني السلطان ناتج من جانب آخر من معرفته التامة بما تعنيه الزاوية السنوسية التي كانت تعني وحدة إدارية وخلية تنظيمية وسياسية وعسكرية واقتصادية وبعثة دينية ووحدة إعلامية مقتدرة. ولئلا ينقطع حبـــل الوصل بين الطرفين بعث السلطان بهداياه إلى السنوسي بغية تطييب خاطره. وتـــذكر بعض التقارير الاستخباراتية الانكليزية أن السلطان شرع في بناء زاوية للسنوسي فـــي جبل مرة[31]. أن اختيار جبل مرة كمقر للزاوية السنوسية تدل على بعد نظر الـــسلطان لأن من المعروف أن جبل مرة ظهير امني لدارفور ويقع بعيداً عن العاصمة وبعيـــداً عن رقابة الحكومة البريطانية ووصول جواسيسها إليه.

(28) تقارير المخابرات S.I.R. 80/5 Appendix (A) 9TH Feb. to 31TH march 1901

(29) المصدر نفسه، وهو ما ذكره الطاهر الحاج عربي بعد رجوعه في مارس سنة 1901م S.I.R. 80/5

(30) المصدر نفسه.

(31) المصدر السابق

وجاءت إشارة أخرى تفيد: (ولد السنوسي البوسطة سارية فيما بينهم مع السلطان علي دينار قريباً أرسل مخاصيص من طرفه إلى السلطان علي دينار ولغاية الآن رسله موجودين بالفاشر حقيقة حالهم لم تكن معلومة. ومنذ شهرين حضر من الفاشر عثمان محمد الدنقلاوي المشهور بكسار الشنيب المتوطن أم درمان أخبر أنه بوجوده هناك حضرت بوسطة من ولد السنوسي للسلطان صحبت مخصوص بأمره ببناية زاوية ... إن هذا الخبر سمعه قمر الدين البرناوي المقرب للسلطان)[32]. هذه الإشارات الواردة في تقارير المخابرات تدل على أن الحكومة الثنائية البريطانية كانت ترقب عن كثب كل ما يدور بين السلطان الشهيد علي دينار ومحمد المهدي السنوسي بحذر بالغ وبدقة متناهية. كما أنها تلقي الضوء على وجود عملاء وطنيين باعوا دينهم ووطنهم لقاء دريهمات معدودات للأجنبي وهم سودانيون دماً ولحماً ووطناً كما هو الشأن الآن فهذه نماذج بشرية غريبة وان اختلفت لوناً ومكاناً وزماناً وثقافةً ولغةً وحضارةً فهي نماذج وضيعة همها ذاتها ولا شيء غير ذاتها في مقدورها بيع ضمائرها وأوطانها وأقوامها وأديانها وأخلاقها في سبيل تحقيق مصلحة آنية عاجلة وكسب رخيص. لأنه مهما كانت المبررات أو المسوغات فإن التخابر مع الأجنبي وبيع معلومات له أياً كانت درجتها تندرج في خانة الخيانة العظمي.

وهذا الخطاب المتقدم يفيد حسن العلاقة بين الطرفين وحمل في ذيله اهتمام محمد المهدي السنوسي بقضية نشر طريقته وتأسيس خلية لها في دارفور وبناء مركز يكون قاعدة انطلاق لها. وخلال ذلك تواترت التقارير الثنائية البريطانية التي تصف هذا الاتجاه وموقف السلطان بقولها: (أما السلطان فقد كان مصمماً على إتباع السنوسي وكان يرى في ذلك إنقاذه والمحافظة على إستقلاله ببلاده وعقيدته قوية في ود السنوسي الذي إنتهز تلك الفرصة فأرسل إليه علماً عليه اسمه والراتب وأرسل له خادمة. واقترح على السلطان إقامة زاوية ومكان للسنوسية في جبل مرة تحسباً للمستقبل إذا هوجمت الفاشر)[33] إذاً يبدو أن اختيار جبل مرة كان باقتراح من القيادة

---

[32] باش معاون مديرية كردفان إلى المفتش العام في سنة 1901م S.N.A. Intel 2/5/2

[33] تقارير المخابرات، خطاب إلى شيخ جمعة بتاريخ 1901/7/2م الموافق 15 ربيع الأول 1319هـ S.I.R. 58/5.

السنوسية ذات التحليل الموضوعي والنظرة الإستراتيجية تحسباً لما يحمله الغيب من مخاطر واحتمالات غير متوقعة ومفاجآت مباغتة. ويلاحظ المؤلف، أن السلطان لو تمتع بنظرة إستراتيجية إقليمية منذ البداية وتجاوز النظرة الضيقة التي هي ضربة لازب لكثير من السياسيين السودانيين في التاريخ الحديث والمعاصر، فأقام عدداً من الزوايا للسنوسية في المنطقة منذ البداية لأكسب الوجود السنوسي أرضية صلبة في دارفور كان في مقدورها أن تسانده في لحظات الشدة في تثبيت أقدامه ضد الوجود الاستعماري الانكليزي في الشرق والفرنسي في الغرب بالبلاد لاسيما حين إعلان الحرب الأوربية الأولى. بالرغم مما في هذا الإجراء من المخاطرة حيث لا يستبعد المرء إمكانية وجود مطامع للسنوسية في بلاده يمكن أن تؤثر على موقعة وموقفه من جانب آخر ففي نظري أن هذه التقريرات قد لا تبعد كثيراً عن الحقيقة من حيث اعتماده على قوة ذات جانب. أما من حيث قوة عقيدته في السنوسية يبدو أن السلطان الشهيد على دينار لم يكن اهتمامه بالطريقة عالياً بقدر اهتمامه بفتح الطريق التجاري واستيراد السلاح من ليبيا والتعاطف مع قوة سياسية دعوية وطنية ذات توجه إسلامي. إلا أنه كان يريد أن يتعامل معها معاملة الند للند لا التابع للمتبوع. ولعل هذا الرأي يفسره تباطؤه وترويه بل تردده في إقامة زاوية للسنوسية بالعجلة التي أرادها (ود السنوسي). ويلقي الضوء على هذا الرأي أنه كان يبحث عن قوة ذات جانب. لذا لا غرابة أن قام بطرد السنوسيين من بلاده بمجرد موت محمد المهدي السنوسي الشخصية القيادية ذات الجانب[34] المهاب في المنطقة. وقد يتساءل المرء كيف يمكن أن يحدث ذلك التناقض في المواقف والإجراءات بالرغم من ما مر عرضه من تعاطف وتعاون وتواصل بين الطرفين ؟.

يبدو أن لهذا الطرد مبرراته الموضوعية، فلربما كان ذلك لتخوفه من انتشار السنوسية الذي بلغ شأواً بعيد في عهد محمد المهدي السنوسي حتى بلغت حدود دارفور. ولا شك أن قوة ديناميكية كهذه لابد من أن يحسب لها السلطان الشهيد على دينار حسابها معيداً النظر في علاقاته معها خوفاً من احتوائها له. والسلطان الشهيد

[34] تقارير المخابرات، S.I.R. 140/25-27 1st to 31st 1903

على دينار عرف بتدينه ووطنيته وبحساسيته المفرطة منذ اللحظات الأولى لتوليه السلطة ضد أي تدخل خارجي ذي نفوذ قوي أياً كانت دوافعه ومراميه حرصاً على استقلالية بلاده التي كلفت أهل دارفور أرواحاً وجهاداً طويلاً[35]. ولعل هذا العيب الذي تمثل في حذره الشديد وتخوفه من الغريب من زاوية أخرى حرمه من إمكانات السنوسية وقدراتها وخبراتها الجهادية والتنظيمية الفائقة. ولعل الشخصية الدارفورية عموماً كانت ومازالت هي شخصية مترددة وذات شكوك فيمن حولها وهي ذات السجية التي حاولت جهات أجنبية ومحلية في الوقت الراهن استثمارها وتوظيفها لتحقيق أجندتها الخفية من أجل معارضة النظام القائم وإضعاف إمكاناته وقدراته. حيث نلاحظ أن الأحزاب الشمالية حاولت أن تستغل هذه الصفة لصالح أجندتها حين تكون في المعارضة. علماً بأن هذه الأحزاب الكبيرة في السودان هي التي أهملت دارفور وتنميتها وترقية إنسانها حين كانت في سدة الحكم وهي التي دعمت الشرذمة الجهوية في دارفور ومزقت وحدتها وكيانها الاجتماعي. ومن زاوية أخرى يمكن القول لربما مرد هذا القدر من الحذر في التعامل مع الآخرين ناتج من طبيعة الحياة القبلية المتمردة على السلطة المركزية أو لربما يعود الأمر إلى طبيعة الحياة الرعوية والجبلية والأرضية الثقافية والتكوين العشائري والوظيفي في بعض المناطق وأقدار التكوين الفسيفسائي للمجتمع الدارفوري. وهي قضية موضع نظر في تحليل ما يدور في دارفور الآن من مشاكل بين أهل دارفور وجيرانهم في السودان وبين أهل دارفور أنفسهم داخل محيط دارفور نفسها وهي مسألة جديرة بالبحث والتناول الموضوعي.

ويدرك المرء أبعاد خطورة هذه القضية إذا علمنا أن عددية زوايا السنوسية قد بلغت يومئذ ثمانية وخمسين زاوية خلال فترة وجيزة من السماح للسنوسيين بممارسة نشاطهم الدعوي والتبشيري. وبلغ من نفوذها أن بعض شيوخها أصبحوا سلاطين[36]. لذا يبدو أن السلطان الشهيد علي دينار كان محقاً في تخوفه من قوة محاربة شرسة تتسلح بعقيدة، وتتمتع بقيادة لا ترضى بغيرها بديلاً وتملك مقدرة فائقة على الإقناع

[35] D.S.A. Box 114/12: Military notes on western Egypt. Op. cit. pp. 16-12

[36] مجلة الهلال، مصدر سبق ذكره. D.S.A. Box 301/6

والاستقطاب الجماهيري الواسع لا سيما وأن التجربة المهدوية لا تــزال ماثلــة أمــام عينيه. ولئلا يخسر الجانب السنوسي تماماً نهج دبلوماســية مقتــضاها غمــر شــيوخ الطريقة من أولاد السنوسي الكبير بليبيا بهدايا. فمن ذلك على سبيل المثال لا الحــصر إرساله مبلغ مائة ريال مجيدي وهدايا تتكون من سمسم وعسل إلى محمد عابد الشريف السنوسي[37] بغية التأثير على أصحاب القرار في المركز. وهو أسلوب قام بإتباعه مع زعامات الحكم الثنائي البريطاني لاحقاً ولــه مردوده الإيجابي السريع. وقــد اتبعتــه الحكومة البريطانية مع الزعماء والقيادات التاريخية والروحية وسلكته حكومة الإنقــاذ مع كثير من الزعامات الطائفية والقبلية والحزبية فتمكنت من كسر شوكتها وقصقصة أجنحتها وتدجينها هذا بالإضافة إلى النفعيين الذين اعتادوا السير في ركاب كل نــاعق مادام قادراً على الدفع أكثر. وهي من باب إرضاع الطرف الآخــر وإعطائــه مــصة أو مصتان من ثدي السلطة بغية اسكاته ونيل عطفه على النظام القائم أو كــف شــره عنها ولو إلى حين. ومن المشاهد أن كل من أمسك بثدي السلطة يصعب فطامه، بل أن بعضهم شق عصا الطاعة على زعامته الدينية.

- **المبحث الرابع :-**

الأطماع الدعوية السنوسية في ودّاي (تشاد الحالية)وحاجتها إليه ملجأ

كان الطرفان الدارفورى والسنوسي مــدركان لأبعــاد التحركــات الاســتعمارية الاحتلالية في المنطقة. ولا يخفى أن ورود إشارة مبكــرة فــي تقــارير المخــابرات البريطانية التي توحي بالاتحاد بين الطرفين فهي ذات دلالة ومغزىً سياسي ومؤشــر إلى ما يدور على المسرح الإقليمي والمحلى وتتلقفه المخابرات الثنائية البريطانيــة[38]. ولذا يمكن القول بأنه قد بدأ التقارب بين الطرفين منذ الوهلة الأولى حيث أوفد محمــد المهدي السنوسي أربعة مبعوثين أخفاهم السلطان في بيته ولم يرهم أحــد[39]. وذلــك

[37] محمد عابد الشريف إلى السلطان علي دينار في 23 رمضان سنة 1326هـ الموافق 1908/9/19م
S.N.A INTELL 2/3/12

[38] تقارير المخابرات S.I.R 22/16 Appendix (k) July 1900

[39] يونان لبيب رزق، ص 238- 239

نتيجة لما يراود الحكومة الثنائية البريطانية من حذر تجاه قيام مثل هذه العلاقات بين قوتين وطنيتين ذاتي نزعة دينية واتجاه استقلالي[40]. الأمر الذي قد ينذر بتكرار تجربة الحركة المهدوية بثوب جديد. وفي ذات الوقت فان هذا الإخفاء يدل على أن السلطان الشهيد على دينار كان يتمتع بحس أمنى عال وبرؤية إستراتيجية واضحة المعالم، ويتعاطى مع واقع محلي وإقليمي يدرك مداخله ومخارجه بوضوح وجلاء.

وفي بداية سنة 1901 بدأ التعاطف الدارفورى السنوي يتخذ بعداً آخر حيث بعث السلطان الشهيد على دينار خطاباً إلى محمد المهدي السنوسي يطلب فيه منه القدوم إلى دارفور بيد أن الأخير لم يلب الطلب[41]. ولعل هذا السلوك الحذر يؤكد على أن كلا الرجلين كان يتصرف بحذر إزاء الآخر بالرغم من شعورهما بضرورة التعاون فيما بينهما في مواجهة الهجمة الاستعمارية الشرسة. وفي ديسمبر سنة 1901م ورد السلطان خطاب آخر من محمد السنوسي المهدي يطلب منه فيه إذا ما واجه ضغطاً من الحكومة أن يتعاونا ويتحدا[42]. الأمر الذي يوحي ببروز اتجاه استراتيجي إقليمي جديد ومنذ الأيام الأولى من تسنم السلطان الشهيد علي دينار لكرسي الحكم ويمكن القول لو قدر لهذا التوجه أن يكتمل لأحدث قراءة سياسية جديدة وتعاطِ متقدم للأحداث في المنطقة دون شك. ويوحي ذلك بأن الصورة قد بدأت تأخذ منحى جديد وتتجه نحو أفق واسع من التعاون والتناصر ضد الوجود الأجنبي في المنطقة سواء في ليبيا أو في السودان أو في تشاد.

وبذا يمكن القول بأن العلاقات الدارفورية السنوسية قد اتخذت بعداً سياسيّاً واتجهت نحو تقارب وشيك يمكن أن يؤول إلى حلف خوفاً من الأطماع الاستعمارية الغربية في المنطقة. هذا بالرغم من محدودية إمكانية كل من القوتين الدارفورية والسنوسية في مواجهة الآلة الغربية الحربية وإستراتيجيتها من حيث العدد والإمكانات والقدرات والخبرات العسكرية والاستخبارية.

(40) المرجع نفسه

(41) المصدر السابق.

(42) تقارير المخابرات، S.I.R. 79/10 Appendix (A) 9th Feb. to 31st March 1902

وتشير إحدى الوثائق إلى أن السلطان الشهيد علي دينـــار كـــان حريـــصاً علـــى الاتصال على الدوام بالقوى المحيطة به في محاولة لإيجاد ركن شديد يمكن الركـــون إليه(43). هذا في الوقت الذي كانت فيه فرنسا وبلجيكا وغيرهما من القـــوى الأوربيـــة الأخرى تدخل في منافسة قوية مع بريطانيا حول أرض النيل(44). وأوشـــك الـــسلطان نتيجة خوفه من الأطماع الثنائية البريطانية في بلاده أن يطلب الحماية الفرنسية. ولكن بعد استشارة استقر رأيه على طلبها من السنوسي وجاءه الرد بالموافقة على حمايتـــه. إلا أن محمد المهدي السنوسي في المقابل طلب منه إقامة زاوية لـــه في جبـــل مـــرة. وتوالت الهدايا بين الطرفين خلال هذه الفترة. حيث أرسل السنوسي مع رسله هدايا إلى السلطان وخطاباً احتوى ثناءً عاطراً عليه وقرئ خطاب محمد المهدي السنوسي فـــي المسجد وقام السلطان في المقابل بإرسال أحد رجالاته ويدعى أبو النور محمـــلاً إيـــاه بالهدايا مع ثلاثمائة رأس هدية للسنوسي(45). وعليه يبدو بروز توجه جديد في سياســـة السلطان الشهيد علي دينار فيما يتصل بعلاقته بالقوى المحيطة. ويمكن القول أن بروز هذا الاتجاه التكتيكي كان مبكراً جداً مقارناً بفترة حكمه التي امتدت سبعة عشر عامـــاً وهو توجه استراتيجي بعيد النظر.

ومن جانب آخر يبدو أن الأطماع الأوروبية والتكالب الاستعماري الغربـــي هـــو الذي حدا بالسلطان الشهيد علي دينار إلى البحث عن حماية. وبـــذا يمكـــن القـــول أن التقارب بين الطرفين أمر اقتضته ظروف المنطقة السياسية والتعاطي معهـــا بفاعليـــة وايجابية. وقد صادف تخوف السلطان من الحكم الثنائي البريطاني ضغطاً فرنسيا عالياً على السنوسية في ودَّاى وعلى دارفور من الناحية الغربية. الأمر الذي اقتضى انتقـــال محمد المهدي السنوسي من الجغبوب بليبيا إلى جيرو بـــالقرب مـــن عاصـــمة وداي. ونشبت بينه وبين الفرنسيين حروب ضاربة نتيجة لحضور جماعة من أولاد ســـليمان من كانم وطلبهم إقامة زاوية سنوسية هناك وابتعاث من يعلمهم العلـــم. فبعـــث معهـــم

(43) تقارير المخابرات S. I. R. 80/8 9th to 31st March 1901

(44) G. N. Sanderson: England, Europe and Upper Nile first ED. London 1960 P.145

(45) S. I. R. 8/8 9th to 31st March 1901 po. cit

محمد المهدي السنوسي أحمد البراني أحد رجالاته وأتباعه. إلا أن ذلك العمل لم ينل رضا بعض أهل كانم من المواطنين عملاء الفرنسيين فأوشوا إلى الفرنسيين بوشاية فحواها أن محمد المهدي السنوسي أرسل جماعة أقاموا زاوية بها سلاح وعتاد. فدارت بين الفريقين نتيجة تلك المعلومات المغرضة معركة حامية الوطيس أعد لها الفرنسيون حملة صغيرة انتصر عليها السنوسيون نصراً باهراً مما يوحي بأن الحركة السنوسية كانت حركة إقليمية ومحلية مؤهلة عسكرياً وتنظيمياً لمقاومة الوجود الأجنبي في شتى صوره. وعاود الفرنسيون الكرة مع زيادة عددهم إلى ألفين وخمسمائة رجل حيث هزم في هذه المعركة السنوسيون[46]. الأمر الذي يؤكد من الوجهة التاريخية والقراءة القائمة على الربط أن الرجل الأبيض والأوروبي والغربي عموماً لا يستسلم بالسهولة ولا يرضى بالهزيمة بل لا يترك الأخذ بثأره وإن مضت قرون على ذلك. وأن روحه السبعية الثأرية أكثر بروزاً من رصيفه الشرقي على وجه العموم الأمر الذي يؤكد على أصالة الإرث الحضاري والإنساني لدى إنسان الشرق من الناحية التربوية والأخلاقية. وفي ذات الوقت فان السلوك الغربي قديماً وحديثاً يؤكد على بدائيته وإن تدثر بدثار الحضارة والمدنية التي لا تعدو عن كونها أصباغاً وقشوراً سرعان ما تسقط وتبرز حقيقته في محك التجربة ولعل ما يحدث الآن في أفغانستان والعراق والمواقف الدولية الغربية خير شاهد على ما نقول. إذ كل يوم تتبدى لنا عدم مصداقية الإنسان الغربي في طرحه وفي مزاعمه وفي سلوكه وتعامله مع الآخر.

وشعر السلطان الشهيد علي دينار بدقة الموقف وتعاطف مع الموقف السنوسي في المنطقة حيث بعث بوفد رسمي إلى الكفرة مكوناً من عشرين شخصاً، بغية توسيط محمد السنوسي في إنهاء الحرب الدائرة بين ودّاي ودارفور. وكان السنوسي يهدف من سعيه في هذا الجانب إلى توحيد جهود السلطانين المسلمين الوداوي والدارفوري ضد المسيحيين الإنجليز والفرنسيين[47]. لقد عجلت الأطماع الاستعمارية في المنطقة بتعاطف وتكاتف القوى الوطنية الإسلامية في البلدين. وتجاوزت بها حدود الإقليمية

---

(46) استطلاع مجلة الهلال، مصدر سبق ذكره D.S.A Box 301/6. op. cit

(47) المخابرات، ربيع الأول سنة 1326هـ S. I. R. 163/25 March 1908

الضيقة والمحافظة على الكرسي إلى المحافظة على بيضة الإسلام والدفاع عن حمـــاه. فورود كلمة مسيحيين في التقرير الماضي ذات دلالة سياسية ومغزى موضوعي مـــن هذه الناحية. ولم يقف الأمر عند حد الكلمة بل تعدى ذلك إلى الفعل الايجـــابي حيـــث يقول الشريف أحمد السنوسي في خطاب إلى السلطان: (والله إننا في غاية الفرح بكـــم لأنه للآن ليس هناك محل يعتمد في نصرة الإسلام غير محلكم ... إن شاء الله لم نزل ساعون في الذي ينوبكم من الجبخانة ولو كان مائة ألف)[48]. هذا الخطاب يؤكد علـــى بروز حلف إستراتيجي وتوافق ظاهر بين الطرفين على المناصرة والمؤازرة وإن لـــم يتخذ ذلك شكل الأحلاف الحديثة القائمة على المعاهدات والمحاضر والوثائق والجلسات المشتركة بين الطرفين. وذلك لصعوبة الاتصال واستحالة الانتقال. ولكنه يكشف فـــي الوقت ذاته عن متانة وجذور هذه العلاقة القائمة على العقيدة وحق الجوار وهي مـــن أمتن الوشائج التي عرفها الإنسان عبر التاريخ.

لا شك أن هذا الجانب من العلاقات السنوسية والدارفورية يعتبر مشرقاً ومضيئاً. وهو بلا ريب يخرج بالعلاقات بين الطرفين من الآفاق الإقليمية الضيقة القائمة علـــى المصلحة الذاتية إلى آفاق الصحوة الإسلامية في وجه التحدي والطغيان الاســـتعماري الغربي للأمة الإسلامية. ويمكن من ناحية أخرى اعتباره معلماً هامـــاً فـــي التـــاريخ الإسلامي الحديث. كما أن كلمات أحمد الشريف بحرارتها وقسمها تعتبر قلادة ووساماً يتوشح به السلطان الشهيد علي دينار لنفي ما حاولت المخابرات الثنائيـــة البريطانيـــة إلصاقه به من تشويه لسمعته وحط لقدره، فقد كان حاكماً إسلامياً ووطنياً غيوراً علـــى استقلاله غيوراً على دينه، غيوراً على وطنه، وأصبح قوة ذات وزن ويـــشكل كيانـــاً يتهدد الأطماع الاستعمارية الغربية في المنطقة. ويعتبـــر رائـــداً مـــن رواد الحركـــة السودانية الوطنية الحرة المستقلة وقائداً بلا منازع لأول مقاومة وطنية في الـــسودان. ولئن حاولت جهات محلية وانجليزية تجاهل دوره وإغماط حقه في هذا الشرف الوطني والقـــومي فـــإن التـــاريخ خيـــر شـــاهد علـــى وطنيتـــه وقدرتـــه علـــى الـــصمود

[48] أحمد الشريف إلى السلطان في 1911/2/13م الموافق 15 ربيع الأول سنة 1329هـ.
S. N. A. Intel 2/3/12.

في وجه الاستعمار بكل أشكاله وألوانه وهو أجدر من غيره بأن يتقلد وسام الشرف في هذا الجانب.

وكانت فرنسا من جانب آخر مدركة لدوره الطليعي القيادي المؤثر والفاعل في المنطقة لذا قامت باقتطاع أجزاء من سلطنته مما دعاه إلى التفكير الجاد في بناء ترسانته والاستعداد لأية مواجهة متوقعة بينه وبينها[49]. بذا يبدو أن العداء الفرنسي لكل من السنوسية وسلطنة دارفور قد أسرع الخطى بوحدة الفريقين وتماسكهما.

وكانت الحركة السنوسية من جانب آخر بحاجة إلى ملجأ حصين لا سيما بعد أن اشتدت الوطأة الفرنسية عليها في ودّاي (تشاد الحالية). ففتح السلطان بلاده أمام اللاجئين السنوسيين بدون شروط وقدم لهم ضمانات كافية وأماناً مطلقاً. ودخلوا الفاشر بقيادتهم وأسلحتهم ولكن بعد وصولهم اشترط عليهم السلطان الشهيد علي دينار تسليم أسلحتهم مع ضمان الإقامة الجيدة لهم[50].

لا ينكر المرء ما لهذا الشرط من الوجاهة والموضوعية والمنطق. إذ لا يخفى أن وجود أي قوة مسلحة مهما كانت مبرراتها أو كما تسمى الآن بالمليشيات المسلحة داخل بلاده تحت قيادة مستقلة أمر يهدد الأمن العام، ويشكل خطورة على البيئة السياسية في البلاد. وهو ما لا يسمح به أي نظام ينشدّ الأمن والاستقرار. فهو ابتداءً لم يأنف من إيوائهم ولم يرفض دخولهم بلاده. ولعل تصرفه هو عين العقل. ويستطيع المرء إدراك سلامة موقفه وتصرفه مما تعانيه الخرطوم الآن التي سمحت بوجود جماعات مسلحة سواء فيما سبق في عهد الحزبية الثانية أو الثالثة، أو بعد اتفاق الإنقاذ مع بعض المجموعات الجنوبية والدارفورية ولعل حوادث الكلاكلات والاثنين وسوبا والموردة والقسم الأوسط بأم درمان والمهندسين أخيراً وحادثة مقتل الشهيد الصحفي محمد طه محمد أحمد وغيرها ما لا يعد ولا يحصى كلها تقع تحت طائلة هذه المحاذير التي اقتضت من السلطان الشهيد علي دينار اتخاذ مثل هذه الإجراءات الحازمة. ولعل أسوأ

(49) تقارير المخابرات، ربيع الثاني 1329هـ S. I. R. 200/6 March 1911
(50) تقارير المخابرات S. I. R. 205/5 August 1911

نتائج السماح بوجود مليشيات مسلحة في العاصمة المثلثة في ظل الإنقاذ ما يحدث الآن في منطقة الكلاكلة وفي مناطق متعددة من العاصمة حيث توجد جماعات مسلحة تهدد الأمن والاستقرار مما يتطلب استعدادا أمنياً على درجة عالية من القوات النظامية. وما حدث يوم الاثنين المشئوم في عدة مدن من عواصم السودان حيث انفرط عقد الأمن الاجتماعي وفشلت الحكومة من السيطرة عليها بكل أجهزتها وإمكاناتها. وما حدث في الأوسط بأم درمان وما حدث أخيراً بمنطقة المهندسين يقتضي اتخاذ قرار حاسم بشأن هذا الوجود المسلح، لأن الأمن الاجتماعي هو مسؤولية سيادية لا تقبل التجزئة ولا يجوز لسلطة سياسية ذات خطر وشأن وتحرم نفسها أن تفرط ولو في شعرة منها وأن أي دولة تفرط في هذا الجانب تحت أي ظرف من الظروف أو مسمى من المسميات تصبح على كف عفريت. وهذا ما حدث للأردن في سبعينيات القرن الماضي حين سمح في عاصمته عمان بوجود فلسطيني مسلح كاد أن يعصف بالملك حسين ونظامه لولا استخدامه للقوة القاهرة التي وضعت الأمور في نصابها بعد أن كلفه ذلك شططاً من الأمر. وقد لعب يومها الرئيس الأسبق جعفر نميري دور ود البلد في هذه الأحداث وخاطر بنفسه من أجل استقرار ذلك البلد الشقيق وإحداث الألفة بين الطرفين.

وفي هذه الأثناء دخلت السنوسية في ليبيا في حروب ضارية مع الإيطاليين واستبسلت قياداتها في هذا الجانب، فلم يقف السلطان الشهيد علي دينار مكتوف الأيدي إزاء هذا النضال الشريف والكفاح الوطني المنقطع النظير في التاريخ الحديث والمعاصر، فهو إن لم يشارك برجالاته وسلاحه فقد شارك بماله. ويشير إلى هذه الحقيقة أحمد الشريف السنوسي بقوله: (فالله يديم بقائكم ويمحق أعداءكم ويمحق بسيوفكم رقاب الطائفة الكافرة الخاسرة الماكرة فان الكفر قد عم وطمَّ ولم يكن اليوم ملك على وجه الأرض غيركم. فقد أعزيتم الدين وقهرتم الملحدين)[51]. هذه العبارات بوضوحها وجلائها تؤكد على دور السلطان الشهيد الطليعي في المنطقة.

[51] أحمد الشريف إلى السلطان في 1911/12/16م الموافق 25 محرم 1330هـ S. N. A. Intell

وقد وردت تلك العبارات بعد أن شكره على ما أرسله إليه من مبلغ لدعم المجاهدين وزوده بأخبار الجبهة السنوسية الإيطالية وأعلمه باستيلاء الإيطاليين على المهاجر البحرية حيث يدل ذلك على الاهتمام بالسلطان وأصالة دوره الأخوي في دعم المعركة. وأهمية إطلاعه على مجريات الأحداث يوحي بأن هناك اتفاقاً سرياً معقوداً بين الطرفين، وأن عداوتهما المقيتة والمحضة للقوى الاستعمارية الأوروبية قد قاربت بين وجهات نظريهما ضد الوجود الأوربي في المنطقة. وهذه الشهادة تشكل قلادة في صدر وجبين السلطان الشهيد علي دينار في مواجهة كل الاتهامات والمحاولات المتكررة لتشويه سمعته وتاريخه من قبل مؤرخين غربيين أو محليين مأجورين أو مغفلين.

وبذا فقد تجاوزت بالسلطان همته حدود بلاده. وارتقت به غيرته على الإسلام عن المحلية والذاتية والإقليمية الضيقة إلى أفق أرحب. وقد أبدى السلطان الشهيد علي دينار تجاوباً مع المقاومة الإسلامية أينما وحيثما وجدت أو كانت، حتى استحق هذه الشهادة من قائد حركة عرفت بجهادها وإخلاصها ووطنيتها الفذة، ودورها النضالي المشهود له في التاريخ الحديث والمعاصر لا على مستوى ليبيا وإنما على مستوى القارة الأفريقية والمنطقة العربية قاطبة.

من خلال الحيثيات المتقدمة يتضح لنا أن العلاقة الدارفورية السنوسية لم تكن وليدة أحداث الحرب التي أسموها زوراً وبهتاناً العالمية الأولى شأن تسمية الحرب التي شُنت ظلماً وجوراً وافتراءً على كل من أفغانستان والعراق في نهايات القرن العشرين وبداية القرن الحادي والعشرين حيث البهسوها ثوب الدولية والدولية منها براء. وتؤكد الإشارات السابقة على أن الرابطة الدارفورية السنوسية لم تكن دوافعها عرقية أو إقليمية بقدر ما كانت تجسد صحوة إسلامية ويقظة وطنية وقومية في المنطقة. وفهما واقعياً متقدماً وقراءة جادة لمجريات الأحداث. هذا ما تقوله الوثائق السابقة وهي أقوى برهان تاريخي. ولعل ما مضى يدفع عن السلطان الشهيد علي دينار كل ما تم تلقينه لطلاب المدارس من معلومات مغلوطة عن هذا السلطان البطل القومي والوطني وقائد المقاومة الوطنية الأولى في البلاد بلا منازع وبلا جدال.

ومن ناحية أخرى فقد كانت الحركة السنوسية في القرن التاسع عـــشر المـــيلادي والنصف الأول من القرن العشرين تمثل الفكر الإسلامي الأرحب والرؤية الإســـلامية الجادة. أما السلطان الشهيد علي دينار فهو حاكم إسلامي ووطني غيور على إســـلامه واستقلاله وشعبه وجد في السنوسية سنداً لذلك الاستقلال وغيرة على الإســـلام. فكـــان من الطبيعي إن كانت تلك أوصاف ومعطيات الحركة الـــسنوسية أن تحـــاول توحيـــد القوى الإسلامية في المنطقة. وان تبارك جهود السلطان الشهيد علي دينار الرامية إلى فتح باب الحوار مع سلطان ودّاي المخلوع محمد صـــالح دود مـــرة واســـتقدامه لـــه للفاشر[52].

وبذا تجاوز السلطان الشهيد علي دينار الخصومات والاعتبارات الشخصية إلـــى الأفق الأرحب ونسي عداوته السابقة مع سلطان ودّاي في سبيل تحقيق مصلحة إسلامية راجحة ألا وهي مقاومة الهجمة الاستعمارية الشرسة على ديار الإسلام. وهذا في حـــد ذاته يعتبر معلماً بارزاً في تاريخه ولـــه أكثر من دلالة ومغزى. ويمكـــن القـــول أن التقارب بين الطرفين قد اتخذ أبعاداً هامة في تاريخ المنطقة العربية والأفريقيـــة مـــن حيث المقاومة والوطنية والنزعة الإسلامية ذات التوجه الصادق. وعلى كل فإن هـــذا التوجه المتقدم من المنظور السياسي هو ما تحتاجه زعامات وقيادات وطوائف وعشائر دارفور الآن أكثر من أي وقت مضى، بمعنى آخر أن ما تفتقده قيادات دارفـــور الآن هو سعة الأفق وتجاوز الخلافات السطحية والشوفونية الفرديـــة إلـــى مرتبـــة تقـــديم المصلحة القومية والوطنية على المصالح القبيلية والعـــشائرية واللجـــوء إلـــى العقـــل والحكمة ووضع مصلحة الوطن فوق المصالح الشخصية وتحقيـــق المـــآرب الآنيـــة والانخلاع من التأثير الأوروبي والأمريكي ذي الأجندة الخفية والاســـتراتيجية البعيـــدة المدى. لأنه من المعلوم أن أي تدخل أجنبـــي مهمـــا كانـــت مبرراتـــه أو مـــسوغاته الموضوعية لابد له من ثمن وأن ثمنه غالٍ. قد يكون هذا الثمن إنسان وثروة وأخـــلاق وقيم دارفور، هذا على أقل تقدير، مما يعني بعثرة إرث عقود من الزمان كانت بمثابة

[52] محمد عابد الشريف إلى السلطان علي دينار في سنة 1911م S. N. A. Intell 2/3/12

تاج من جوهر يرصع جبين إنسان دارفور ويميزه عن غيره من سكان السودان الآخرين. كتبها الأوائل بدمائهم الطاهرة تضحية واستبسالاً من اجل أن يبقى السودان كل السودان وأهله كل أهله كرماء لا يَستغلون ولا يُستغلون تظلهم رايات الكرامة والحرية والعزة بالماضي والعزم على بناء الحاضر على ذات القيم التي ورثوها من الأسلاف خلقاً وسلوكاً ومبادئ.

- **المبحث الخامس:-**

دخول تركيا في الحرب الأوروبية الأولى وحمية الشهيد الإسلامية

إن دخول تركيا الحرب - أي السلطنة العثمانية التي كانت تمثل المظلة الإسلامية لكل العالم الإسلامي اختلف الناس أو اتفقوا حول ذلك - مما شجع الخديوي والسنوسي والسلطان الشهيد علي دينار لتوثيق علاقاتهم، لعل هذه مقولة يتبين صدقها من خلال ما سيأتي. وبداية لا بد من عرض لمحة سريعة ومسح موجز لما سبق. وإذ لا يخفى على ذي عقل أن تزويد السلطان الدارفوري المتواصل من قبل السنوسية بالسلاح واطلاعه على ما يدور في الجبهة الإيطالية السنوسية بانتظام يعتبر دلالة سياسية عميقة في مجال العلاقات بين الطرفين. كما أن الدعم المادي والمعنوي الذي قدمه السلطان الشهيد علي دينار للجبهة السنوسية يدل على أن هناك اتفاقاً غير مكتوب بين الطرفين لمواجهة القوى الاستعمارية في المنطقة. ويشير في ذات الوقت إلى وجود تنسيق غير معلن بين الطرفين غايته طرد المستعمر المحتل وزعزعة وجوده في المنطقة بغض النظر عن جنسيته، فالاستعمار الأوروبي الغاصب هو استعمار في نظر الرجلين سواء أكان إنجليزياً أو إيطالياً أو فرنسياً فالكل يشكل عملة واحدة، فالدين والوطنية والأخلاق والقيم والرجولة تقتضي محاربته بكل الوسائل. لأن الاحتلال بكل أصنافه وألوانه هو وجه لعملة واحدة. وذلك يعني أن السلطان الشهيد علي دينار كان متقدماً في وعيه السياسي وتعاطيه مع الواقع تقدماً يفوق سقوف معظم القادة السياسيين الحاليين على مستوى دارفور أو السوذان عموماً أو على مستوى العالم الأفريقي والعربي والإسلامي. ذلك لأن الارتماء في أحضان أمريكا أو انجلترا أو فرنسا أو ألمانيا

والتهافت على إرضائها والتسابق إلى مرضاتها الذي نلحظه في كثير من الأقطار الإسلامية والعربية والأفريقية ومن مواقف كثير من القيادات على مستوى السودان أو دول الجوار يصب في خانة العمالة والخيانة الوطنية العظمى وان كان مغلفاً بعدة أطروحات ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب. والتعامل والتعاطي مع أجندة الأجنبي بسلبية أو بتفاعل زائد كله يصب في خانة الخيانة العظمى. لأن الاستعمار هو الاستعمار وأجندته هي ذاتها على الدوام ثابتة وهي أطماع واستغلال وإضلال وعلى مر التاريخ قد تتنوع اطروحاته وقد يضع على وجهه بعض الاصباغ والكريمات تحت دعاوى باطلة ومظاهر خادعة والتي قد ينخدع بها المغفلون ويستجيب لها العملاء الخونة بوعي وإدراك، لأنهم قد باعوا ضمائرهم وقد خلعوا جلودهم من أجل كسب وضيع وثمن بخس.

وقام السلطان الشهيد علي دينار في ذلك الوقت بدوره المنوط به من إرهاب لأعداء الله من ناحيته حيث قام بحملة إعلامية هائلة لإيهام الحكومة الثنائية البريطانية بأنه قد وصلته أسلحة هائلة من السنوسية. وأن عدد جنوده قد بلغ التسعة عشر ألفاً. ووصلت يده إلى تغيير بعض الرسائل التي كانت تبعث ضده إلى قلم المخابرات الثنائية البريطانية وكان هذا من باب الحرب المعنوية[53]. مما يدل على وعيه لما يدور حوله وما يحاك ضده.

وفي بداية سنة 1915م أشاد السلطان الشهيد علي دينار بجهاد السنوسية ضد أعداء الدين. ودعا الله لهم بالنصر في المسجد الجامع. ودعم المقاومة السنوسية بأن أرسل لهم ثلاثين جملاً هدية مساعدة منه في الجهاد ضد أعداء الإسلام وأردبين قمحاً. وأرسل أشياء أخرى لبيعها وشراء أسلحة بثمنها[54] من ليبيا. ونلاحظ أن السلطان وفقاً لإرثه الحضاري كانت يده دائماً هي العليا ولم تسمح لـه نفسه أبداً أن تكون يده هي السفلى الآخذة فكان عزيز النفس أبياً كريماً شجاعاً.

(53) تقارير المخابرات S. N. A. ENTILL 7/4/10 18TH FEB. 1915

(54) السلطان إلى ادريس بن السنوسي في 1915م الموافق 1333هـ S. N. A. Intel 2/3/12

هذه الإشارة التي أوردناها لها جذورها وارتباطاتها الإسلامية الواضحة من خلال ورود عبارات أعداء الدين، وأعداء الإسلام ... الخ. كما أن استمرارية الهدايا وهي تشكل دعما مادياً دون انتظار المقابل يدل على مدى بعد نظر السلطان. أما محاولته الدعوية لتقوية ترسانته فهو أمر يقتضيه وعيه السياسي لدوره المنوط به في المنطقة. ولعل هذا ينفي الزعم الثنائي البريطاني الذي دبجته أقلام المخابرات ضده وضد كل وطني غيور لم تلن له قناة قديماً وحديثاً عبر عنه الحاكم العام بقوله: (لقد اتجهت أنظار الأتراك والجرمان نحو السنوسية. ولقد تهيأ المجال لوجود عدد من الأتراك كأخ أنفر باشا وغيره من الأشخاص ذوي النفوس الشريرة بجانب السنوسي. وحاولوا إقناعه بصورة مباشرة أو غير مباشرة لإثارة القبائل الموجودة في مصر والقبائل المعادية في دارفور ووداي. ومن هنا بدأت العلاقات بين دارفور والسنوسية. وأصبح السنوسي يأخذ الأموال التركية بهذه الصورة التي هي أفضل من أن يرمي بنفسه كلية في أحضان الأتراك)[55].

احتوى الخطاب السابق على جملة تناقضات وتجاهل تام لأساسيات موضوعية ومنطقية وحقائق تاريخية من باب تجبير الحقائق وتزوير الوقائع وليّ عنق الحقيقة من أجل الوصول إلى نتائج تشبع غرور الاحتلال والقائمين على أمره وتقنع الإغبياء وتبرر عمالة العملاء وخبث الخبثاء من أبناء البلد. إن هذه التناقضات تتبدد أمام الحقائق التالية:- **أولها**: أن القيادة السنوسية هي قيادة قومية وطنية إسلامية ذات نزعة استقلالية. **ثانيها**: أن سلطان دارفور حاكم إسلامي قومي ووطني من الطراز الأول غيور على استقلاله ودينه. **ثالثها**: أن هناك جامعاً مشتركاً بين كل من تركيا (السلطنة العثمانية) والسنوسية ودارفور ألا وهو الدفاع عن الأرض والعرض ومقدرات الأمة الإسلامية والعربية والأفريقية والذود عن الحياض الإسلامية. **رابعها**: وصف من يدافع عن وطنه وأمته بالشر أمر يقتضي الوقوف طويلاً. حيث نلاحظ أن ذات العبارات تتكرر الآن من قبل الاحتلال الأمريكي سواء في أفغانستان أو العراق أو إيران

(55) الحاكم العام باركويت إلى الكولونيل فيتز جيرالد في 28 يوليو سنة 1915م D. S. A. Box 131/5

أو كوريا الشمالية أو الصومال أو السودان دون خجل أو حياء. ويتجاهل الحاكم العـــام في الوقت ذاته أن وجوده هو في المنطقة واحتلاله واغتصابه لأرض السودان وعـــدة مواقع في أفريقيا وآسيا هو الشر عينه ولكن كما يقال الذي يرقص لا يغطي ذقنه وكما جاء في المثل المصري (اللي اختشوا ماتوا). **خامسها:** أنه قد كـــذب والكـــذب عنـــد الأوروبيين والفرنسيين مباح ما دام يخدم أغراضهم ويحقق مصلحة لهم. كما حدث من قبل وزير خارجية أمريكا (**كولن باول**) أمام مجلس الأمن بشأن أسلحة الدمار الـــشامل في العراق وقد شهد هو على نفسه بالكذب فيما بعد وشهد العالم كله على كذبه وكـــذب أمريكا وخداعها للمجتمع الدولي فيما قادته من مبررات إعلان الحرب على كـــل مـــن العراق وأفغانستان. ومن خلال الوثائق والحقائق التاريخية السابقة نقول أن الحاكم العام قد كذب حين أشار إلى أن التقارب السنوسي الدارفوري كان نتيجة لأحـــداث الحـــرب الأوروبية الأولى وهذا ينافي ما ثبت آنفاً من أن العلاقة الدارفورية الـــسنوسية ترجـــع بدايتها إلى أوائل أيام حكم السلطان الشهيد علي دينار أي ما قبل الحرب بـــأكثر مـــن عشر سنوات من الزمان. وكانت الحكومة الثنائية البريطانية مدركة لأبعاد هذه العلاقة منذ بداياتها الأولى وقد ورد ذلك في تقاريرها. إلا أنها كانت عاجزة عن اتخاذ موقـــف حاسم تجاه دارفور يومئذ لظروفها وخوفها من الحيلولة دون حدوث السلام والاستقرار في المنطقة. **سادسها:** أن السنوسي قد جنى من وقوفه مع تركيا (السلطنة العثمانيـــة) أموالاً فهذا زعم باطل فيه قدر من التجني على حركة وطنية ودينية نزيهـــة عرفـــت بنظامها الدقيق والتزام أي عضو من أعضائها باقتطاع جزء من دخله لـــدعم الحركـــة سنوياً. وهي أول تجربة تحررية بمعنى الكلمة في أفريقيا، حيث طرحت شعار الاكتفاء الذاتي بأن نأكل مما نزرع ونلبس مما نصنع. فالزاوية السنوسية هي خلية حياتية كاملة تربوية واقتصادية واجتماعية وروحية وعسكرية، يجد الإنسان فيها الأنـــس الروحـــي والغذاء الفكري والسعي الاقتصادي والتعليم المهني. وقد بلغ عدد أعـــضائها الملايـــين لموضوعية فكرها وبساطة طرحها. **سابعها:** تجاهل هذا الخطاب وحدة الأهداف بـــين الطرفين الدارفوري والسنوسي، ولم يشر إلى أن التوسع الاستعماري الاحتلالـــي فـــي

المنطقة هو الذي دفع بالحركتين إلى التكاتف والتعاون والتظاهر من اجل تحجيم المـد الأوروبي التنصيري الغادر في المنطقة العربية والاسلامية والأفريقية. أما أن ظروف الحرب الأوربية الأولى فقد دفعت بتركيا لتشجيع القوى الإسلامية الوطنية للوقوف أمام الحلفاء وبالتالي عجلت بالمواجهة بينها وبين الوجود الأوروبي الآثـم، وربمـا كـان استيلاء الحكم الثنائي البريطاني الغادر على دارفور ناجم عن ذلك في المقام الأول إلى جانب الأطماع الفرنسية. **ثامنهـا:** أن سلطنة دارفور هي فـي المقـام الأول سـلطنة إسلامية عريقة وهي من (ممالك الثغور) التي حافظت على الإرث الثقافي والحضاري للأمة المسلمة حين فقدت كياناتها في الأندلس، أي في تخوم العالم الإسلامي. فأهلهـا تبعاً لذلك الوجود الحدودي متشبعون بروح الجهاد والغزو لذا لا غرابة أن اسـتجابوا لباعث الجهاد ونداءاته بتلك الصورة وبتلك السرعة. ولا يخفـى أن دارفـور كانـت ولا تزال وستظل هي مهد خلاوى القرآن وشيوخه ومنها إنداحت سلطنة تعتبـر مـن أعظم السلطنات الإسلامية في المنطقة العربية والإسلامية والتـي أورفـت بظلالهـا فعمت معظم أنحاء السودان وامتد عطاؤها حتى طال الـسلطنة العثمانيـة والخديويـة المصرية والحرمين لبضع مئات من السنين دون منٍ أو أذى فـي وقـت ضـنّ فيـه القريب قبل البعيد.

وفي خطوة مفاجئة وغير متوقعة في أغسطس سنة 1915م وصل أحمد الشريف السنوسي منطقة جبل الميدوب على مشارف دارفور. ووصل دارفور قيس كريم مبعوثاً من السنوسي وجرت مفاوضات على مستوى عال بين الطرفين تم بموجبهـا الاتفـاق على تزويد السلطان الشهيد علي دينار باحتياجاته من السلاح والذخيرة[56]. ووصـلت خلال هذه الفترة العلاقات السنوسية الدارفورية حد التحالف وتبادل المصالح. ونتيجـة لموقف الحكومة الإنجليزية تجاه السنوسية في الحدود الغربية فإن العلاقات الـسنوسية الدارفورية ازدادت قوة وتماسكاً[57].

---

(56) S. I. R. 253/4 august 1915

(57) من كلابتون إلى الحاكم العام في 1915/12/24م D. S. A. Box 131/6 TELEGRAM

ودرج أحمد الشريف السنوسي على تزويد السلطان أولاً بـأول بأخبـار الجبهـة السنوسية والجبهة الألمانية التركية. حيث نقل إليه صورة حية عن المعركة الدائرة بين إيطاليا والسنوسية على البر الليبي وبين إيطاليا وألمانيا وتركيا على البحر. وأخبره بأن المعركة ستتحول إلى غرب مصر ومحاصرة طرابلس[58].

ولقد لعب شيوخ السنوسية الموجودين في الفاشر دوراً بارزاً في تحسين العلاقات بين ليبيا ودارفور وديمومتها والمحافظة عليها. فكانوا مـن وقـت لآخـر يـزودون السنوسي بأخبار السلطان علي دينار واتجاهاته الايجابية تجاه السنوسية. مما كان لـه أثر طيب في نفس السنوسي واتجاهه القوى نحو السلطان[59].

وبنهاية سنة 1915م صدر بيان من الخلافة العثمانية داعياً كل المـسلمين إلـى الجهاد ضد أعداء المسلمين من بريطانيين وألمان وفرنسيين وايطاليين. ووصلت نـسخ من هذا البيان إلى السودان يدعو المسلمين بالسودان إلـى الخـروج علـى الجـيش البريطاني. وأصدر السلطان الشهيد على دينار بدوره استجابة لهذا النداء بيانات مماثلة تندد بالحكم الثنائي البريطاني وتدعو للخروج عليه[60]. وبذا أعلن السلطان الشهيد علي دينار صراحة خروجه وانفكاكه بل محاددته للحكم الثنائي البريطاني. وبدأ في استشارة الأعيان من ذوى الأثر الروحي في البلاد – وفى عقر دار الحكومة الثنائية البريطانية– ينقل إليهم أخبار المعارك. فذكر للشيخ يوسف الهندى[*] أن السلطان محمد رشاد وأولاد السنوسي قد قتلوا عدداً كبيراً من الأعداء. وأنهم قد أرسلوا تحت إشراف قـيس كـريم وآخرين ألفين وأربعمائة بندقية وأربعمائة صندوق ذخيرة.

---

(58) خطاب من محمد عابد الشريف إلى السلطان فى 1915/11/5م S.N.A. Intel 2/3/

(59) من كلايتون بالقاهرة إلى الحاكم العام فى 1915/12/25م D.S.A.BOX.131/6

(60) تقرير عن أحوال الجيش الثنائي من الحاكم العام إلى وزير الحربية البريطانية فى 1916/8/6م D.S.A.BOX. 130/1

(*) هو والد المرحومين الشريف حسين يوسف الهندي وزين العابدين الهندي الأمين العام للحزب الوطني الاتحادي الديمقراطي وكان أحد الثلاثة الذين يدور حولهم رحى الأثر الروحي والاجتماعي والثقافي في السودان وكان أحد الزعماء الثلاثة الذين هادنوا الاحتلال البريطاني وذهبوا بعد نهاية الحرب الأوروبية الأولى 1918م إلي بريطانيا لتهنئتها بفوزها في الحرب وهزيمتها لتركيا وحلفائها!!!. بالإضافة إلى جد الزعيم اسماعيل الأزهري الذي كان ضمن أعضاء الوفد وقد كان برفقتهم الشاب إسماعيل الأزهري الزعيم إسماعيل الأزهري فيما بعد باعتباره مترجما وكان عمره يومذاك ثمانية عشر عاما. ويوسف الهندي قد وفد جده وهو شريف من مكة إلى السودان. والهندي نسبة إلى مرضعته الهندية وقد وفد في عهد الدولة السنارية. وكوّن أحفاده طريقة تعرف بالطريقة الهندية . ومكان إقامتهم ببري الشريف شرق معرض الخرطوم الدولي الآن.

مما لاشك فيه أن هذه الاستجابة السريعة لنداء الخلافة ترقى بالقيادة الدارفورية إلى مستوى القيادات الإسلامية المخلصة الواعية والقارئة قراءة صحيحة لمفردات التاريخ ومعطيات الواقع في التاريخ الحديث والمعاصر تلك القيادات الوطنية والتاريخية التي لم تلوث تاريخها أو ماضيها بالارتماء في أحضان القوى الاستعمارية الغربية أو تنسى عقيدتها وانتماءها مقابل البقاء في كرسيها، كما فعلت كثير من الزعامات والقيادات المحلية والإقليمية الحديثة والمعاصرة التي ارتمت في أحضان الاستعمار الأوربي والأمريكي الحديث والمعاصر دون قيد أو شروط وكما تفعل الآن كثير من القيادات والزعامات على مستوى دارفور أو السودان أو العالم العربي والإسلامي، دون وعي ودون اعتبار بمفردات التاريخ الحديث والمعاصر ودون استحياء أو خجل.

ولم ينته دور السلطان علي دينار عند حد التأييد وإنما تعدى ذلك إلى المشاركة الفعلية بأن أعلن عداءه الكامل للحكم الإنكليزي حقيقة المصري اسماً. وتجاوز بنظرته وبتخطيطه وبتعاونه حدود بلاده لإحداث ثورة شعبية بغيتها النهوض بالأمة المسلمة عموماً والسودانية على وجه الخصوص في محاولة جادة لتقويض أركان النظام الاستعماري الاستغلالي البريطاني القائم في السودان عموماً.

وفي سبيل تحقيق هذا المخطط ولإحداث ثورة وطنية في طول السودان وعرضه قام بالاتصال بالأعيان الذين كانوا يشكلون مفاتيح الاستعمار ومداخله إلى الشعب السوداني فكان اتصاله بالشيخ يوسف الهندي من هذا القبيل. ويدل ذلك على وعيه وإدراكه لأبعاد القضية وعدالتها. فقام بتبنيها وطرحها وإعادة عرضها على القيادات السياسية الوطنية في البلاد.

هذا الموقف البطولي يلقي الضوء على تعاطفه وتبنيه لقضية كان في قرارة نفسه مقتنع بأنها قضية المسلمين وكل المسلمين، لذا حاول استقطاب القيادات ذات الوزن والثقل الديني والقبلي والثقافي بغية إثارتها ضد الوجود البريطاني في البلاد وشل حركة الحكومة الثنائية البريطانية حتى لا تتحرك تجاهه أو تجاه حلفائه في الشمال.

وفي سبيل تحقيق هذا الهدف النبيل اتبع أسلوب الإغراء والتشجيع مع هـذه القيـادات ناقلاً إليها أخبار المعارك والأسلحة التي وصلته. وفي الوقت ذاته كان يهدف من ذلك الإعلام إلى إرهاب الحكم الثنائي البريطاني. لأن هذه القيادات أن لم تستجب له وفضلت الركون إلى الوجود البريطاني فإنها حتماً ستنقل ذلك إلى استخبارات الحكم البريطاني بالبلاد وهذا ما حدث فعلاً حيث أن بعض هذه القيادات من أمثال علي الميرغني حسب ما ورد في الوثائق ومن خلال الخطابات المتبادلة بينه وبين السلطان الشهيد علي دينار كان يقوم بدور التخذيل والتثبيط والتخويف للسلطان الشهيد علي دينار من قوة بريطانيا وحلفائها الباطشة لإثنائه عن موقفه الوطني البطولي كما ورد من خلال الوثائق التي وردت في ثنايا هذا الكتاب.

ولعل عبارته التالية تلقي الضوء على جانب هام من مواقفه حيث يقول: (ولقد أخذتنا العزة الإسلامية والحمية الإيمانية وعزمنا أن نقوم بحول الله وقوته وقدرته في نصرة دين الله لجهاد أعداء الدين الكفرة معاندي الشريعة المحمدية الموجودين حولنا هنا في السودان وقريباً إن شاء الله تعالى نخرج هجرة للجهاد في سبيل الله وسيبلغ مسامعكم ما يصير منا لأعداء الله)[61].

إذاً القضية كانت في غاية الوضوح والجلاء كانت في نظر السلطان الشهيد علي دينار فهي قضية إسلام ووطن ووجود وأمة وأن مقاومته هي مقاومة ذات طبيعة إسلامية وطنية فالدافع لها هو قول الله تعالى: (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين)[62]. إذ لا ينبغي لمسلم أن يرضى بالذل والهوان في بلده أو أخذ الدنية في دينه وعرضه .

من خلال ما مضى يتضح للمطلع على وثائق هذه الفترة وحقائقها المرة أن السلطان الشهيد علي دينار قد اشتعلت في نفسه روح إسلامية ووطنية وقومية بغيتها تمكين دين الله في الأرض وجهاداً لأعدائه وتطهيراً للبلاد من دنس الاحتلال الأوروبي الغادر بكل أشكاله وألوانه. فلم تعد القضية عنده قضية إقليمية أو سلامة شخصية

---

[61] خطاب من علي دينار إلى أحمد الشريف السنوسي بتاريخ 26 يناير 1916م الموافق 23 ربيع الأول سنة 1334هـ S. N. A. Intel 2/3/12

[62] سورة المنافقون – الآية (8)

أو البقاء في كرسي الحكم ولو أراد ذلك لتحقق له ما أراد شريطة أن يمسح على أحذية الاحتلال ويتعاون معه ولكن كبرياءه وشموخه أبى له ذلك الخزي والعار. فكان هدفه أسمى وقضيته هي قضية الإسلام والمسلمين أجمعين. وبذا أردف قائلاً وموضحاً ما آل إليه الحال في السودان الشرقي من موالاة لأعداء الله فذكر أن أهل شرق السودان اتبعوا النصارى الإنجليز في شرق السودان: (والأعيان[*] منهم صاروا يخاطبونا ويرغبوا منا أن نتبع النصارى قصدهم يضلونا). فالحمية الإسلامية لدى السلطان قد تجاوزت حدود السلامة الشخصية لإقليمي دارفور وليبيا وتجاوزت كل ذلك إلى الخوف على بيضة الإسلام من التبشير التنصيري المسيحي. مما يشكل بعداً آخر لصحوة إسلامية كان السلطان الشهيد علي دينار أحد أركانها ولمقاومة وطنية أصيلة أضحى السلطان أحد أعمدتها بلا منازع في تلك الفترة الحرجة من تاريخ السودان الحديث والمعاصر. وتدلنا إشارته السابقة على أنه كان فتيلة قابلة للاشتعال فك دخول السلطنة العثمانية رمز الخلافة الإسلامية الحرب صمام أمانها.

ولقد شكلت السنوسية وسطاً نشطاً لربطه بالسلطنة العثمانية حيث كانت معظم خطاباته إلى تركيا يتم إرسالها عبر ليبيا مما يدل على الثقة المتوفرة بين الطرفين.

وتوالت تأكيداته في خطاب[63] بعث به إلى أحمد الشريف بقوله: (بأنه عما قريب سيعلن الحرب و الجهاد ضد أعداء الله من الإنجليز الذين يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم) وأكد بان كثيراً من أهل السودان الغربي قد اعتنقوا المسيحية. وأن الحكومة الثنائية البريطانية أقنعت كثيراً من مشايخ الطرق والوجهاء بالكتابة إليه بغية استقطابه إلى الصف المسيحي في حربه ضد المسلمين. ولعله بذلك يشير إلى محاولات السيد علي الميرغني بإيعاز من الاستخبارات البريطانية والحاكم العام البريطاني لإقناعه

[*] ويعني بهم شيوخ الطرق وزعماء السياسة والدين في تلك الفترة وعلى رأسهم علي الميرغني وعبد الرحمن المهدي والشيخ يوسف الهندي- الذين آثروا السلامة الشخصية على المواجهة المسلحة أو المنظمة التي قد تقضي على نفوذهم وتجريدهم من مكانتهم ونفوذهم لدى السلطات البريطانية بالبلاد حيث درجوا على تخذيل السلطان علي دينار ومحاولة اثنائه عن المضي في طريق الجهاد والمقاومة المسلحة للوجود الاجنبي في السودان كما قدمنا آنفاً.

[63] خطاب من علي دينار إلى أحمد الشريف السنوسي بتاريخ 28 يناير 1916م الموافق 23 ربيع الأول سنة 1334هـ S. N. A. Intel 129/7

بالعدول عن موقفه والانحياز لصالح الحكومة الإنجليزية والفرنسية في حربهما ضـــد السلطنة العثمانية وألمانيا. ولكن يبدو أن السلطان الشهيد علي دينار كان أكثـــر وعيـــاً وإدراكاً لألاعيب السلطات البريطانية. وقد حزم أمره وعقد عزمه على قيادة المقاومـــة الوطنية السودانية والإسلامية إلى آخر رمق من حياته، وفضل موت العز على حيـــاة الذل والهوان.

هذه الإشارة تكشف عن الدوافع الكامنة لحركة السلطان الشهيد علي دينار وقيامه ضد الحكم الثنائي البريطاني في البلاد. بل تنفي عنه بقوة كل ما ألحقتـــه بـــه أقـــلام الاستخبارات وما حاولت به تشويه تاريخه شأن رصفائه في التاريخ الحديث والمعاصر ممن وقفوا ضد أطماع القوى الاستعمارية الأوروبية والأمريكية في المنطقة الإسلامية والعربية والأفريقية وهم كثر والحمد لله في مقابل غثاء سيل العملاء والخبثـــاء الـــذين باعوا الوطن والشعوب للغرب بشقيه الأوروبي والأمريكي لقاء دريهمـــات معـــدودات والبقاء في كرسي الحكم. فالسلطان الشهيد علي دينار في المقام الأول هو حاكم مسلم، جعل العقيدة إحدى همومه بل همه الأول حيث أنكر موالاة أعداء الله اســـتجابة للنـــداء السماوي الصريح الواضح الجلي (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم)[64] وركن إلى الصف المسلم وحركته بقوة واخلاص وتفان منقطع النظير ضد الحركة التبشيرية – المـــسيحية فـــي الـــبلاد وأغاظه استمالة أعداء الله لزعماء المسلمين من أمثال علي الميرغني وعبد الـــرحمن المهدي والشيخ يوسف الهندي ووجهائهم حتى صاروا أولياء ومناصرين للكفـــرة مـــن الإنجليز. وأصبحوا لا يهتمون بأمر الإسلام ولا الحركة التنصيرية في البلاد. وشـــعر بأن موقفه أصبح في خطر، وان بلاده وشعبه مهددان بالزحف المسيحي التنـــصيري. فكان لا بد لـــه من الانحياز إلى الصف المسلم والركن الشديد. وإن أدى ذلك بعرشـــه وبروحه وبحكم بلاده. فموت العز أكرم من حياة الذل والاستعباد والعمالة الرخيـــصة والخيانة الوطنية.

---

[64] سورة المائدة – الآية 51.

ونتيجة للخطاب الماضي ذكره قامت الحركة السنوسية الفتيـة الواعـدة بتزويـد السلطان بكميات من الأسلحة. ووافق ذلك الإجراء تنفيذ جزء من مشروع عـام كـان مقتضاه إحداث توافق بين المقاومة السودانية الدارفورية للحكم الأجنبـي فـي الـبلاد والحركة السنوسية، وفي محاولة لإضعاف الحكم الانجليزي فـي كـل مـن مـصر والسودان وإزاحته عن المسرح السياسي. حيث أن وجود مقاومة في جنوب الوادي لها أثرها الفاعل في إنجاح الخطة العثمانية الألمانية الـسنوسية القاضـية بإنهـاء النفـوذ الإنجليزي على مصر[65] وهذا أمر لا ينكر دوره ولا يمكن التغافل عنـه مـن قبـل الحلفاء. وهو من زاوية أخرى دور خطير وذو وزن كبير عجزت عن القيام به كـل القيادات الوطنية الموجودة بالبلاد يومئذٍ، كما عجزت عن القيام به كثير من الزعامات الإقليمية على مستوى العالم العربي والأفريقي والإسلامي، فكانت الأقدار أن أثبتت لهذا السلطان الشهيد تسطير هذه الصفحات المشرفات في تاريخ السودان الحديث والمعاصر بمداد من ذهب.

ولم يأل السلطان الشهيد جهداً في أداء ذلك الدور المنوط به في هذا الحلف حيـث قام بإثارة روح المقاومة. وخاطب الأعيان في عقر دار الحكومة الثنائيـة البريطانيـة مهيباً بهم للنهوض والثورة ومعلناً إياهم الحرب ضد الحكم الثنائي البريطاني بـالبلاد. وناقلاً لهم أخبار الجبهة الإسلامية علّ ذلك يثير فيهم حمية وطنية ونخوة إسلامية[66]. بيد أنهم كانوا أحياء أمواتاً عاجزون عن القيام بأي دور ولو أضعف الإيمان، محافظة على حياتهم ومواقعهم المتقدمة في الحكم الثنائي البريطاني. حيث أن المقاومة المسلحة ورفض سلطان الأجنبي على الأوطان والانحياز إلى جانب الحق هو قدر إلهي عظيم. ومن يندب إليه لا بد أن يكون عظيماً، فليس كل من مشى على رجلين مهيئاً للقيام بهذا الدور الوطني البطولي الذي يقتضي التضحية بكل شيء ولو بالنفس، وقليل ما هم الذين يوجد لديهم الاستعداد للتضحية بأنفسهم.وهو ذات الموقف الآن ضد النفوذ الاستعماري الاستغلالي والذي تقوم به الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاؤها في العـالم الإسـلامي

[65] استجواب جعفر باشا. D. S. A. Box 131/8 Sanusas Affairs

[66] من الحكام العام إلى قائد القيادة بالنهود في 1916/4/6م D. S. A. Box 128/1

بأجنحته القارية المختلفة. فقليل ما هم أولئك الزعماء والمفكرون وذوو الأقلام الحـــرة الذين يستطيعون أن يقولوا (لا) بملء أفواههم في وجه المشروع الأمريكي البريطـــاني الألماني الفرنسي الغادر، وكثير ما هم أولئك الذين يلهثون وراء مسح حـــذاء أمريكـــا وقيادتها وحلفائها من أجل البقاء على كرسي الحكم مقابل دريهمات معدودات أو لـــذة فانية، أو الحصول على اللجوء السياسي في واحد من هذه الأقطار بغية إحراز سلامة النفس وتحقيق قدر من العمالة المبطنة أو المستترة تحت أي مسمى من المسميات التي تعتبر عملة رائجة هذه الأيام تستتر وراءها خيبة وفشل هذه القيادات الرخيصة الـــثمن الخفيفة الوزن المنحطة الشأن في أن تصارع وتكافح وتناضل داخل حدود أقطارهـــا بشرف وعزة حتى تكسب أرضية وسط شعوبها وتهد عروش الجبابرة وحصونهم مـــن الداخل عن طريق طرح موضوعي وواقعي ومنطقي تجذب به جماهير الشعب المكلوم والمجروح في كبريائه بتسلط فئة لا تخشى فيـــه إلاً ولا ذمـــة. لـــذا نتيجـــة ضـــعفها وخورها ودورانها حول ذاتها تفكر في أقصر الطرق إلى الكسب الرخيص وهو العمالة والخيانة المستترة.

الفصل الثالث

طبيعة التحالف الدارفوري السنوسي

الفصـــل الثــالث

طبيـعة التحـالف الدارفـوري السنوسـي

غني عن القول بأن الحركة السنوسية قد تجاوزت بنظرتها الموضوعية وبخططها القومية والوطنية والدينية الإستراتيجية وبأهدافها التعبوية الدعوية ذات البعد التبـشيري حدود ليبيا. وتطلعت إلى العالم الإسلامي بمعناه الواسع وبحدوده الـشاسعة المترامية الأطراف وبشعوبه المتعددة الأعراف المتنوعة الثقافات والحضارات. حيث اضطلعت بدور المبشر الأول وبدون منازع للإسلام في أفريقيا خـلال القـرن التاسـع عـشر الميلادي. وشكلت الدعوة إلى الإسلام وتمكينه إحدى همومها. وأعدت نفسها مـن أول يوم إعداداً يؤهلها للقيام بعبء الدعوة والجهاد في سبيل الله كما تقدم، وقد كانت بحـق مؤهلة فكراً وروحاً وتنظيماً وإعداداً وتوجهاً استراتيجياً لهذا الدور الخطير فـي هـذه الفترة الحرجة من تاريخ الأمة المسلمة والعربية والأفريقيـة، وتحملـت مـسؤوليتها التاريخية وفق إمكاناتها وقدراتها بكفاءة ومروءة. ومما لاشك فيه لـو تمكنـت هـذه الحركة الفتية الصاعدة من السير وفق أهداف المؤسس الأول بنظره الثاقب، وبتخطيطه الدقيق، ورؤيته المستقبلية، لما حاقت بها هزيمة ولما لانت لها قناة.

وكما رأينا فقد اعتمدت السنوسية على مواردها الذاتية حتى لا تقع فـي أحـضان أي قوى أجنبية وكان هذا هو عين الحق والصواب. إذ أن الاعتماد على المـساعدات الخارجية والمعونات الأجنبية كانت ولا تزال سبباً في فقدان عدد من الدول لاستقلالها ومسخ شخصيتها وعمالة قياداتها وخيانة أبنائهـا. وأن أي أمـة ذات شـأن وخطـر ودور فاعل في التاريخ الحديث والمعاصر لا يمكن أن تفلح وتحقق ذاتيتها واسـتقلالها الحقيقي إلا بالاعتماد على نفسها وقدرات أفرادها وهذا يقتضي وعياً وصبراً من الأمة،

فقليل من الشعوب هي التي تمكنت من تجاوز ذلك المنعرج الخطير في تاريخها مثل اليابان وألمانيا بعد انتهاء الحرب الأوروبية الأولى أو الثانية والتي تم تكبيل كل منهما بالديون والوجود العسكري الأجنبي في أراضيها وهي ذات الأقدار التي حاقت بكل من أفغانستان والعراق الآن في نهايات القرن العشرين وبداية القرن الحادي والعشرين. فهلا استطاعت هاتان الأمتان تجاوز هذه الأزمة كرصيفاتها اليابان وألمانيا؟. وكانت الحركة السنوسية تقوم باستمرار بمحاولة تأهيل أعضائها والرفع من كفاءتهم وهذا ما درجت عليه على الدوام من الناحية العملية بإنشائها لزواياها الكثيرة. وجعل هذه الزوايا خلايا تعليمية وفق منهجية موضوعية، وتنظيمية تغرس في نفوس أفرادها حب النظام والالتزام به، وزراعية تدرب أفرادها على الاعتماد على الذات في توفير القوت، وعسكرية اذ درجت على تدريب أعضائها على استخدام أحدث ما وصلها من أسلحة وعلى فنون الحرب المختلفة، وبعثات تبشيرية في أرجاء شمال ووسط أفريقيا وسجلت أسمها بل حفرته على صخرة التاريخ الحديث والمعاصر بمداد من دماء الشهداء وإخلاص القادة وقامت بدور طليعي متقدم فهماً وتنظيراً وتنزيلاً على الواقع في محاربة الاستعمار الغربي بشتى مسمياته وبمختلف جنسياته الأوروبية متسلحة بعقيدتها، باحثة عن حقيقة ذاتها. وبهذا ضربت أنموذجاً رائعاً في التضحية والاستبسال والاستقلال والتفاني في خدمة الأهداف والقيم الروحية السامية في التاريخ الحديث والمعاصر، ونجحت في تثبيت معان جديدة في أوساط المجتمعات الإسلامية والعربية والأفريقية، وقد جاءت في ذات الوقت بطرح متقدم، يتمثل في التحرر السياسي والاقتصادي والاجتماعي والروحي حقيقة لا دعوى وطرح موضوعي لا شعارات فارغة، وقد مكنت لمبدأ الاعتماد على الذات ورفض الاستعانة بالأجنبي فعلاً لا شعاراً أجوف كما فعلت كثير من الحركات المعاصرة سواء أكانت علمانية أو دينية على المستوى العربي أو الأفريقي أو الآسيوي دون استثناء. وفي حقيقة أمرها فهي حركة ودعوة عملية حتى النخاع. هذا بالرغم من أن السنوسية كانت فكرة تحررية إسلامية ابتداءً وانتهاءً إلا أن الأحفاد قد نكصوا تحت وطأة الاستعمار الإيطالي فيما بعد. واستجابوا لضغوط أمريكا الوريث الجديد للدولة المنهزمة في الحرب الأوروبية الثانية

والتي احتلت مواقع بريطانيا التي تراجعت أسهمها وأضحت تابعة بعد أن كانت متبوعة وأضحى أحفاد السنوسي شأن كثير من الأسر السودانية الكبيرة التـي قـاوم أسـلافها الاستعمار فوقعوا هم نتيجة غفلة أو عمالة أو انحراف في أحضان المشروع الأمريكي أو البريطاني فيما بعد، وأصبحوا أدوات فاعلة في تنفيذ أهدافه وتحقيق رغباته طوعـاً أو كرهاً.

وكان السلطان الشهيد علي دينار من ناحية أخرى سليل سلاطين سلطنة إسـلامية ذات تاريخ عريق في المنطقة، وكان لها دور بارز في نشر الإسلام في هـذه الـبلاد. ولعب سلاطينها فيما مضى دوراً بارزاً في تمكين الإسلام ونشر العلم والمعرفـة فـي هذه الأقاليم السودانية.

ولم تكن عودة السلطان علي دينار إلى عرش آبائه سوى إحياء لسلـسلة أمجـاد انفرط عقدها بسقوطها على يد الزبير ود رحمـة سـنة 1874م بإيعـاز مـن الإدارة المصرية.

وقد تجسدت فيه روح الحاكم المسلم الغيور على وطنه ودينه لذا تطلع مـن أول يوم إلى الحركة السنوسية التي تمثل الفكر الأرحـب والـرؤى الإسـلامية الواسـعة والاستقلال الحقيقي. وكان من الطبيعي لقوتين وطنيتين متسلحتين بالعقيدة ذاتي نزعـة استقلالية أن يتحدان في كراهيتهما للتغلغل الأوروبي الاسـتعماري الاسـتغلالي فـي المنطقة، وأن يعتمدان على مواردهما الذاتية، لا سيما وأن الأقدار جعلتهما يقفان بـين فكي منافسة غربية احتلالية مستعرة تتداخل مصالحها، فكان لا بد لهما مـن الالتفـات والالتفاف إلى بعضهما الآخر. ولعل روح الوحدة الإسلامية وطي الخلافات وتجـاوز الخصومات والشعور بالواجب في هذا الوقت الحرج من تـاريخ الـسودان الحـديث والمعاصر وتاريخ الأمة المسلمة بشقيها الأفريقي والآسيوي هو الذي حـدا بالـسلطان الشهيد علي دينار لأن يرسل وفداً مكوناً من عشرين شخصاً بغية توسيط السنوسي في الحرب الدائرة بين دارفور ووداي في ذلك الوقت. ووافق ذلك الموقـف الـدارفوري اتجاهاً سنوسياً يرمي إلى توحيد السلطانين ضد المسيحيين الإنجليز والفرنسيين[1].

---

[1] تقارير المخابرات S. I. R. 164/11. Feb. 1908. Safar 1326 H

مما تقدم يتضح أن الحركة السنوسية كانت ترى أن هذه العلاقـــة الثنائيـــة بـــين الطرفين إذا ما قدر لها الاستمرار يمكن أن تشكل بعداً إسلامياً ذا أهمية بالغة وذا خطر عظيم في هذا الجزء من العالم الإسلامي والعربي والأفريقي. ويمكن أن تلعـــب هــذه العلاقة دوراً ملحوظاً في محاربة القوى الاستعمارية في المنطقة. لذا لا غرابة أن سعى الزعيم السنوسي أحمد الشريف سعياً حثيثاً لإحداث وحدة أو تعاون وحلف بين كل من سلطان وداي وسلطان دارفور لما في وحدتهما من إضعاف للقوى الاستعمارية المتمثلة في الوجود الاستعماري الفرنسي في تشاد والوجـــود البريطـــاني فـــي دارفـــور فـــي المنطقة[2]. وكان سلطان دار فور يمثل قوة ذات وزن في المنطقة ولـــه ثقل لا يجهل دوره في كفة موازين القوى الفاعلة في المنطقة. وبحكم ظروف المنطقة ووعورتهـــا وبعدها عن متناول اليد الاستعمارية الأوروبية بسهولة، حيث أصبح ســـلطان دارفـــور رقماً هاماً على المستوى الإقليمي و المحلي يعول عليه في نصرة الإســـلام. ويـــشير أحمد الشريف السنوسي إلى هذا الجانب بقوله: (والله إننا في غاية الفرح بأنه للآن ليس هناك محل يعتمد عليه في نصرة الإسلام غير محلكم ... حتى كادت ذواتنـــا تـــرقص طرباً من صنيعكم الجميل ...، إن شاء الله لم نزل ساعون في الذي ينوبكم من الجبخانة ولو كان مائة ألف)[3]. هذه الإشادة ذات مدلول موضوعي وواقعي هـــام يـــدفع عـــن السلطان الشهيد علي دينار كل الأساطير والاتهامات الباطلة التـــي تـــم إلـــصاقها بـــه بواسطة أقلام المخـــابرات الأوروبيـــة والأقـــلام المـــأجورة المحليـــة مـــن الـــساسة أو الأكاديميين ربائب الاستعمار ممن تخرجوا من مؤسساته أو نالوا شهادات من بلاده. ولا يخفى أن معظم الذين كتبوا في فترة الاستعمار وتخرجوا من مدارسه لـــم يكونـــوا أحراراً فيما يكتبون مهما كانت درجاتهم العلمية وأقدار شهاداتهم لاعتبارين أولهما: أن الاستعمار ما كان يسمح لجرئ يقلل من شأن الاستعمار ويمجد النضال والمناضلين أن يكتب إلا إذا رضوا عنه وبالكيفية التي يريدون. ثانيهما: كانت هناك علاقة وثيقة بـــين

---

(2) أحمد الشريف إلى السلطان علي دينار، 19111/2/13 الموافق 15 ربيع الأول سنة 1329هـــ.
S. N. A. Intell 2/3/12 .

(3) أحمد الشريف إلى السلطان علي دينار 1911/2/13م 15 ربيع الأول سنة 1329هـــ.
S. N. A. INTELL 2/3/12 .

العملية الأكاديمية والاستخباراتية والإدارية البريطانية في السودان من حيث وضع المناهج وتعيين الأكاديميين الأجانب الذين يدرسون في هذه المؤسسات والذين كان من مهامهم الأساسية إعداد كوادر موالية لهم بالدرجة الأولى.

لا يخفى على ذي بصيرة أن هذا الجانب من العلاقات الدارفورية السنوسية مشرق ومضيء في ذات الوقت إذ يخرج بالعلاقات بين الطرفين من الآفاق الضيقة القائمة على المصلحة الذاتية إلى آفاق المصلحة العامة والصحوة الإسلامية الفتية في وجه التحدي الاستعماري الأوروبي للأمة الإسلامية. وبذلك يمكن اعتباره بكل المقاييس معلماً هاماً في التاريخ الإسلامي الحديث والمعاصر عموماً والسودان على وجه الخصوص.

ففي الوقت الذي أحاطت فيه الأطماع الاستعمارية الأوروبية بالمنطقة إحاطة السوار بالمعصم من كل جانب تكاتفت القوتان الدارفورية والسنوسية من أجل تقويض وإجهاض المصالح والمشاريع الاستعمارية في المنطقة العربية والإسلامية والإفريقية. وعمل السلطان الشهيد على خلق علاقات ودية في بداية عهده مع القوة الوطنية النزيهة في المنطقة التي حملت السلاح متزودة بعقيدتها وتراثها دفاعاً عن الأمة الإسلامية وأوطانها. وقد دعا ذلك الموقف المشرف من قبل السلطان الشهيد علي دينار إلى ثناء الزعيم السنوسي أحمد الشريفُ على بطولة السلطان علي دينار ونصاعة تاريخه وشجاعته وقوة عقيدته. وتطورت هذه العلاقات بين كل من دارفور وليبيا السنوسية حتى أصبحت حلفاً يقتضي وقوف كل من الطرفين بجانب الآخر في المحن والشدائد. وكان هذا الحلف بواعثه دينية بالدرجة الأولى ووطنياً بالدرجة الثانية وقومياً بالدرجة الثالثة. ولقد عبر السلطان عن هذه الحقيقة بوضوح وجلاء تام بقوله: (ولقد أخذتنا العزة الإسلامية والحمية الإيمانية وعزمنا أن نقوم بحول الله وقوته وقدرته في نصرة دين الله لجهاد أعداء الدين الكفرة معاندي الشريعة المحمدية الموجودين حولنا هنا في السودان وقريباً إن شاء الله تعالى نخرج هجرة للجهاد وسيبلغ مسامعكم ما يصير منا لأعداء الله)[4].

(4) علي دينار إلى يوسف النهدي في 26 يناير سنة 1916م ربيع الأول سنة 1334هـ.
S. N. A. INTELL 2/3/12

ومن خلال هذه العبارات الواضحات يلاحظ المرء أن السلطان الشهيد علي دينار لم يقدم على الدخول في هذه المعركة ضد الحكم الثنائي البريطاني خوفاً على عرشـــه أو كرسي آبائه وإن كان ذلك احتمال وارد من وجهة تحقيق البحث وفحـــص القـــضية بمجهر المنهج العلمي المحايد إلا أن ذلك النظر لا يسقط بحال وجود الدافع والباعـــث الديني القوي الذي عبرت عنه كلماته آنفة الذكر استجابة لقول الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة)[5]. وهذه الحيثية تفيدها إشارته بمقاتلة الذين يلونه. ولقد استفزه التحرك التبشيري التنصيري الغربي وتغلغل النفـــوذ المسيحي الغربي في البلاد والذي كان يشكل رأس حربة في دعم التغلغل الاستعماري الاستغلالي في المنطقة الأفريقية والآسيوية على حد سواء. وحزَّ فـــي نفـــسه مـــوالاة المسلمين لأعداء الله فعبر عن هذه الكارثة بقوله: (والأعيان منهم صـــاروا يخاطبونـــا ويرغبوا منا أن نتبع النصارى قصدهم يضلونا)[6] أشار إلى ذلك بعد تأكيداته بأن كثيراً من أهل السودان الشرقي قد اعتنقوا المسيحية. ولعل كلام الـــسلطان الـــشهيد يكتـــسب مصداقيته من الواقع السوداني العام. فما أن جاء الاستعمار بوجهـــه الكـــالح (1989م) حتى ترك الجنوب السوداني مرتعاً خصباً للجمعيات التبشيرية فهي التي أضحت تقرر أمره في مجال التوجيه والتعليم وكانت الطامة الكبرى أن صحب تلك السياسة فـــرض قانون المناطق المقفولة منذ سنة 1922م ومروراً بسنة 1936م ومن الغرائب أن الذي فرض هذا القانون هو السكرتير الإداري (هارولد ماكمايكل) الإداري والأكاديمي فـــي ذات الوقت مؤلف كتاب (العرب في السودان) من جزئين. وله مساهمات فـــي مجلـــة السودان في مـــدونات (Sudan Notes And Records) وانحـــسر المـــد القبطـــي والإسلامي نتيجة سياسة بريطانية وكنسية بروتستانتية مرسومة ذات بعد اســـتراتيجي بعيد المدى قطف الاستعمار الغربي ثمارها الآن بعد تـــسعة عقـــود غايتهـــا تمزيـــق أوصال السودان وخلق فجوة مفتعلة بين الشمال والجنوب عن طريق بذر عـــدم الثقـــة بين الطرفين.

---

(5) سوة التوبة، الآية 123.

(6) علي دينار إلى أحمد الشريف السنوسي بتاريخ 19 يناير سنة 1916م الموافق 23 ربيع الأول سنة 1339هـ S. N. A.; INTELL 2/3/12 .

وفي خطاب آخر[7] أشار السلطان الشهيد إلى سياسة الحكومة الثنائية البريطانيــة التي أقنعت كثيراً من مشايخ الطرق والوجهاء من أمثال علي الميرغني وعبد الرحمن المهدي ويوسف الهندي وكتابتهم إليه بإتباع المسيحية لعلــه: (يعنــي مطــالبتهم لــه بالخضوع لأحكام النظام القائم) في حربها ضد المسلمين. وفي الوقت ذاته يعلن وقوفه التام بجانب السنوسية في حربها ضد المسيحيين أعداء الله من الإنجليــز والفرنــسيين والايطاليين الذين يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم. ويتفــاءل بأنــه ســيلحق بهــم الهزيمة إن شاء الله.

هذا التوجه الإسلامي القاصد وهذا الوعي السياسي المتقدم بــإدراك مــا تــدبره الحكومة الثنائية البريطانية ضد الإسلام وإبعاد الكنيسة القبطية عمداً – تلــك الكنيــسة التي عايشت الإسلام وأهله مدة ألف عام دون حساسيات ودون تفرقــة دينيــة – مــن المسرح حيث حاول الاستعمار عن قصد تحجيم دورها العــام ســواء فــي الغــرب أو الجنوب إذ لا شك أن ذلك أمر كان يتوجب مقاومته والوقوف ضده بشراسة من قبل الجميع مسلمين وأقباط على حد سواء ولعل هذا التخطيط الغربي الماكر تجــسد فــي قصر التعليم والتبشير والتعميد المسيحي في الجنوب وجبال النوبة على الكنائس الغربية الانجليكانية دون الكنيسة القبطية لأنها تستخدم اللغة الغربية لغة خطاب وتعمــل علــى نشر الثقافة العربية واللغة العربية. والإشارة السابقة إلى أن الحــرب بــين الإســلام والمسيحية كل ذلك يعطي دلالة على أن هناك صحوة إسلامية وان الــسلطان الــشهيد علي دينار كان جزءاً لا يتجزأ من هذه الصحوة إذ أصبح الأمر في نظره لا يقتــصر على السلامة الشخصية والمنية لإقليمي ليبيا ودارفور. بيد انه قد تجاوزه إلى الخــوف على بيضة الإسلام من التبشير الغربي الانجليكاني ذو الأهداف الاستغلالية وهو خوف له مبرراته ومسوغاته الموضوعية والواقعية، لذا لا غرابة أن انحاز إلى صف الــذود عن حمى الإسلام وحياضه والدفاع عن حقوق الشعوب المسلمة فــي وجــه التحــدي الاستعماري الإحتلالي، الذي تبدى لذوي البصائر من بين الركام المتعفن الذي مثلتــه

---

[7] علي دينار إلى أحمد الشرف السنوسي في 28 يناير 1916م ربيع الأول سنة 1334هـ.
D. S. A. Box 129/7.

قيادات عربية وإسلامية وسياسية وعسكرية وروحية ووطنية انخـدعت بأطروحـات الغرب وبرامجه الإصلاحية في المنطقة يومئذٍ وحسبت هذه القيادات أنها قـد وجـدت شيئاً ثميناً فإذا بها تلهث وراء سراب أعقبته حقبة استعمارية استغلالية للسودان تعتبـر من أسوأ الأيام في التاريخ البشري عموماً إذلالاً وإهانة واستغلالاً وسـرقة لقـدرات الأمة المادية والمعنوية وتخريب للشخصية ومكوناتها ومسخ هويـة الأمـة بفـرض نظم ومناهج، وتعتبر هذه الفترة من أردأ فترات التاريخ فـي تـاريخ هـذه الـشعوب المسلمة على وجه الخصوص، التي انخدعت قياداتها متبلدة الحـس، فاقـدة الـوعي، بأطروحات وأكاذيب المحتلين الأوروبيين فقـادت شـعوبها وأممهـا بأظلافهـا إلـى الإذلال والإهانة والخنوع والرزوح تحت نير الاستعمار الاستغلالي الأوروبي البـشع لعشرات السنين.

وبالرغم من عدم إيماننا بمصداقية عبارة التاريخ يعيد نفسه التي يكررها النـاس دون وعي نقول أن التاريخ لا يعيد نفسه لأن المسرح غير المسرح والممثلـون غيـر أولئك الممثلين ولكن توجد أوجه شبه وعليه فإن من لا يقرأ مفردات التاريخ الماضـي وعبره وصعوده وهبوطه ويدرك تحليلاته واستنتاجاته يقع في أخطاء أفدح مما مضى وهذا مما يحدث الآن على صعيد دارفور والعالم الإسلامي والعربـي وعلـى محـيط السودان شماله وجنوبه وشرقه وغربه، فالحزبية البغيـضة العـوراء ذات الشخـصية الممسوخة هي التي تقود البلاد ودارفور إلى الهاوية والى الوقوع في قبضة الاستعمار الإحتلالي للمرة الثانية من جديد استعمار سيكون أسوأ من سابقه لما يملكه من تقنيـات وإمكانات-وقوة هائلة مدمرة، وفجور مبالغ فيه في الخصومة، وروح انتقامية سـبعية أكثر منها إنسانية ،شاهدها العالم فما مارسه الغرب في سجون غوانتانامو وفي سـجن ابي غريب وما أحدثه من دمار في كل من أفغانستان والعراق. وتجري الآن محاولات مدروسة وذات أبعاد إستراتيجية حتمية النتائج إلى إحداث فتنة عرقيـة ودينيـة فـي السودان عموماً ودارفور على وجه الخصوص وتقسيمه حسب المـشروع الأمريكـي الجديد لتقسيم الشرق الأوسط الذي على ضوئه يقسم السودان إلى خمسة أقطار شـرق وغرب وشمال وجنوب ووسط وفق خطة محددة وإستراتيجية مدروسة، وأدوات هـذه

الخطة والإستراتيجية هم من أبناء جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا، يــدعون حمايــة حقــوق المساكين وحب الوطن تقية والحقوق المدنية، والديمقراطيــة، والحريــة، والمــساكين والوطن منهم براء. فهم إما مغفلون نافعون أو مأجورون عالمون أو عملاء خونة. وقد بدأت البوادر الآن في إفساد ما ابرم من اتفاقات بــين الــشرق و الغــرب والجنــوب والشمال عام 2002م الأمر الذي يقتضي تضافراً متكاتفاً من قبل المكلفين العقلاء مــن أبناء هذا البلد من مسيحيين أقباط وهم شريحة مستهدفة من قبل الغرب لعروبتها بذات القدر الذي تستهدف به الشرائح المسلمة العربية من أبناء دارفور والسودان الــشمالي والشرقي مما يحتم اليوم قبل الغد أن تتضافر الجهود لإحداث تيار معاكس جارف لهذه المخططات التي ترمي إلى جعل دارفور رواندا وبوروندي أخرى في أفريقيا. ذلك لأن الغرب لا يستطيع أن يصطاد إلا في الماء العكر والسودان الذي يشكل ثــوراً ضــخماً ومشروعاً حضارياً متفرداً ومشروع دولة كبرى تحمل كل مقومات الدولة الكبرى من حيث البني التحتية اللازمة للنهضة إذ به تؤخذ ثروة حيوانية وزراعية ومعدنية ومائية وبترولية وعنصر بشري ايجابي وفاعل قادر على العطاء والبذل والإبــداع إذا وجــد قيادة رشيدة وبرامج وخططاً واستراتيجيات واضحة المعالم وقدوة قيادية صالحة تمتاز بطهارة اليد واللسان .ولما كان السودان يتمتع بهذه الإمكانات والقدرات فلابد أن ينهش مْن أكثر من موضع حتى يتم القضاء على وحدته وشل حركتــه الحــضارية وبنائــه الاجتماعي ودوره الريادي في أفريقيا والعالم العربي. وما أن يتحرك خطوة نحو الأمام حتى يتم دفعه إلى الوراء عشر خطوات بقصد وتخطيط مــسبق عــن طريــق أدوات محلية ترفع رايات ظاهرها الرحمة والإشفاق وباطنها العذاب والشقاء والهلاك والدمار لأبناء السودان.

الفصل الرابع

الحلف السنوسي العثماني
الدارفوري الألماني

الفصـــل الرابــع

الحلف السنوسي العثماني الدارفوري الألماني

• المبحث الأول :-

الضعف المادي للطرفين وفشل تركيا وألمانيا في الدعم

كما مر فإن التقارب بين الطرفين السنوسي والدارفوري قد أتخـذ شـكل حلـف عسكري واقتصادي اقتضى ضرورة دفاع كل طرف عن مصالح الأخر. وقد تطـور الأمر بعد دخول الدولة العثمانية الحرب ضد الحلفاء مما قوى قوة الآصرة. وقام كـل طرف بما هو منوط به في سبيل مقاتلة الذين يلونه. وهي نظريـة قرآنيـة تتجـاوب والتخطيط العسكري السليم وتتناغم وأحدث النظريات العسكرية في عالم اليوم.

وكانت دارفور في مواردها الاقتصادية تعتمد علي التجـارة الخارجيـة. حيـث لا يوجد لديها ميناء أو منفذ بحري، وإنما كان اعتمادها بالدرجة الأولى في تجارتهـا الخارجية على طرقها البرية. وقد وجدت عوائق حالت دون الاستفادة من كل طرقهـا البرية فعلى سبيل التفصيل فان الطرق المعنية كانت تشمل ما يلي:-

أولاً: طريق ودَاى الذي لم يكن مأموناً كما أنه لم يؤد دوره في تغذية البلاد بما تحتاجه وتنشيط الحركة الاقتصادية نسبة لوجود القوات الفرنسية واحتلالها لـودَاى ممـا أحدث نوعاً من الحصار الاقتصادي علي دارفور مـن ناحيـة الغـرب وأوقـع السلطان علي دينار بين فكي كماشة الانجليز من الشرق والفرنسيون من الغرب.

ثانياً: طريق الأربعين الذي يربط دارفور بمصر وليبيا وشمال أفريقيا عمومـــاً وكـــان يمثل شريان الحياة الاقتصادية في البلاد وكذا العسكرية حيث كانت تـــرد عـــن طريقه تجارة الشمال،وتغدو تجارة الجنوب متجهة صوب مصر وتـــرد الـــبلاد أسلحة طرابلس وغيرها عن طريقه بيد أن مروره عبر مصر ظل يحـــول دون الاستفادة منه كثيراً خلال تلك الفترة. ذلك لأن الحكم الثنـــائي البريطـــاني فـــي السودان الشرقي ظل يحول دون التعاون مع مصر لأن لمصر وجـــود رســـمي اسمي في نظام حكم الاحتلال. ومصر نفسها كانت مغلوبة على أمرها وواقعـــة تحت مطارق القناصل الأوربيين وسطوة وهيمنة المندوب السامي البريطاني في القاهرة بمعنى آخر كانت مصر نفسها محتلة.

ثالثـــاً: الطريق الشرقي وهو الذي يمر بأراضي الحكومة الثنائية البريطانيـــة. ويعبـــر البحر الأحمر إلى أراضي الحجاز وعن طريقه كان يفد المحمل الدارفوري إلـــى الأراضي المقدسة. فوجود الحكم الثنائي البريطاني شكل عقبة للاستفادة من هـــذا الطريق بالصورة المثلى.

وبالتالي فقد اعتمدت دارفور في كثير من الأحيان على مواردها الذاتية. وبالرغم من ذلك الحصار قامت دارفور وشعبها وقيادتها بالمشاركات الكثيـــرة التـــي ســـبقت الإشارة إليها في دعم حركة المقاومة الوطنية في ليبيا. وفي الوقت ذاته كان يتوجـــب على دارفور أن تسلح نفسها لمواجهة الأحداث وتحسباً للمستقبل الأمر الذي شكل عبئاً ثقيلاً على اقتصاد البلاد. ولم يكن التسلح يومئذ أمراً سهلاً مع محدوديـــة الإمكانـــات ومحدودية الموارد ومصادر الأسلحة. فقد قامت الحكومة الثنائية البريطانية بإجراءات متشددة في تزويد السلطان بما يحتاجه من سلاح، لذا فكر جاداً في فتح المنافذ السنوسية ومع تجدد ظروف الحرب الأوربية الأولى وخوض السنوسية حربـــاً ضروســـاً ضـــد الاستعمار الإيطالي في الشمال الأفريقي كما تقدم[1]، مع محدودية إمكاناتها الذاتية. هذا في الوقت الذي أعلن فيه السلطان الشهيد حربه ضد الحكم الثنائي البريطاني في البلاد

[1] محمد عابد الشريف إلي السلطان في 1915/11/5م S.N.A. Intell 2/3/12

مع ضعف إمكانات الأخير وقدراته إلا أنه كان موقناً بأن المدد سيصله من الشمال. وتستطيع أن تجزم بأنه قد بالغ في بعض الأحيان في وصف ما وصله من أسلحة وذخيرة[2]. ولعل ذلك كان من باب رفع روح أتباعه المعنوية وهو غاية ما تصبو إليه نفسه ومن باب إرهاب العدو وإضعاف روحه المعنوية وقد أيقن في الوقت ذاته بأن السنوسيين والأتراك سيمدونه حقاً لتعزيز موقفه. أو لربما كان ذلك من باب الحرب النفسية.

• المبحث الثاني:-

هل استخدم السلطان السحر لبلوغ غايته ؟!!!

وما أن عجزت الحركة السنوسية لانشغالها بنفسها في الشمال والجنوب (الايطاليين والفرنسيين) ولمحدودية إمكاناتها بإمداده بما يحتاجه من سلاح ونتيجة لشعور القوتين بضعف آلتهما وفشل الدولة العثمانية وألمانيا بإمدادهما له بما يحتاجانه من سلاح وخبرات لمواجهة عدة وعتاد الغزاة لجأ إلى السحر والأوهام[3]. وهذا شأن سوداني قديم حديث معاصر حتى أن بعض المسئولين والنفعيين إلى يومنا هذا يعتقدون بوجود قوى غيبية يمثلها الجن والشياطين يمكن أن تحدث انقلاباً في موازين القوى المادية وبعضهم يدثر ذلك المفهوم بإمكانية ملكية الخدام من السفلي أو العلوي وكلها أوهام وأساطير لا أساس لها من الحقيقة الموضوعية. ولكن خالطت بعض المفاهيم الصوفية التي زاوجت بين ما هو وارد مما هو وافد وخلقت منهما مزيجاً غريباً واستغلها بعض ذوي النفوس المريضة لبلوغ أغراضهم الدنيئة، لا يخفى على ذي بصيرة أن الشيطان مخلوق من طبيعة غير طبيعة الإنسان ولا تكون هناك صلة بين الجن والإنس إلا بتنازل من الإنس لصالح الجن، أما عن ملكية الإنس للجن فهذا هراء لا أساس له من دين أو موروث نبوي إلا ما وهبه الله لسليمان على أن لا يكون لأحد بعده ذلك التسخير على ذلك القدر المذكور في كل من سورة (الأنبياء) وسورة (ص)

---

(2) السلطان إلي يوسف الهندي بتاريخ 1916/1/12م S.N.A Intell 2/4/10

(3) مساعد قيادة المخابرات إلي الحاكم العام D.S.A Box 128/3 24th

كما هو معلوم لكل ذي بصيرة. هذا التقرير الذي أوردته المخابرات البريطانية قد يشكك المرء في مصداقيته وإن كان من جانب آخر قد لا يستبعد لأن التصوف في غرب السودان بمعناه العام قد ارتبط في بعض مظاهره وممارسته بطقوس سحرية. وفي التاريخ الإسلامي العريض نجد إرثاً معتبراً في هذا الجانب لأن الإسلام حركة سلمية في تعاملها وتعاطيها مع الثقافات والتقاليد المحلية والوافدة. إذ ليس من شيمة الإسلام الاستئصال لما هو قائم من غير منطق يسلم به أهل العقل السليم. لذا لا غرابة أن اختلط السحر الوافد من الهند ومن أفريقيا ومن النصرانية واليهودية بكثير من المظاهر العلاجية والوصفات الطبية والرقية الشرعية المحلية والوافدة إلى يومنا هذا في كثير من بقاع السودان وأفريقيا على وجه العموم وكذا العالم العربي والآسيوي.

- **المبحث الثالث:-**

السنوسية تلجأ إلى الغيبيات في مساندة السلطان بدلاً عن الإمداد المادي

إن الإنسان مهما أوتي من قوة أو علم أو معرفة أو قدر اجتماعي أو سياسي أو اقتصادي أو صحة فإنه في لحظات الضعف يتمسك ولو بخيط العنكبوت وهذا ما يتبدى لنا أكثر وضوحاً في موقف السنوسية وقيادتها ذات التوجه السني المعتدل حيث نلاحظ في مقابل عدم وصول الخبرات الفنية والعسكرية من قبل الدولة العثمانية والألمان إلى ليبيا ومن ثم إلى دارفور وعجز السنوسي تماماً عن ذلك فقد بعث إلى السلطان الشهيد علي دينار برجلين يحملان حجراً ورسالة خطية. ويحملان خبراً مفاده أن علامة انتصار السلطان الشهيد علي دينار أن يلقي بالحجر في قلة مليئة بالماء فيطفح الحجر وإن لا فإن ذلك فيعتبر بما لا يدع مجالاً للشك علامة هزيمته وقد حدث العكس. لذا تأثر السلطان بهذا الحدث[4]. ولكن إذا أمعنا النظر واستخدمنا العقل وموازينه ومعاييره المنطقية نلاحظ أن هذه مسألة فيزيائية تتم وفق أوزان وكثافات فما

[4] المصدر السابق April . 1916.

دامت كثافة الحجر أكبر من كثافة الماء من الحتمي أن لا يطفح الحجر إلا إذا تـدخلت عوامل قوة خفية. أو زادت كثافة الماء بدرجة تكون أكبر من الكثافة النوعية للحجـر الصلب، ولعل ذلك الخبر يصب في مصلحة التقرير السابق من أن الرجلين في لحظات الضعف المادي وتقطع الأسباب بدءا يلجآن إلى السحر بدلاً من اتخاذ احتياطات القـوة المادية المكافئة لقوة الغزاة من الإيطاليين والإنجليز والفرنسيين.

هذا الخبر على بساطته فيه دلالة واضحة على عجز القوتين وضعفهما المـادي. وقصور آلتهما الحربية تجاه وعتاد القوى الاستعمارية الإحتلالية في المنطقـة والتـي دخلت الحرب بخبراتها وقدراتها الفنية والعسكرية العالية. فحدا بهما ذلك للجوء إلـى تلك الأوهام والأساطير والخرافات ولعل مرد ذلك وقبوله يرجع إلى أن الأول صوفي حتى النخاع، والصوفية في تاريخها الطويل في أفريقيـا خلطـت الـسحر والأوهـام بالأوفاق والأرقام والأوراد والأسماء الهندية وكذا شأنها في المشرق العربي والإسلامي وفي المغرب الإسلامي وكذا في أفريقيا المسلمة، والثاني نشأ وتربى وترعـرع فـي دارفور المليئة بمثل هذه الاعتقادات لقربها من غرب أفريقيا وتـسكن بهـا عناصـر وعرقيات وافدة من نيجيريا وغرب أفريقيا عموماً دخلت في النسيج السكاني عمومـاً، وهي مناطق ملأى بهذه الاعتقادات الباطلة واستخدام الـسحر فيهـا شـائع كـشيوع الماء والهواءحتى أصبح جزءاً من طقوس ومراسم وأسرار بعض الطرق ومن بعض خصائصها التي تتفوق بها على غيرها من إعداد وأوراد وكـسب وتـسخير للخـدام كما يزعمون.

وفي هذا الأثناء أزداد إلحاح السلطان الشهيد علي دينار علـى الـسنوسي بغيـة تزويده بما يحتاجه من سلاح نتيجة شدة الضغط عليه مـن قبـل الحكومـة الثنائيـة البريطانية التي دخلت الحرب بعدة وعتاد وتقنية متقدمة وخبرة عالية. بيـد أن الـشيخ السنوسي في هذه المرة اعتذر له عن إمكانية إمداده بما يحتاجه[5]. مما يقرر ما سبقت الإشارة إليه من ضعف القوتين المادي وعدم مقدرة كل من السلطنة العثمانية وألمانيـا

---

[5] يونان لبيب رزق، مرجع سبق ذكره ص388-389.

بإمدادهما بما يحتاجانه من سلاح حتى يقوما بدورهما المنوط بهما في المنطقة لظروف خاصة بكل منهما على حدة .

• المبحث الرابع :-

السلطان الشهيد علي دينار والجبهة الوطنية المحلية

حاول السلطان الشهيد علي دينار أن يقوم بدور ايجابي بارز بعد إصداره بيانات مؤيدة للسلطنة العثمانية رمز الخلافة والسلطة الإسلامية في الآستانة معلناً موقفاً واضحاً دون مواربة أو خجل أو استحياء ومستجيباً بذلك للنداء العثماني وكانت بياناته الصادرة في هذا الموضوع تؤيد دعوة المسلمين إلى الخروج على الجيش الثنائي البريطاني على مستوى السودان والعالم الإسلامي وضرورة الانحياز إلى جانب السلطنة العثمانية التي تمثل رمزاً إسلامياً. فاتصل ابتداءً بالقيادات الوطنية في البلاد. حيث أرسل خطاباً إلى يوسف الهندي وهو يمثل إحدى القيادات الروحية في البلاد محاولاً استثارته ضد الحكم الثنائي البريطاني في السودان. ونقل إليه تفاصيل أخبار المعركة بين السلطنة العثمانية،والحركة السنوسية من جانب والأعداء من الإنكليز وحلفائهم من جانب آخر. فأشار في خطابه إلى أن السلطان محمد رشاد وأولاد السنوسي قد قتلوا عدداً كبيراً من الأعداء وأنهم قد أرسلوا تحت إشراف قيس كريم وآخرين ألفين وأربعمائة صندوق ذخيرة[6] .

وهذا الخطاب وسواه من الخطابات الأخرى تشكل حملة إعلامية ناء بحملها السلطان بغية خلق طابور خامس داخل أراضي الحكومة الثنائية البريطانية باعتباره القائد الأوحد دون منازع يومها للمقاومة الوطنية بالبلاد. واتبع أسلوب الإغراء والتشجيع، بنقل أخبار المعارك والانتصارات التي حققها الأتراك.

أما الإشارة التي فحواها أنه قد وصلته كميات كبيرة كان القصد منها إلقاء الرعب في قلوب أعدائه وإغراء هؤلاء الأعيان بالثورة وإعلان العصيان والتمرد على الحكم

(6) علي دينار إلي يوسف الهندي بتاريخ 1916/1/12 S.N.A. INTELL 7/4/10

الثنائي البريطاني المباشر، ولكن للأسف نلاحظ أن هذه القيادات الوطنية التي حاول السلطان الشهيد علي دينار استنهاضها لم تحرك ساكناً ولم تستجب لدعوته لمحدودية سقفها النضالي ولضبابية فكرها الاختزالي الهروبي وموقفها الخائر إزاء الوجود الأجنبي بالبلاد وشعورها بمدى خطورته. لذا لم تفلح مساعي السلطان لديها لوقوعها تحت التأثير الثنائي البريطاني ورضائها بالأمر الواقع. ولكن من الغريب حقاً والملفت للنظر أنها لم تكتف بالوقوف في الحياد بل كانوا إيجابيين لصالح الأعداء. وقد أغاظ السلطان أن هذه القيادات وشيوخ الطرق الموجودة بالبلاد يومئذ كانت على هذا المستوى المتدني من المسؤولية التاريخية والتنصل من المسؤولية الوطنية والقومية وقد عبر عن ذلك الأمر بعبارات تقطر أماً وأسىً بقوله:- ((والأعيان منهم صاروا يخاطبونا ويرغبوا منا أن نتبع النصارى قصدهم يضلونا)).[7]

في هذا الخطاب يشير السلطان الشهيد علي دينار إلى مدى خيبة الأمل والإحباط الذي أصابه من جراء عناد هذه القيادات المتمثلة في علي الميرغني و يوسف الهندي وعبد الرحمن المهدي وإسماعيل الأزهري الجد وعدم استجابتها لنداء الوطن والدين والمروءة. وليتها وقفت عند هذا الحد بل تجاوزت ذلك بالكتابة إليه بغية إقناعه بالتنازل عن موقفه. والانحياز لصالح المشروع الغربي الإحتلالي الاستعماري الكبير في السودان والعالم الإسلامي والعربي، ومن هنا تبدو خطورتهم وتفوح رائحة عمالتهم باعتبارهم أدوات وأبواق استعمارية أوروبية أكثر منهم قيادات وطنية يرجي منها أن تقود مقاومة، أو أن تحدث تغييراً اجتماعياً وسياسياً في البلاد، وهي ذات عملة المجموعات التي تسير الآن بدون خجل أو استحياء في ركاب أطروحات الغرب من أمريكان وبريطانيين وغيرهم دون وعي، وتردد مقولاته كالببغاوات دون فهم أو رشد. وفي كل عصر ومصر يأتي الأجنبي بأطروحات ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب. فلئن اتخذ المحتل في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين أسلوب الترغيب والترهيب، فانه في نهايات القرن العشرين وبدايات القرن الحادي والعشرين

(7) خطاب من علي دينار إلي احمد الشريف السنوسي بتاريخ 1916/1/26. 23ربيع الأول سنة 1334هـ
S.N.A Intell 2/3/12.

مع ازدياد الوعي وارتفاع ترمومتر الروح الوطنية والدينية اتخذت منهجاً آخر يتمثـل في تسويق أطروحات جديدة من أمثال حقوق الإنسان ومنظمـات المجتمـع المـدني والحريات السياسية العامة، والتحرير الاقتصادي والديمقراطيـة وحقـوق الأقليـات، وتقرير المصير، وكلها مداخل استعمارية خبيثة وحديثة غايتها تحقيق أهداف ومصالح أجنبية في البلاد التي ينوي المحتل التدخل فيها ويبلغ غايته في هذا الأمر عن طريـق استخدام أدوات محلية من مثقفين وأنصاف مثقفين وأكـاديميين وأنـصاف أكـاديميين وسياسيين وأشباه سياسيين والكل يجمعهم قاسم مشترك واحد ألا وهو قابليـة العمالـة والخيانة المركوزة في طينة طبعهم، وأجهزة إعلام وأقلام مأجورة ومثقفـين مغفلـين أو عملاء رجعيين.

من خلال ما تقدم نلاحظ أن حملته الإعلامية تجاه هذه القيادات لم تؤد دورها ولم تفلح في دعوتهم للخروج على الحكم الثنائي البريطاني في البلاد. ولم تحقـق نتائجهـا المرجوة بخلق طابور خامس يشل حركة الحكومة الثنائية البريطانية. هذا بالرغم مـن قناعته بعدالة القضية. وظل باستمرار ومن غير كلل أو ملل ينكر عليهم موالاة هؤلاء للنصارى وهم يرون التبشير في البلاد والنفوذ المسيحي في ازدياد. فقـضيته كانـت قضية شعب ودين ووطن وأمة، وكانت الغيرة لديه مزدوجة. بيد أن المـساعي التـي بذلها فشلت في تحقيق نتائجها لاعتبارات عديدة منها محدودية نشاطه في هذه الأوساط وبعده عن مركز السلطة الثنائية البريطانية أولاً: ثانياً: بُعد هذه القيادات عن المـسرح ووقوعها تحت تأثير الإعلام الثنائي البريطاني وآلتـه الحربيـة المرعبـة. فنـداءات السلطان الشهيد بالنسبة لها كانت لا تعدو في نظرها عن كونها صوتاً نشازاً. ولربمـا حسبته نوعاً من التهور غير المحمود ولربما حاولت أن تجد لنفسها مرتكزاً دينياً تدعم به موقفها. ثالثا: لربما يعود الأمر إلى شعورها بضعف دول الوسط وخوفهـا علـى مواقعها إن انتصرت انجلترا وحلفاؤها على دول الوسط لاسيما وقد رأت بأم عينيها ما حاق بعائلة المهدي من تفتيت وتشريد والخليفة عبد الله التعايشي. الأمر الذي يجعلهـا تتردد كثيراً في الإقدام والجرأة على مثل هذه الخطوة غير المضمونة حتـى لا يحيـق بها ما حاق بمن سلف ذكرهم.

• المبحث الخامس :-

إجراءات الحكومة الثنائية البريطانية ضد السلطان الشهيد علي دينار

وفي سبين إحباط محاولات السلطان الشهيد ومحاصرته بدأت الحكومة الثنائية البريطانية ترقب بجدية تامة علاقات السلطان الشهيد علي دينار بالسنوسية. وعلاقة القوة السنوسية بدارفور، ومدى أثر ذلك على الحكم الثنائي البريطاني أثناء سير المعارك. وكان طريق الأربعين يشكل الشريان لهذه العلاقات الفوراوية السنوسية، فلذا لا غرابة أن قامت الحكومة الثنائية البريطانية باتخاذ الإجراءات الكفيلة بإغلاق هذا الطريق أو تشديد الرقابة عليه. وتهديد أمن القوافل الذاهبة والآيبة فيه. وفي هذا الخصوص استعانت الحكومة الثنائية البريطانية بالقبائل التي تقطن منطقة الحدود الواقعة بين دارفور والكفرة مثل الكبابيش لحماية ورقابة نقاط الاتصال بين دارفور والسنوسية[8]. وبذا تم زرع الصعوبات والألغام البشرية أمام الاتصالات الدارفورية السنوسية. ويجد المرء حينئذ المبرر والعذر لاعتذار السنوسية وعدم إمكانيتها لإمداده بما يحتاجه من سلاح في وقت الشدة، فقد شكلت الإجراءات الثنائية والتدابير الإنكليزية عقبة كئوداً في سبيل ضعف الحلف القائم بين السنوسية ودارفور بقطع خطوط الإمداد.

ولعل ما تقدم من إجراء بريطاني يفسر اعتذار السنوسي السابق وعدم إمكانيته لحماية قوافل دارفور وإمداده بما يحتاجه من سلاح هذا بالإضافة إلي الضعف المادي لكل من القوتين على حدة أو مجتمعتين في مواجهة القوي الأوربية ذات العدة والعتاد.

---

(8) نائب مدير المخابرات إلي حاكم مروي في 1916/4/22م D.S.A BOX 131/8

• المبحث السادس :-

تضعضع موقف السنوسية أمام الهجمات الفرنسية الإيطالية

سبق وأن أشرنا إلى أن السنوسية كانت تمثل حركة جهادية قامت بدور فاعل في مقاومة التدخل الأجنبي في شمال وغرب وأواسط أفريقيا ونـــاءت بعـــبء التـــصدي والصدام مع القوى الأجنبية الأوروبية الغازية. وسبقت الإشارة إلى أنها كانت حركـــة تبشيرية ذات نشاط تبشيري واسع. وقد دخلت مع فرنسا في حروب في عدة مناطق من غرب أفريقيا ضحت فيها السنوسية بكرائم قياداتها وخبراتها وإمكاناتها. وبذل رجالاتها نفوسهم رخيصة من أجل المبادئ والعقيدة التي آمنوا بها. هذا بالرغم مـــن اعتمادهـــا على قدراتها الذاتية وتفوق فرنسا عدداً وعدة عليها. واحتدم الصدام بين الطرفين فـــي وداي[9] (تشاد الحالية). وفقدت السنوسية عدداً وعدة وفقدت كثيراً من مواقع أقـــدامها الإستراتيجية فهاجر عدد كبير من رجالاتها فراراً بجلدهم إلى دارفور[10]. مما يعني أن دارفور كانت ملجأ آمناً وظهيراً مأموناً للسنوسيين في ذلك التاريخ.

ولم يقتصر بلاء السنوسية وجهادها على حدود وداي وحدها وإنما خاضت معارك ضارية في شمال أفريقيا ضد الاستعمار الإيطالي وأصبحت السنوسية رمزاً للتـــضحية والتصدي تقاتل في أكثر من جبهة معتمدة على قدراتها الذاتية، وإمكاناتها المحـــدودة. ولم تقف قوة على وجه الأرض مع هذه المقاومة الإسلامية الـــشرسة ذات النزعـــة الوطنية الصادقة سوى سلطان دارفور الذي أمدها بما قدر عليه، وشاركها بجزء مـــن إمكاناته المحدودة أداءً لحق الأخوة في الدين، وقياماً بواجب النصرة في ســـبيل الحـــق وإقامة شرعة الله في الأرض. وتطهير ديار المسلمين من دنس الاستعمار الأوروبـــي الغادر بشتى مدارسه واتجاهاته وجنسياته. ويؤكد هذا القول ما أشار إليه أحمد الشريف السنوسي مخاطباً السلطان الشهيد علي دينار بقوله (الله يديم بقاءكم ويقهـــر أعـــداءكم ويمحق بسيفكم رقاب الطايفة الكافرة الخاسرة الماكرة. فإن الكفر قد عم وطم ولم يكـــن

(9) استطلاع مجلة الهلال مصدر سبق ذكره

(10) المخابرات D.S.A Box 301/6 S.I.R. 205/5 Augest 1911

اليوم ملك على وجه الأرض غيركم فقد أعزيتم الدين وقهرتم الملحدين[11]، هـذا مـا ورد في سياق شكره له على دعم الجبهة السنوسية مادياً. ونقل له في هـذا الخطـاب صورة حية عما يدور من معارك.

يبدو أن السنوسية قد بلغت حداً من الضعف وهي ذات العددية الملتزمة والعضوية المتزايدة مما جعلها تنتظر مساعدات السلطان المحدودة الذي يعتبر بكل المقاييس أقـل منها تنظيماً وإعداداً وإمكانات وقوة ودربة وخبرة. وبالرغم من ذلك فإن مـا مـضى سرده يقرر أن السلطان الشهيد علي دينار كان يمثل قوة إسلامية صاعدة في المنطقـة تجسد فيها بعد النظر وتجاوز حدود الإقليمية الضيقة والخوف على العرش، إلى آفـاق الأخوة الإسلامية الأرحب. ومناصرة دعوة الحق بغض النظر عن جنسيتها أو مـسقط رأسها ولعل هذا ما ميزه عن المهدية ذات النظرة الشمولية الاحتوائيـة وهـي نظـرة قاصرة لأنها ترى الأشياء في حدود الأسود والأبيض ولا تضع اعتباراً أو وزناً لألوان الطيف الأخرى. ولذا فان أي سياسة أو نظرية سياسية تقوم على هذا الكيف تفشل فـي بلوغ مراميها، فحين قامت الثورة البلشفية في روسيا، ووصل الشيوعيون إلى الـسلطة في أكتوبر سنة 1917م وقامت دولتهم على أساس هذا التصنيف الأحادي النظرة، ظلوا يتعاملون مع العالم بهذه النظرة الأيدلوجية الضيقة، فخسروا في ميادين كثيرة إلـى أن جاء الأمين العام للجنة المركزية للحزب الشيوعي ورئيس الوزراء السوفيتي كوسيجين إلى السلطة في أوائل الستينيات من القرن العشرين فتبنى السوفيت نظرية الصداقة التي لم تكن بالضرورة تعني الالتزام التام بالمبادئ الماركسية أو تعني التبعية المطلقة. وكذا نلاحظ أن كثير من الأنظمة الشمولية بمختلف مسمياتها لم تـنجح إلا بعـد أن قامـت ببعض التنازلات عن أطروحاتها الابتدائية المتشددة ونظرت إلى الواقع من خلال ألوان الطيف السياسي والفكري والاجتماعي مجتمعة. ولذا لا غرابة إن فشلت الثورة المهدية في استقطاب رابح الزبير أو محمد المهدي السنوسي أو ملـك الحبـشة إلـى جانبهـا أو الوقوف في صفها. أما نجاح السلطان الشهيد علي دينار فيما فشل فيـه الآخـرون

[11] أحمد الشريف إلي علي دينار 1911/12/16 (25محرم سنة 1330هـ) S.N.A Intell 2/3/12

لربما يعود إلى الإرث الحضاري الذي ورثه السلطان الشهيد علي دينار عن أجـــداده. ولأن المهدية في ابتدائها وانتهائها فكرة منبتة الأصل لم تعتمد على بيــوت ذات ارث سياسي أو أفراد من سلالة ملوك أو سلاطين ذوي قدر وتاريخ في الـــسودان. وانمـــا قامت على أكتاف قيادات مثلت مدارس مختلفة وعلى قيادة لم تكن تتمرس على الحكـــم والتعاطي مع سياسة الرعية. بناءً على موروث وتقاليد مرعية.

وتحت مطارق الهجمات الفرنسية والإيطالية على السنوسية ضعف موقفها فلم تعد قادرة على إمداد السلطان الشهيد علي دينار بما يحتاجه من سلاح وخبـــرة. لا ســـيما حينما بدأ موقفه يتخذ أبعاداً خطرة تجاه الحكم الثنائي البريطاني في البلاد، ففـــي هـــذا الوقت بالذات كانت السنوسية على الطرف الآخر قد وقعت بصورة مباشرة تحت وطأة الهجوم الفرنسي الإيطالي ووصلت مستوىً من العجز جعلها غير قادرة علـــى إدخـــال خيط في سم خياط ناهيك عن إمداده باحتياجاته وتزويده بالخبرات الفنيـــة والعـــسكرية التي يرمي الحصول عليها منها. ولعل اعتذار السنوسي للسلطان عن إمداده بما يحتاجه يلقي الضوء على صدق المقولة السابقة[12]. ويقرر أن القوتين قد وقعتا بين فكي كماشة عدو لا يرحم، هذا في الوقت الذي لم تتمكن فيه كل من ألمانيا والسلطنة العثمانية مـــن إسعافهما في الوقت المناسب بالرغم من أهمية ثغريهما.

[12] يونان لبيب رزق مرجع سبق ذكره ص388-389.



صورة جثمان السلطان الشهيد علي دينار بعد استشهاده في نوفمبر 1916م
هو حوله جنود انجليز في كالمي

الفصل الخامس

علاقات السلطان الشهيد علي دينار بوداي (تشاد الحالية)

الفصـــل الخامـــس

علاقات السلطان الشهيد على دينار بوداى

(تشـــاد الحـــالية)

• المبحث الأول :-

(تشاد) تحت السلطنة الإسلامية والاحتلال الفرنسي:

وداي تعني اسم رجل في لغة الوطنيين وهي إحدى الممالك الإسلامية التي برزت إلي الوجود سنة 1640م. والقطر التـشادي وداي ســابقاً كــان يعــرف أول الأمــر بـــ (دار مابا) وأخيراً أصبح يعرف بـــ (دار برقو[1]) والصلة بين الـسودان عمومــاً ودارفور على وجه الخصوص وتشاد تعتبر علاقة أزلية ذات بعد عرقي مكين وثقافي وحضاري إذ تشترك بين السودان على وجه العموم ودارفور على وجــه الخــصوص وتشاد حالياً أكثر من إثني عشر عرقية تشكل رباطاً وثيقاً لا تنفــصم عــراه. ولعــل الوجود البرقاوي الآن بالسودان خير شاهد على جذور وأبعاد هذه العلاقــة. فمعظــم العاملين بالبقالات وأصحابها والمالكين لها هم من البرقو، وهم أصلاً تشاديون استقرّوا وتزاوجوا وانصهروا واندمجوا في النسيج السوداني، وإن ظل البعض مــنهم محتفظــاً ببعض السمات المميزة. ويعتبر البرقو أو الصليحاب نسبة لدار صلح وهو أحد أســماء منطقة تشاد الحالية، من أنجح العناصر في إدارة واستمرارية هذا النوع من التجــارة. وقد نجح قطاع كبير من بني صليح (البرقو) في مسائل المقاولات والمنشآت واســتقر جزء من هذا الفرع الأخير في مناطق الشايقية وتبنوا ثقافتهم وأصبحوا جزءاً من ذلك

---

[1] سلاطين تقرير سنة 1910 S.N.A.Intell 1/1/1

النسيج كالحواجمير (آل حاج نور في منطقة نوري) وبعض آخــر اســتقر بكردفــان ودارفور ومن هؤلاء آل السنوسي الشيخ ابراهيم محمد السنوسي أحد زعمـــاء حــزب المؤتمر حزب المؤتمر الشعبي جناح الترابي حيث جاء والده محمد الــسنوسي وهــو صغير من هذه المنطقة (تشاد الحالية) ودرس على أحد شيوخ بنـــي صـــويلح الــشيخ العلامة بدر الدين خضر الذي يعتبر جداً لشيخ ميرغني علي لأمه والذي يسكن بأمبـــدة الحارة الثامنة بأم درمان. وهذا الشيخ مدفون بشركيلة من مناطق أم روابة. والــبعض الآخر من هذا الفرع موزع على أجزاء كبيرة من السودان شرقاً وغرباً ولـــم يتـــداخل كثيراً مع الأجناس السودانية إلا في حدود ضيقة. هذا بالإضافة إلى الزغاوة والمساليت والطنجور والداجو والقرعان والفور والفلاتة والفلاتة والمحاميد .. الخ. كلها عرقيات وأثنيات مشتركة بين السودان وتشاد ودارفور وليبيا على وجه الخصوص ويؤثر هــذا الاشتراك على الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعيـــة والأمنيـــة والأخلاقيـــة والثقافية بين دارفور وتشاد والسودان عموماً.

ويفصل بين وداي وحدود السودان الغربيـــة (دارفـــور) وادي ســـونقا[2]. ووداي صلتها بالشرق قوية لاسيما دارفور منذ نشأتها[3]، وحتى اليوم وهذه واحدة من مشاكل دارفور الحالية التي تهدد أمنها ومجتمعها واقتصادها وستظل كذلك ما لم يحدث تكامل وتعاون أمني واقتصادي من كل من السودان وجمهورية تــشاد الحاليـــة بعيـــداً عـــن الأطماع الغربية في المنطقة.

بعد استسلام سليمان الزبير ود رحمة للايطالي جسي في 1879م بتوجيه من والده وبإيعاز من السلطات المصرية انفصل عنه أحد القادة - الــذي أدرك مـــدى الخبـــث والمؤامرة الأوربية - ويدعى هذا القائد الفذ رابح الزبير (وليست له صلة قرابة بالزبير باشا سوى أنه أحد قادته). واسمه الحقيقي هو رابح فضل الله وهو جنوبي قح من بحر الغزال اشتراه الزبير ود رحمه إنقاذاً لحياته لأنه حسب عادات القبائل الوثنية الجنوبية

---

[2] Gostav nachtigal: Sahara and Sudan trans. by allan. humphry fisher 4 vol. London 1971 vol 4 p. 239.

[3] سلاطين تقرير سبتمبر سنة 1910 S.N.A.Intell. 1/1/1

كان يفترض أن يقدم رابح فدية حسب العادات والتقاليد المحلية الموروثة وان يتم ذبحه على مسمع ومرأى من الجميع ويلاحظ مـن العجيـب الـذي ينفـي عـن الزبيـر ود رحمة الجميعابي التهم التي ألصقت به وتلقفها الأحفاد عن الأجداد دون وعي انه لم يشتره الزبير ليستعبده ولكنه أعتقه وولاه قيادة عسكرية في قواته لما ظهر منه من قوة شكيمة وقدرة على التنظيم والإدارة والجدية والمثابرة وأضحى واحداً من المقربين منه. وقد رفض رابح الاستسلام ومعه قوة من رجال الزبير. ولعله بهذا التـصرف أثبـت جدارة قيادية وذكاء ووعياً فائقاً. فأسس في البداية سلطنة فـي جنـوب غـرب بحـر الغزال. ومن هناك غزا دار كوتي - كتي واتسعت عملياته حتى دار دنجا. والاثنتـان تابعتان لوداى[4]. وتمكن من إقامة إمبراطورية شاسعة غرب تشاد.

وبنهاية سنة 1890م اتجهت قواته ناحية الشمال الغربي. وترك على المواقع التي استولى عليها أحد أتباعه ويدعى محمد السنوسي - لا صلة له بعائلة السنوسي. بيد أن أباه كان من أعضاء الطريقة السنوسية. ويقال أن محمد السنوسي قد جاء من باقيرمي - حيث حكم محمد السنوسي هذا الجزء الغربي من وداي باسم رابح فـضل الله بعـد استيلائه عليها. وفي سنة 1893م وصل رابح إلي باقيرمي وطـرد سـلطانها. وفـي السنوات التالية غزا رابح فضل الله بورنيو حيث هزم سلطانها وحكم هذه المناطق لمدة سبع سنوات[5] وكون إمبراطورية عظيمة الشأن.

لقد لعب رابح الزبير دوراً كبيراً في نشر الإسلام والثقافة الإسـلامية فـي هـذه المنطقة على وجه العموم. ولازال أهالي تلك المناطق يدركون أثره ودوره المتقدم في الحفاظ على استقلالية المنطقة ويحتفظون لـه بالـذكري الطيبـة. بيـد أن التكالـب الاستعماري الاستغلالي المبطن بالحقد الصليبي هو الذي دفـع الـدول الغربيـة ذات الثقل السياسي أن تتغلغل في هذه المناطق وتقضي على أية قوة صـاعدة يـشم منهـا رائحة الإسلام.

---

[4] A.B.Theobold. Ali Dinar the last Saltan of Dar fur first. Ed western printing service Bristol (1965). P.59-61.

[5] المرجع السابق .

وكان يحكم في الجزء الشرقي والأوسط من وداي في هذه الفترة السلطان محمــد يوسف والذي تعاطف بفاعلية مع ثورة دارفور ضد الحركة المهدوية. وتدخل لأكثــر من مرة للإصلاح بين السلطان أبكر إسماعيل سلطان المساليت وأبى الخيــرات قائــد المقاومة الدارفورية وابن عم السلطان الشهيد علي دينار، وسليل العائلــة الدارفوريــة المالكة. لربما الذي قاده إلى اتخاذ هذا الموقف هو خوفه من امتداد نفوذ الثورة المهدية إلى دياره. واذا ما نجح في مسعاه من أجل توحيد جهود المقاومتين السوادنيتين سيشكل ذلك حزاماً أمنياً يشغل الثورة المهدوية وقيادتها من التطلع إلى بــلاده. وهــو توجــه استراتيجي هام. حيث نلاحظ أن مشكلة دارفور وتشاد الحاليتين تكمن في هذا التداخل العرقي والسياسي والاقتصادي والاجتماعي وعدم وجود حزام أمني يحول دون حدوث اضطرابات وانفلات أمني على حدود كلا الدولتين بما يقود في كثير من الأحيان إلــى المواجهات العسكرية أو اللسانية أو اختراق حدودي. ولعل هذا الموقف التشادي يؤكــد على تدخل السلطات التشادية في الشؤون السودانية وكذا العكس. وهذا أمر تــستدعيه التداخلات العرقية المتشابكة. وهو يشكل جذوراً لما يدور الآن من مشاكل حدودية بين البلدين الأمر الذي استغلته المعارضة من البلدين. وقامت باستثماره لصالح أجنــدتها. ومما يؤكد على تدخل السلطان الوداوي في الشؤون السودانية الدارفورية يومئذ ودعمه للمعارضة الدارفورية ضد النفوذ المهدوي ما عثر عليه القائد المهــدوي عثمــان آدم (عثمان جانو) حيث عثر على أكثر من سبعين رسالة من البرقاوي (الــسلطان محمــد يوسف) إلى أبكر إسماعيل حرضه فيها على القتال ضد الدولة المهدية ومناه في بعض منها بالتأييد والمؤازرة[6]. هذه الإشارات تؤكد على التداخل العرقي والــسياسي بــين هذه المناطق، كما تلقي الضوء على الأحداث الجارية الآن في دارفــور وأهميــة دور تشاد حكومة وشعباً فيما يدور في الساحة الدارفورية. إذ لا ينبغي أن تعزل تشاد عــن موائد المفاوضات الدائرة الآن أو في المستقبل إذ تملك تشاد بصورة أو أخرى بعــض مفاتيح اللعبة في هذه المنطقة بعيداً عن المؤثرات الغربية ذات الأجندة الخفية.كمــا أن السودان ينبغي أن يكون حاضراً ومؤثراً وشريكاً في كل مــا يمكــن أن يقــود إلــى

[6] موسى المبارك مرجع سبق ذكره ص173-177.

الاستقرار والأمن في تشاد لأن بين البلدين قاسم مشترك أمني وعرقي وثقافي واجتماعي واقتصادي وسياسي يشكل نظرة تكاملية ويقتضي تعاوناً مشتركاً في كافة القضايا الحيوية التي تهم البلدين.

يلاحظ بعد وفاة السلطان محمد يوسف سادت ودَاى انقسامات أسرية على العرش اتفق خلالها رجالات البلاط على اختيار ابنه الأصغر إبراهيم ليكون سلطاناً وهو ابن مملوكة. وبعد فترة شعر إبراهيم بأنه قد وقع تحت قبضة رجالات البلاط الوداوي، فأراد التخلص منهم إلا أنه خسر الجولة وظهر أمامه ثلاثة متنافسين هم أحمد الغزالي، وعسيل حفيد السلطان محمد الشريف، ومحمد صالح (دود مرة أي أسد مرة) ومرة هي قرية تقع على الطريق بين أبشى والفاشر[7]. وله صلة قرابة بالسلطان الشهيد علي دينار.

هنا يبدأ دور السلطان الشهيد علي دينار إذ تدخل لاختيار أحمد الغزالي ومناصرته على منافسه سنة 1902م وأرسل خطاباً إلى الحاكم العام بهذا الصدد يعتذر فيه عن تأخير مكاتباته له بسبب انشغاله بأحداث وداي والنزاع الدائر بين أفراد الأسرة الحاكمة هناك. وكأنه أراد بذلك أن يوحي إليه بأنه قد أصبح رقماً له دور إقليمي في حسم النزاعات المحلية وفي الدول المجاورة. وأشار إلى أنه قد وجة أمره مع رسل وداي لتنصيب محمد الغزالي ويأمل تسوية الأمور بعد وصول رسله إلى وداي[8].

من خلال هذا السرد يتضح أن وداي كانت تشكل إحدى اهتمامات السلطان الشهيد علي دينار. وكانت حدود سلطنة دارفور الغربية تشكل صداعاً دائماً للسلطان علي دينار كما هو الحال الآن وغداً وبعد غدٍ. حيث كان السلطان الشهيد يرى أن بعض المناطق المتنازع عليها تقع ضمن حدود دارفور القديمة. وبالفعل نجح في إخضاع سلطنة المساليت التي اتخذت شكلاً ووضعاً مستقلاً خاصاً من حيث الإدارة خلال فترة الحكم المصري وأيام المهدية[9]. وإن كانت في الأصل هي جزء من موروث سلطنة

---

(7) A.B.Theobald. .Ali Dinar .the last Saltan of Darfur .1st ed.pp60-61 .

(8) علي دينار إلي الحاكم العام في 1901/6/16م S.N.A INTELL 7/3/11

(9) يونان لبيب رزق مصدر سبق ذكره: ص248.

دارفور الإسلامية وتابعة لها تبعية إدارية منذ قيام السلطنة الدارفورية الإسلامية سـنة 1450م، بيد أنها في لحظات الضعف وسقوط السلطنة على يد الزبير باشا ود رحمـة في أكتوبر سنة 1875م أخذت هذه السلطنة الصغيرة وضعاً مستقلاً. وهو أمر طبيعـي من الوجهة السياسية البحتة إذ نلاحظ أن ضعف المركز دومـاً يقـود إلـى انفـلات عقد الأطراف.

وفي أقصى الغرب نجح الفرنسيون في القضاء على رابح الزبير[10] (أي رابـح فضل الله). ووفقاً للمتغيرات السياسية الدولية والتطلعات الاستعمارية الاوروبيـة فـي المنطقة إضافة إلى الخلافات الأسرية داخل وداي دفعت بالقوى الاستعمارية الأوروبية الغازية لا سيما فرنسا إلى أن تطمع في الاستيلاء على وداي. فبعد اغتيـال إبـراهيم محمد يوسف سنة 1900م أعلن احمد الغزالي نفسه سلطاناً علـى المنطقـة. ولكنـه نوفس من قبل كل من عسيل ومحمد صالح (دود مرة) الذي تـم قتلـه. ونـسبة لأن أم محمد صالح (دود مرة) من غير الأسرة الحاكمة. فقد نافسه على السلطة عسيل الذي احتمى بالفرنسيين طالباً حمايتهم[11]. هذه الإشارة تؤكد دوماً علي حقيقة تاريخية فـي أفريقيا أو العالم الإسلامي أو العربي،وهي أن الأجنبي لا يأتي إلى منطقـة مـا إلا إذا وجد تشجيعاً ومساعدة من المواطنين وهذا ما حدث في تشاد في بداية القرن العـشرين وفي السودان وفي مصر وفي العراق وفي دارفور وفي أفغانستان سواء فـي نهايـة القرن التاسع عشر الميلادي أو بداية القرن العشرين أو في نهاية أو في بدايـة القـرن الحادي والعشرين. حيث يمكننا أن نقرر بأن المدخل الاستعماري الإحتلالـي الغربـي البريطاني او الفرنسي أو الألماني أو الصهيومسيحي الأمريكي لأي بلد هـو عنـصر محلي مجرد من الوطنية ويكون في المقام الأول قد عجز عن المواجهة وترسيخ أقدامه وكسب عطف ومساندة الجماهير لطرحه السياسي فيلجأ إلى الاستعانة بالأجنبي. ومـن المعلوم أن الأجنبي لا يندفع بصورة مباشرة أو غير مباشرة أو يقدم على دعم جهة ما إلا إذا كانت هذه الجهة تحقق له أهدافاً إستراتيجية ومـصالح يرمـي إلـى تحقيقهـا.

(10) سبتمبر سنة 1910م S.N.A NITELL.1/1/1.

(11) نفس المرجع.

فلا يعطي الاحتلال بيدٍ إلا إذا ضمن الأخذ بيد أخرى، وكان أخذه أكثر من عطائه. وهذا عين ما حدث في السودان في بداية القرن الماضي (القرن العشرين الميلادي) وأفغانستان فردوس الإسلام المفقود بعد الأندلس في ظل غيبة وعي العالم الإسلامي في نهاية القرن الماضي، وفي العراق في بداية القرن الحادي والعشرين الحالي.

ولما كان الاستعمار الاوروبي القديم أو الصهيومسيحي الامريكي المعاصر يتحرك وفق إستراتيجية وأوليات محددة نلاحظ انه وبالرغم من وجود مدخل جيد لحسم الأمر لصالح (عسيل) إلا أنهم لم يقدموا له شيئا لانشغالهم برابح لأن رابح في تلك الفترة كان يشكل خطراً أعظم على الوجود الاستعماري الفرنسي في تلك المنطقة وكان أوعى الموجودين يومئذ على الساحة الوداوية من القيادات وأكثرهم إدراكاً لمرامي وغايات وأهداف الوجود الأوروبي في المنطقة ولعل اكبر خطر يهدد إستراتيجية الاحتلال الغربي الأوروبي سابقاَ أو الأمريكي البريطاني حالياً هو الوعي والإخلاص الوطني والديني. وفي سنة 1903م أحدق خطر آخر بالسلطان الشهيد علي دينار. ذلك أنه بعد أن قام الفرنسيون بالقضاء على رابح فضل الله ذلك القائد السوداني البطل سنة 1900م. وبعد معارك فاصلة بين رابح فضل الله والجيوش الفرنسية كان حصادها مقتل رابح والقائد الفرنسي في معركة واحدة، أنشأ الفرنسيون مناطق عسكرية ونقاط حماية. صحب ذلك تقدم فرنسي كثيف نحو وداي. وبدأت مخاوف السلطان الشهيد علي دينار من أن يلجأ سلطان وداي محمد صالح (دود مرة) نجو الشرق. إذ من الممكن أن يصبح منافساً خطيراً في دارفور. لذا أضطر السلطان الشهيد علي دينار إلى إرسال قوة لمراقبة تحركات السلطان الوداوي محمد صالح (دود مرة) قرب الحدود الدارفورية الوداوية لمنعه من دخول دارفور[12]. وسيأتي تفصيل مؤداه أن لـ (محمد صالح دود مرة) علاقة عرقية بالسلطان علي دينار الأمر الذي يمكن أن يهدد وجود السلطان الشهيد علي دينار في دارفور. وقد حاول السلطان الشهيد علي دينار في أوائل أيام حكمه أن ينشئ علاقات تجارية مكثفة مع وداي دون علم الحكومة

[12] يونان لبيب رزق، مصدر سبق ذكره ص 248 انظر ايضاً: A.B.Tlleobald .Op.cit.pp.61

الثنائية البريطانية. الأمر الذي جعل الحاكم العام يطلب منه إعلامه بما يجـري بينـه وبين وداي[13].

ويبد وأن الحكومة الثنائية البريطانية كانت في شك من أمرها في وجود مثل هذه العلاقة التي تريد أن تكون رقيباً عليها. إلا أن السلطان الشهيد علي دينار كان يتصرف تصرف السلطان المستقل. ويرى أن له في وداي يداً عليا من حيث اختيار الـسلاطين وتعيينهم كما مر. وأن أمن دارفور مرتبط ارتباطاً وثيقاً بأمن تشاد وهـدوء وضـعها السياسي كما هو الحال الآن.

وبلجوء (عسيل) إلي الفرنسيين وجد السلطان علي دينار ذريعةً للتـدخل فبـدأت المناوشات تدور رحاها بين الفريقين دود مرة يساعده الـسنوسيون وعـسيل يـساعده الفرنسيون[14]. يستطيع المرء أن يستمد الخلفية السياسية لمشاكل اليـوم مـن أحـداث الأمس في هذه الرقعة. إذ لم يتغير على المسرح سوى الأشخاص والأسماء، والمسألة على كل كانت أكبر من النزاعات المحلية. لأن تفكير الدول الأوربية لتوسعة أملاكهـا في المنطقة وخلق نفوذ لها سابقان لهذه النزاعات حيث أن كلاً من إنجلتـرا وفرنـسا أبرمتا اتفاقية ثنائية صدر بشأنها بيان في لندن بتاريخ 1899/3/21م – لتحديد مناطق النفوذ لكلا الدولتين العظميين. وردت في الاتفاقية فقرة تحديد الحـدود بـين دار فـور ووداي بالفقرة الثانية من الإتفاقية[15]. وصدر ملحق لهذا البيان كان أكثر تحديداً لنقاط النزاع وكيفية تسويته بين الدولتين في 1899/6/13م[16] .

ووقع الاتفاقية وملحقها كل من وزيري خارجيتي الدولتين ولـم تكـن دار تامـا ومساليت من المناطق المتنازع عليها أصلاً[17]. وقامت هذه الاتفاقيات الأوربية علـى منطق غريب ورؤية أوروبية استغلالية تذهب إلى اعتبار أن أفريقيا منطقة خلـو مـن

(13) الحاكم العام إلى السلطان في 1900/1/4م.
(14) تقرير سلاطين سبتمبر سنة 1910م S.N.A.Intell . 1/1/1.
(15) تقرير أعده سلاطين بشأن النزاع الدارفوري الفرنسي علي الحدود في 1911/11/10م
(16) نفس المصدر
(17) يونان لبيب رزق مصدر سبق ذكره ص249 أيضاً S.N.A INTELL 1/1/2.

السكان الذين يحق لهم السيادة وذلك حين اجتمعت حفنة من الدول الأوروبية الغربية في برلين سنة 1884-1885م في مؤتمر مغلق وفي غرف مغلقة وإجلاءً للإشكال القائم فيما بينهما قامت هذه الدول بتقسيم (كيكة) أفريقيا دون اعتبار لما يقطنها من بشر وفي غياب إرادة أهلها توزعت هذه الحفنة من الدول مناطق افريقيا فيما بينها دون خجل أو حياء وأبيح لكل واحدة منها استعمال ما تراه من وسائل لإخضاع هذه المناطق لهيمنتها حرباً أو سلماً طوعاً أو كرهاً. وأضفى على هذا التصرف الهمجي المنافي للإرث الحضاري الإنساني عبر التاريخ صبغة الشرعية الدولية والقانون الدولي .. وهي ذات الفكرة العالمية التي تحكم دهاليز المنظمات الدولية الموجودة اليوم. فالأمر كله الآن بيد خمسة دول بعد نهاية الحرب الأوروبية الثانية وقد آل الأمر بعد اختلال التوازن في القوة بعد سقوط الإتحاد السوفيتي وسقوط جدار برلين، آل الأمر كله إلى دولة واحدة هي التي أصبحت تقرر مصائر العالم وفق رؤيتها ومصالحها العتيقة، وتتحكم في استصدار القرارات التي يزعم أنها أممية وفق مزاجها وهواها. فهي التي تجرم من تجرم من تشاء وكيف تشاء وبالطريقة التي تشاء وفي الزمن الذي تشاء. وتبرئ ساحة من تبرئ، دون وجود وحدة معيارية من الناحية الأخلاقية أو القانونية أو الروحية.

ووفقاً لبنود تلك الاتفاقية آنفة الذكر كتب سلاطين باشا النمساوي تقريره المشار إليه ينتقد فيه حكومة فرنسا لعدم تبليغها الحكومة الإنكليزية بالخطوات التي تنوي القيام بها بناء على الإتفاقية المبرمة بين الدولتين. ويتضح للمتأمل قصر النظرة الاستعلائية الغربية التي تجرد أصحاب الدعوى الحقيقية من أبسط حقوقهم في حق تقرير مصيرهم، مما يعني أن الرجل الأبيض كان ولا يزال لا يحترم حقوق الآخرين. وأن كل دعاويه فيما يتصل بحقوق الإنسان والمساواة والديمقراطية والحرية والحقوق المدنية هي شعارات غير مستهدف بها جنس آخر من البشر سوى الأوروبيين أو الرجل الأبيض. أما من عداهم من بني الإنسان فهم غير معنيون بهذه الأطروحات. وهذه النظرة هي إرث يهودي بغيض ولكن من زاوية أخرى. حيث يرى اليهود أن من

عداهم لا يعدون عن كونهم قطيعاً من الماشية ليست لهم حقوق، وقد دمغت هذه النظرة الانتقائية الاستعلائية الرجل الأبيض في قاراته الثلاث حيث اتصف بهـذه العنـصرية البغيضة مضافاً إليها الاستغلال الاقتصادي والتنافس غير الشريف من أجـل الكـسب الرخيص، بأي صورة وعبر أي وسيلة، ولو كان عن طريق بيع الإنسان لأخيه الإنسان أو قتله أو سجنه. وبالتالي تتكشف ضـحالة رؤيـة مـن يجـري الآن ويلهـث مـن الدارفوريين أو العراقيين أو الأفغان وراء الفرج الأوروبي أو الأمريكي الذي لا يعدو عن كونه محاولة جديدة لاستغلال ولاستعمار جديد بوسائل جديـدة وبـرؤى علميـة جديدة!!. والآن القوى الأجنبية هي سبب كثير من الخروقات الإنسانية والأخلاقية فـي البلاد (دارفور) سواءً على مستوى الإتحاد الأفريقي أو الإتحاد الأوروبـي أو القـوات التابعة لما يسمي بالأمم المتحدة. حيث نلاحظ أن القوات التابعة للإتحاد الأفريقي جـاء بعضها يحمل داء الإيدز بصورة كثيفة للبلد، وليس لهم من شاغل على حـسب إفـادة شهود عيان قادمون من دارفور سوى شرب الخمور ومخادنة النساء. والقتل والنهـب على أشده في البلاد, فإذا ما قتل فرد من الأجناس العربية يتم التغاضي عن ذلك الأمر، كما حدث لأحد أفراد بني هلبةٍ في شهر أكتوبر 2005م. فلم تتحـرك حينهـا القـوى الدولية أو المحلية أو الإقليمية. الأمر الذي حز في نفس القبيلة فجهزت ألـف فـارس بألف جواد وأحاطوا بنيالا مما اضطر الوالي الحالي المهندس الحـاج عطـا المنـان للتحرك كما جاء في المثل: (مجبر أخاك ولا بطل) فلقد تحـرك بـصورة ملحوظـة لإدراك وتحصيل بعض ما اندلق من ماء وجهه ووجه حكومته لتهدئة الأحوال من باب نحن هنا لا أكثر ولا أقل. والتزم شفاهة بالكشف عن الجناة وهو مقيـد فـي حركتـه وإجراءاته لتوفير الأمن ومعاقبة الجناة بهذا الوجود الأجنبي المفروض علـى الـبلاد فرضاً. وتحاول أمريكا عبثاً زيادة نفوذها في دارفور عن طريق فرض إدخال قـوات دولية، ومن الغريب أن يوجد من أبناء دارفور والسودان فـي ظـل سـوق النخاسـة السياسية السودانية وفي ظل (حراج) معرض بيع الضمائر والتجـرد مـن الوطنيـة وجرياً وراء الكسب الرخيص يوجد من يدعمون دعاوى أمريكا وبريطانيا ومن لـف لفهما دون وعي وغفلة أو بلادة تاريخية وغباء وتبلد حس وطني. ومـن المعلـوم أن

الاستعمار الغربي قديمه وحديثه لا يصل إلى أهدافه واستراتيجياته الا عن طريق المغفلين والمنفعيين وعديمي الضمير والأخلاق والعملاء من أبناء البد الأصليين في كل زمان ومكان.

ولا يستبعد في تلك الفترة الحرجة من تاريخ المنطقة أن تكون الخلافات المحلية والانشقاقات بالإضافة إلى المطامع الذاتية لكل منافس قد وجدت دعماً من هذه القوى الأجنبية التي كانت تتطلع إلى الاستيلاء على هذه الرقعة وسلبها خيراتها كما هو الحال الآن. وفي محاولة جادة وإستراتيجية مرسومة غايتها تغريب هذه الشعوب وإبطال مفعول البواعث التي تقتضي وحدتها وتحديد هويتها الإسلامية. فقد كانت الحركة الاستعمارية الأوروبية الغربية مدعومة ومصحوبة بحركة تبشيرية بروتستانتية ذات كفاءات ومستويات عالية. متدثرة بأحقاد صليبية قديمة ذات بعد اقتصادي وجشع مادي بحت، لا تعرف حقوقاً مشروعة أو حق العيش بأمان وسلام لهذه الشعوب في ديارها. لا سيما وقد سقطت ورقة التوت خلال القرن الماضي وهذا القرن - الحادي والعشرين- عن سوءة الدعاوى الغربية الفارغة التي ما زال المغفلون والأغبياء من أبناء الأمة الإسلامية والأفريقية والعربية يرددونها كالببغاوات، علماً بأن البعض منهم هم عملاء رخيصون باعوا ضمائرهم للأجنبي بثمن بخس، ويحاولون أن يخدعوا شعوبهم بجدوى هذه الأطروحات الغربية الكاذبة. وبدأت تظهر بشاعة عدم مصداقية هذه الأطروحات الكاذبة لكل ذي بصيرة نافذة، أومن لديه أدني معرفة بمفردات التاريخ الحديث والمعاصر إلا إذا كان عميلاً قحاً أو مغفلاً غبياً.

والاتفاقية المشتركة بين الدولتين (بريطانيا وفرنسا) والتي سبق الإشارة إليها تشير إلى مدى الغربة عن هذه الديار وعدم معرفتها بها معرفة وثيقة. حيث اكتنف الغموض خط الحدود بين كل من دارفور ووداي. فقد ورد في الاتفاقية أن خط الحدود في المنطقة الواقعة بين خطي طول 21، 23 شرقا سوف يعين بصورة واضحة وجلية يفصل بها مملكة وداي عما يكون عام 1882م. مديرية دارفور[18].

---

[18] المرجع السابق ص250.

على وجه العموم إن ضعف القيادات المحلية وعدم اختيارها الوقت المناسب لنشر غسيل خلافاتها - وفي محاولتها الدعوبة لتحقيق أطماعها الذاتية - اســتعانت بـــالقوة الأجنبية فشكل ذلك دافعاً قوياً شُجع الاستعمار الأوروبي للتغلغل فـــي هـــذه المنطقـــة وتحقيق أهدافه. وتمكن في ظل هذه المعطيات من أن يقاتل كل جبهة على حـــدة بعـــد ضرب المتناحرين ببعضهم البعض الآخر. وليت الأمة التشادية اليوم تكون على وعي مما يحاك بها الآن وتعتبر فيما يدور على مسرح أحداثها اليوم مـــن أحـــداث الأمـــس وتستدعي خلفيتها السياسية وكذلك سكان دارفور وقادتها وزعماؤها الآن هـــم بحاجـــة لقراءة هذه المفردات بوعي وبتأمل دقيق وبعين ثاقبة وبفكر متأن. واستدعاء مفـــردات الأمس لصناعة مفردات اليوم واستشراق وتشكيل رؤية ومفردات الغد.

وقام الاستعمار الأوروبي بعدئذ بتصفية كل جيب على إنفراد. مما لا شك فيه أن عدم وجود الوحدة لأبناء الوطن الواحد أو الأوطان المتجاورة هو الذي شجع الاستعمار الإحتلالي لدخول هذه البلاد. ففيما بين سنة 1902م لجأ الفرنسيون إلى تثبيت أقـــدامهم بعد قتال مرير مع كل من رابح فـــضل الله والـــسنوسية. وفـــي ســـنة 1903م اتهـــم الفرنسيون عسيل بالميل إلى السنوسية وتم اعتقاله مما اقتضى تفرق أتباعه. وقد بدأت المناوشات المتقطعة بين كل من الفرنسيين والوداويين بقيادة محمد صـــالح دود مـــرة خلال سنة 1904م، 1905م.

• المبحث الثاني :-

التحرك الفرنسي لاحتلال وداي (تشاد)

وبدافع من تأمين المناطق الخلفية والحصول علي مـــواطئ أقـــدام جديـــدة قـــرر الفرنسيون التحرك نحو الأمام مع تعزيز المناطق التي يستولون عليها بنقاط حراســـة دائمة. في هذا الأثناء أعلن السلطان محمد صالح دود مرة الجهاد ضد الوجود الفرنسي في بلاده. فتقدم جيشه بيد أنه هزم بقيادة محمد بشارة فـــي 16يونيـــو ســـنة 1908م. وصارت نتيجة ذلك القوات الفرنسية على مرمي حجر من أبشي العاصمة. وأثرت هذه

الهزيمة على سمعة السلطان محمد صالح دود مرة وهرب عدد من أتباعه شرقاً وغرباً حتى إن بعضاً منهم لحق بمنافسه الذي تم إطلاق سراحه لاستخدامه عند اللزوم من قبل القوات الغازية. وفي نهاية مايو سنة 1909م تقدمت فرقة فرنسية صغيرة تمكنت من الاستيلاء على أبشي العاصمة الوداوية، وتفرق أتباع السلطان محمد صالح دود مرة شنذر مذر. وهرب هو بجلده تلقاء الشرق[19]. لا يخفى على دارس للتاريخ أو ملم بأخبار البشر والأحداث التاريخية من أن حدوث اشتباكات دامية وغزو أجنبي لبلد آمن أو لأي بلد كان وفي أي زمان وتحت أي ظرف فإنه يقتضي حدوث حركة هجرة واسعة نحو المناطق الآمنة والبلاد المجاورة. ولعل هذه واحدة من المشاكل التي خلفها الاستعمار الأوروبي الغربي لتظل قنابل موقوتة في كل أفريقيا وبدون استثناء، ليجد حين حدوثها وبسببها مجالاً لحشر أنفه متى شاء وكيف شاء وبالطريقة التي يشاء في تقرير مصائر هذه المنطقة أو تلك.

- دارفور والأمن والاستقرار التشادي:

كان السلطان الشهيد علي دينار على الجبهة الدارفورية يرقب التقدم الفرنسي بعين الحذر والريبة. وقد تزايدت مخاوفه لا سيما بعد وصول القوات الفرنسية قرب العاصمة أبشي وهجرة أعداد كبيرة من مواطني تشاد إلى دارفور أي هاجروا إلى بني عمومتهم وخؤولتهم هرباً من جحيم الحرب، وهي مسألة طبيعية. وهي ذات مشكلة اليوم ما إن يحدث عدم استقرار سياسي في تشاد كما حدث في ستينيات القرن العشرين وكما حدث خلال الصراع بين الرئيس التشادي (حسين حبري) ومنافسه الرئيس عويدي جوكوني حتى اصطلى السودان بنار هذه الصراعات الدموية التي دارت بين جبهات التحرير التشادي المختلفة التي تشققت وتجزأت وتفتت وفقاً لتوجيهاتها وانتماءاتها الفكرية وولاءاتها الخارجية، فدفع السودان ثمناً غالياً نتيجة لذلك. وكذا ما يجري الان وبالتالي فإن النتيجة كل ما يحدث في تشاد يؤثر في السودان سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وأمنياً وثقافياً وأخلاقياً والعكس هو الصحيح. كما يحدث الآن

---

[19] A.B .Theobald. op. cit. pp.62-63.

وبالتالي تثور المشاكل بين البلدين. ولا شك أن أي هجرة من هذا النوع وفي مثل هذه الظروف لها عواقبها الوخيمة على البلد المستضيف. وقد حصل السلطان الشهيد علي دينار على معلومات في غاية الدقة عما يجري على الجبهة الوداوية الفرنسية. وقد أفاد الحكومة الثنائية البريطانية بذلك في سنة 1906م[20]. مما يدل على متابعته للأحداث واهتمامه الزائد بوداي باعتبارها ظهيراً أمنياً هاماً. وشعوره بأن ذلك سيؤثر على سياساته الخارجية وعلاقاته التجارية بوداي وعلى أمنه الداخلي الاجتماعي والسياسي والاقتصادي. لأنه من المعلوم في مثل هذه الظروف يمكن أن يحدث انفلات أمني وانفراط لعقد الأمن الاجتماعي والأخلاقي.إذ يحدث استغلال بشع في مثل هذه الظروف من قبل ذوي النفوس المريضة والمنظمات ذات الأهداف والأجندة الخفية لحاجة هؤلاء الفارين وأولئك الفارات بصورة تنافي المعايير الأخلاقية والإنسانية من ذوي النفوس الضعيفة والدول الاستكبارية ذات الأطماع الاستعمارية في هذه المنطقة أو تلك. وهذا عين ما حدث بالفعل – وعلى مرأى ومشهد من العالم الذي يدعي الحرية والمدافعة عن حقوق الإنسان – في العراق وقبلاً في أفغانستان في نهايات القرن الماضي وبدايات القرن الحالي من تجارة بلحوم البشر الناعمة من أجل الحصول على دريهمات معدودة حيث أضحت الماجدات العراقيات وقبلهن الماجدات الأفغانيات يبعن ويشترين بأبخس الأثمان في سوق النخاسة الجنسية البهيمية الدولية نتيجة الغزو الصهيومسيحي الأمريكي البريطاني وحلفاء أمريكا من شذاذ الآفاق الأوروبيين لهذين الثغرين والمعقلين الإسلاميين والعربيين والعالم كله بما فيه العالم الإسلامي والعربي يضع يده على خاصرته يخاصر ويغازل أمريكا وحليفاتها في مظهر مومس داعرة فاجرة لا تخجل ولا تستحي. ويتفرج وكأن الأمر لا يعنيه من قريب أو بعيد، هذا الغزو الآثم الغادر لهاتين الدولتين المسلمتين دون وجه حق وبدعاوى كاذبة من قبل قوة استبدادية غاشمة فاجرة في خصومتها وفي أهدافها واستراتيجياتها لا يسندها منطق كذبوها هم قبل غيرهم. حيث تكفي تصريحات مدير الاستخبارات الأمريكي (تنت) الذي أكد بأن المعلومات التي أدلى بها (كولن باول) أمام مجلس الأمن الدولي قبيل غزو العراق

---

[20] السلطان إلي سلاطين 2/25-1906/3/26محرم سنة 1324هـ S.N.A. INTELL 7/1/8

وعلى مشهد ومرأى من العالم كله والتي برر بها ضرورة غزو العراق أنهـا كانـت معلومات كاذبة[21]، والمسلمون والعرب في حالة وهن وضعف يتفرجون مغلوبـون على أمرهم تحت مظلة أنظمة جبانة رعديدة لا تملك الشجاعة لتقـول لــ : (مامـا) أمريكا لا، ناهيك عن أن تشهر في وجهها سلاحاً أو أن ترفع صوتاً. أو أن تبدي مجرد امتعاض أو أن تقوم بمهمة أضعف الإيمان ألا وهو الإنكار القلبي.

وبسقوط السلطة المحلية الموالية له نلاحظ أن السلطان الشهيد علي دينار فكر في توسعة رقعة مملكته غرباً لتكوين حزام أمني يحمي به حـدوده الغربيـة حينمـا رأى خطراً أجنبياً أراد نهب البلاد وأهلها في غفلة متناحرون. فقام بهجـوم علـى قبائـل المحاميد[22] التي تقطن وداي وقبض من أبلهم الكثير. فقتل منهم خلقا كثيـراً وقـبض على جزء آخر منهم. وكأنه أراد بذلك أخذ حظه من غنـائم وداي حمايـة لمـصالحه الحيوية وتأميناً لجبهته الغربية. وكأنه أراد بذلك تأديب الجزء المقيم مـنهم بـدارفور بأسلوب (إياك أعني واسمعي يا جارة).

وفي المقابل قام السلطان في وداي باتخاذ إجراءات صارمة منتهاها القتل لكل من يقوم بزيارة الفاشر كردة فعل لحملة السلطان علي دينار ضد المحاميد[23].

يعكس ذلك أن السلطان الوداوي الحالي لم يكن على وفاق مع سلطان دارفور لأنه جاء بعد خلع السلطان احمد الغزالي مباشرة الـذي رشـحه الـسلطان علـي دينـار سنة 1902م. وأضحت قبيلة المحاميد نتيجة لما حدث لها من قبل سلطان دارفور تشكل الدرع الواقي للسلطان الجديد في وداي. وقبيلة المحاميد هي قبيلة مشتركة بين السودان وتشاد ومالي والنيجر ولها امتداد في ليبيا. وهذه القبائل والاثنيات المشتركة تعتبر مهدد أمني ومحدداً سميكاً للسياسة الخارجية للسودان وتشاد وليبيـا ومـالي والنيجـر فـي

(21) اذاعة لندن BBC الجمعة الموافق 2007/4/27م الساعة 8,30 مساءً.

(22) هي إحدى القبائل العربية (الابالة) المشتركة بين كل من السودان وتشاد والنيجر وليبيا ومالي. وهذا الاشتراك في حد ذاته يشكل أكبر مهدد.أمني ومحدد خطير ومؤطر لسياسة السودان الخارجية في الماضي والحاضر والمستقبل وهذا ما سنتناوله في كتابنا تحت الطبع (السودان ومهدداته الامنية ومحددات سياسته الخارجية في التاريخ الحديث والمعاصر).

(23) S.I.R. 140/4 march 1903.

الماضي والحاضر والمستقبل إذ تشكل قاسماً مشتركاً بين هذه الدول الخمـس وكانـت ولا تزال وستظل هي ذات المشكلة الأمنية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية المعلقة بين هذه الدول، وتشكل القنبلة الموقوتة فلا تنزع فتيلتها الا باتفاق وتكامـل وتعـاون مشترك بين هذه الدول مجتمعة إذا ما ارتقت فيها الحاسـة الوطنيـة إلـى مـستوى المسؤولية التاريخية .

وفي مستهل سنة 1906م جاءت شكوى من السلطان الشهيد علي دينار تفيد قدوم بعض الأعراب الذين يدعون (المغاربة) من الغرب نتيجة للحملات الفرنسية علـيهم، وتخريب ديارهم فاخترقوا حدود دارفور[24]. لربما كان يعني بـذلك قبيلـة المحاميـد العربية، لأنه من المعلوم وكما أسلفنا تاريخياً وعرقياً فإن المحاميد هم مـن القبائـل المشتركة بين كل من السودان في (دارفور) والنيجر ومـالي ووداي (تـشاد) وليبيـا. وحركتهم كانت ولا تزال وستظل حركة تلقائية لا تقـف دونهـا الحـدود الـسياسية والجغرافية والاحتياطات الأمنية المصطنعة، وهي فـي ذات الوقـت تعتبـر مهـدداً للاستقرار في كل واحدة من هذه الدول المذكورة أعلاه. ولابد مـن التنـسيق الأمنـي والسياسي والاقتصادي والأجتماعي لتخفيف آثار هذه الأخطار المترتبـة علـى هـذا الاشتراك العرقي والأثني والثقافي والاجتماعي بين هذه الدول المشار إليهـا وتـأمين حركتها في ظل أطر قانونية متفق عليها.

وبنهاية سنة 1907م نصب الفرنسيون عميلهم عسيل على وداي (تشاد الحاليـة) بعد إطلاق سراحه ليكون سلطاناً على وداي ويبدو أن اعتقاله كان القصد منه عمليـة غسيل دماغ حتى تلين قناعته ويسلس قياده ويقوم بدور كرزاي أفغانستان او عـلاوي العراق في نهاية القرن الحادي والعشرين وهذا في حد ذاته أسلوب أوروبي أمريكـي قديم حديث. فكثير من القيادات في العالم الإسلامي والعربي والأفريقي تم تدجينها بهذا الأسلوب الإرهابي البغيض ويطلق سراحها بعد أن تبصم بالخمسة والاثنين على أهداف واستراتيجيات الغرب في المنطقة المعنية. وكانت أقصى نقاط الفرنسيين الحدودية فـي

---

[24] السلطان إلي سلاطين فبراير سنة 1906م (محرم1324هـ) S.N.A INTELL7/1/8

أتيا (125) ميلاً شرقاً، وعلى بعد (100) ميلاً من أبشي العاصمة، واستدعوا السلطان محمد صالح دود مرة لعقد اتفاق معه إلا أنه أجاب بشن غارة يرد بها تقدم الفرنسيون فيما بعد.

وبالرغم من عداء السلطان الشهيد علي دينار للسلطان محمد صالح لدود مرة إلا أنه كان مهتماً بأخبار وداى والفرنسيين اهتماماً بالغاً لأنه كان على دراية تامة بأن مسار الأحداث في تشاد يؤثر سلباً أو إيجاباً على مسارها في دارفور. جاء ذلك الفهم الواعي في خطاب بعث به إلي الحكومة الثنائية البريطانية ورد فيه: (وأما أحوال البرقو ما زالوا للآن متقابلين مع فرنسا ولهم مدة طويلة في محلهم وفرنسا في محلهم، ولم ينتجوا نتيجة)[25]. والبرقو يعني بهم التشاديين وان كانوا يشكلون إحدى الاثنيات التشادية المشتركة بين تشاد ودارفور والسودان عموماً كما سبق وأن أوضحنا في غير مناسبة في ثنايا هذا الكتاب.

في هذا الأثناء دارت معارك بين كل من قوات دارفور والوداويين مما يدل على قصر وجهة النظر الوداوية. حيث كان يتوجب في مثل هذه الظروف الحرجة من تاريخ المنطقة توحيد الجهود وبناء جسور الثقة والتكامل والتعاون، والاتحاد مع القوى المجاورة بدلاً من مصارعتها وتشتيت جهودها وإتاحة الفرصة أمام المحتل المستعمر الذي تبنى سياسته على مبدأ فرق تسد. أو مبدأ (المديدة حرقتني) على حسب المثل السوداني الشائع وإشعال نار الفتنة والفرقة بين أبناء البلد الواحد.

يبدو أن هذا الاعتداء كان قد حدث ابتداءً من قبل وداي دون وجه حق حيث هدأ المفتش كعادته من ثائرة السلطان الشهيد علي دينار بقوله: (أن ما علمته من المحاربة التي حصلت بينكم وبين دار برجو (برقو) قد كدرني كثير مع علمي أن الذنب عليهم والغلط حصل منهم. ولكنني اعتقد أن خير وسيلة هو أن تسعي لعقد الصلح مع دار برجو (برقو) .... لاسيما أني علمت أن السلطان محمد صالح (دود مرة) ينتسب إليك من جهة والدتك[26]). يبدو أن الحكومة الثنائية البريطانية لم تكن من أولوياتها في

---

[25] السلطان إلي سلاطين فبراير سنة 1908(18 ذو القعدة سنة 1326هـ). S.N.A INTELL 7/1/9
[26] سلاطين إلي السلطان في مارس/ أبريل سنة 1908م S.N.A INTELL7/1/8

الوقت الراهن تحديد الحدود بين دارفور وتشاد أو استقرار الأحوال في تلك الجهات. ولعلها كانت ترمي بقصد إلى التغافل عن هذه النزاعات التي غايتها إضعاف قوة البلدين الأمر الذي يسهل مهمة الوجود الأوروبي في المنطقة.

كما تلقي هذه الإشارة الواردة في خطاب سلاطين باشا الضوء على الرابطة العرقية بين السلطانيين الوداوي والدارفوري. وتعمل في مجال تزهيد السلطان في تجاوز حدوده وتدعوه إلى كفكفة أطماعه التوسعية والتي قد تتعارض مع الاتفاقية الإنكليزية الفرنسية. ولقد قام الوداويون بهذا العدوان في الوقت الذي كان فيه السلطان الشهيد علي دينار يسعى لتوحيد الجبهة الدارفورية الوداوية والإقليمية ضد الغزاة الفرنسيين. حيث سبق له أن أرسل في بداية العام الحالي وفداً إلي طرابلس بغية توسيط القيادة السنوسية ذات الأثر القوي والسلطة الروحية في تشاد في الحرب الدائرة بين سلطان وداي ودارفور. وطالب بتوحيد جهودهما ضد المسيحيين الإنكليز والفرنسيين[27]. هذه المحاولة ترينا بعد نظر السلطان الشهيد علي دينار وإدراكه لمجريات الأحداث في المنطقة. ومحاولته الجادة للتخلص من ربقة النفوذ الأجنبي في بلاده والأقطار المجاورة التي تعتبر حزاماً أمنياً وعرقياً لبلاده. وأنه كان يقاتل في كل الجهات بذات الاندفاع والقوة ويدافع عن وطنه وأمته بصدق وإخلاص بيد أن هذه المساعي الدارفورية لم تؤت ثمارها حيث تم إغلاق الطريق التجاري بين كل من وداي ودارفور تماما نسبة لسوء العلاقة الدارفورية الوداوية[28] في هذه الفترة.

ومنذ أن وطئت أقدام الفرنسيين وداي بدأت شكوك السلطان الشهيد علي دينار تزداد في نوايا الفرنسيين واستراتيجياتهم تجاه حدوده[29]. ويبدو أن سوء المواصلات والاتصالات خلال تلك الفترة قد حالت دون تكوين حلف قوى وفاعل مع القوى المحلية والإقليمية ضد الوجود الأجنبي في البلاد بشقيه الإنكليزي والفرنسي.

---

(27) S.I.K 165/7/Feb. 1908.
(28) S.I.R 179/4 June 1908.
(29) S.I.R 189/7 April 1909.

• المبحث الثالث:-

الفرنسيون يستولون على العاصمة التشادية ابشي

وفي مايو سنة 1909م تم استيلاء الفرنسيين على أبشي العاصمة الوداوية بعد معركتين حاميتين بين الفرنسيين ومحمد صالح دود مرة[30]. بعدها اتجه مرة أخرى محمد صالح دود مرة تلقاء دار مساليت[31]. ومنذ الوهلة الأولى لم يكن موقف الفرنسيين بعد احتلالهم لوداي واضحاً تجاه حدود دارفور. ولكنهم مما يبدو كانوا يتحينون الفرص المناسبة لاهتبالها وقد وجدوا مبرراً قوياً بدخول محمد صالح دود مرة إلى دار مساليت التابعة لسلطان دارفور حيث أدعوا ملكية وأيلولة دار تاما ودار مساليت لوداي الأمر الذي أدى إلى حدة في الخطاب بين الطرفين أي بين السلطان الشهيد علي دينار والفرنسيين[32] من طرف آخر. والادعاء وقلب الحقائق ليس بغريب على الأوروبيين في تاريخهم الطويل القديم والحديث والمعاصر سواء على المستوى الرسمي أم الشعبي أم الإعلامي، فهم متخصصون في تجيير حقائق التاريخ وتزويرها بما يخدم مصالحهم وان كان لدينا مغفلون من أكاديميين ومثقفين يعتقدون في قيادية ومنهجية ومصداقية التوجه الأوروبي والأمريكي. فأول تزوير يكمن في تسمية الحربين الكبريتين اللذان دار رحاهما في بداية ومنتصف القرن العشرين بالحرب العالمية. وثانيهما بعد أن تقدمت الولايات المتحدة الأمريكية الصفوف وأصبحت في المقدمة في نهايات القرن العشرين أسمت تحالفاً أوروبياً ضد أفغانستان والعراق بالتحالف الدولي. ولعل أكبر أكذوبة ما يسمى بهيئة الأمم المتحدة وهي هيئة الأمم المتنافرة والمستغلة. ومجلس الأمن الدولي وهو مجلس الأمن الأمريكي البريطاني

---

(30) A.B.Theobald. op. cit. pp. 63.

(31) G.D. Lampen. Op. cit. pp 193. المساليت هم قبيلة شبه عربية وهي قبيلة مشتركة بين كل من السودان وتشاد وليبيا. ويعتقد انهم وفدوا إلى السودان من ليبيا من مسلاتة. ولهم سلطنة قديمة تابعة لسلطنة دارفور تبعية ادارية وظلوا محتفظين بهذه التقاليد السلطانية إلى الآن. ومن عائلة سلطان المساليت دكتور حسن تاج الدين عضو مجلس السيادة في الديمقراطية الثالثة وكان من قيادات حزب الأمة والان هو مستشار رئيس الجمهورية في حكومة الانقاذ، وابناء عمومته دكتورة نجوى بحر الدين الاستاذة بكلية التجارة – جامعة النيلين – قسم المحاسبة وابنة أخت الدكتور التجاني مصطفى عميد كلية التجارة الاسبق وعضو المجلس الوطني الحالي 2007م لأن امها من الزغاوة.

(32) G.D. Lampen. Op. cit. pp 193.

الروسي الفرنسي الصيني والدول الباقية لا تعدو عن كونها مساحيق وديكور لا غيـــر. لأن القرار حسب نص قانون هذا المجلس في يد خمس دول وبيدها وحدها حق النقض وبعد سقوط الاتحاد السوفياتي أصبح هذا المجلس ألعوبة في يــد الولايـــات المتحـــدة الأمريكية دون منازع.

بعد احتلال الفرنسيين مباشرة لأبشي أصبحوا محاطين بأعدائهم من كل الجهـــات في شبه دائرة. من الشمال السنوسية في أندي. وهناك السلطنات شـــبه المـــستقلة فـــي الشرق قمر وتاما ومساليت وسيلا. ودارفور التي هي أقـــوى هذه السلطـــنات شكيمةً وتنظيماً شرقاً. وفي الجنوب محمد السنوسي ومعه ما بين (3000) إلي (4000) جندي مسلح. هذا بالإضافة إلي السلطان المخلوع محمد صالح دود مرة والذي تجمع حولـــه عدد من المواطنين دفاعاً عن أراضيهم. لقد كان لدى فرنسا في تلك الفترة وفـــي تلـــك المنطقة بالذات ما بين خمسمائة إلى ألف جندي سنغالي وهذه مـــسألة ملفتـــة للنظـــر وتحتاج إلى قدر من التأمل حيث نلاحظ أن الاستعمار الغربي سواء أكـــان الأوروبـــي الغربي أم الأمريكي أم الروسي في فترة من الزمان قديماً وحديثاً في تنفيذ استراتيجياته وتحقيق أهدافه لا يقدم أبناءه للمخاطرة وإنما يحتمي بأبناء البلاد من المغلـــوبين علـــى أمرهم ومن العملاء الرخيصين، وهذا ما حدث في الماضي وما حدث في الحاضر في كل من أفغانستان والعراق وعدد من الدول الأفريقية والعربية والإسلامية حيث نلاحظ أن وقود فتيلة الحرب الآن في كل من أفغانستان والعراق هم من المهـــاجرين الـــذين يطلبون الحصول على البطاقة الأمريكية الخضراء وهم الآن يموتون بعشرات الالاف ذلك لضعف دولهم ولهوانها لا تسأل عنهم. وتفعل أمريكا ذلك لأن موت جندي أمريكي واحد يكلف أمريكا الكثير. ولكن بالرغم من ذلك فقد تمكن الفرنسيون من احتلال كـــل المنطقة التي تشملها وداى. بعدئذ أصدر الفرنسيون أمراً بتسليم كل الأسلحة التي لـــدى المواطنين في يوليو سنة 1909م. وبعد شهرين فقط من احتلال العاصمة أبشي تحصل الفرنسيون على (3500) بندقية من المواطنين. مما يعنى عدم وجـــود خطـــة حربيـــة رصينة ووجود قيادة عسكرية نافذة ذات نظرة إستراتيجية وخطة عـــسكرية محكمـــة. إذ لو توفر قدر من التخطيط والتعاون بين القوى المحلية الموجودة لما تمكن الفرنسيون

من البقاء والاستمرار إطلاقاً في هذه المنطقة ولحدث تهديد للوجـود الإنجليـزي فـي الشرق بيد أن ضيق النظر وقصره حال دون ذلك.

وفي الوقت ذاته تحركت فرقة صغيرة من الجيش الفرنسي شمالاً وشرقاً وجنوباً. وفي أكتوبر سنة 1909 طالب الفرنسيون بدار تاما وسيلا وقمر والتي كانـت ضـمن الحدود المتنازع عليها بين وداي ودارفور[33] بعد أن علم السلطان الشهيد علي دينـار بالأمر بعث بخطاب إلى السلطان محمد صالح دود مرة بغية إيوائه وتـوفير المنـاخ الملائم له في الفاشر واعلم الحكومة الثنائية البريطانية بهذه الخطوة[34].

ونتيجة لهذا الإدعاء والتدخل الفرنسي السافر في أرض يعتبرها السلطان الـشهيد علي دينار ضمن حدوده التاريخية وإرثه التاريخي والوطني والقومي والديني، احـتج احتجاجاً شديد اللهجة لدى الحكومة الثنائية البريطانية باعتبارهـا شـريكاً فـي كـل ما يحدث ومدعية الحماية لحدوده أمام العالم في المحافل الدولية. وأوضح موقفه تجـاه هذا الاعتداء بقوله: (إن جميع حدود دارفور التي ملكوها آبائي وأجدادي ما دمت حيـا في الدنيا لا نتركها لدولة فرنسا إلا أن نكون ميتا ولا نبالي في مدافعتهم مـا دام أنهـم جاوزوا الحدود وتعدوا علينا نحاربوهم إن شاء الله ولو أننا نكملوا عن آخرنا)[35]. وفي هذا الخطاب وجه السلطان الشهيد علي دينار أول تهديد ضـمني للحكومـة الثنائيـة البريطانية من باب إياك أعني واسمعي يا جارة. فلئن كان لا يسمح للفرنسيين باقتطاع شبر واحد من ارض مملكة آبائه وأجداده فإنه وفي مواجهة بريطانيا لا يكون أقل مـن ذلك حدة أو إصراراً وعناداً ومقاومةً.

ومن زاوية أخرى يعتبر هذا أول احتجاج رسمي يصدر عن السلطان بشأن انتهاك حرمة حدوده الغربية. ويؤكد هذا الاحتجاج بهذه اللهجة الحادة على إستراتيجية مؤداها انه يعتقد أن دارفور هي ملك له ورثها عن آبائه وأجداده وان وجوده على رأس الأمر في دارفور هو حق تاريخي وإرث طبيعي فلم يكن نتيجة منة أو منحة من جهة أو من

(33) A.B. Theobald. Op. cit . pp. 81-82.

(34) السلطان إلي المفتش في يوليو سنة 1909م (21جمادي الأولي سنة 1327هـ) S.N.A INTEL 7/1/9

(35) السلطان إلي سلاطين (1327هـ) (1909م) S.N.A INTEL 7/1/11

أحد. لذا يستحيل عليه أن يتنازل عن شبر واحد من دارفور لأي سبب مـــن الأســـباب ومهما كانت الظروف، ويؤكد ذلك بما لا يدع مجالاً للشك أنه على استعداد تام للـــدفاع عن كل شبر من أرض دارفور حتى آخر رمق من حياته دون هوادة.

لربما هذا الاعتداء هو الذي جعل السلطان يعرض عن أي نوع من أنواع التعاون بينه وبين السلطان الوداوي العميل الجديد الذي نصبه الفرنسيون. فلم يستحب السلطان الشهيد علي دينار للنداء بفتح الطريق بين الفاشر وأبشي مـــن قبـــل الحكـــم الثنـــائي البريطاني. بل قام برد فعل معاكس ألا وهو التعاون مع السلطان المخلوع والتلويح له بإعطائه الأمان إن قدم الفاشر(36). مما يعني تعارض المصالح بين الفـــريقين الثنـــائي البريطاني والدارفوري.

- **المبحث الرابع:-**

بدء الاعتداءات الفرنسية على حدود دارفور

كان السلطان الشهيد علي دينار يأمل في عون الحكومة الثنائية البريطانية لإيقاف المد الفرنسي داخل حدوده أو لربما أراد إحراجها وفضح أمرها. حيث كتب خطاباً بهذا الصدد في27 أكتوبر سنة 1909م يفيد بأن الفرنسيين قد احتلوا دار تاما وهي ضـــمن حدوده التاريخية والإدارية. ويعد ذلك انتهاكاً واضحاً لحدود دارفور(37). ولعـــل ممـــا خفي على السلطان الشهيد علي دينار أن العلاقات بين الـــدولتين (انجلتـــرا وفرنـــسا) تحكمها معاهدات ومواثيق ومصالح مشتركة ومؤتمرات دولية تم فيها تحديـــد منـــاطق النفوذ لكل منهما بعيداً عن إرادة أهل الحق التاريخي في المنطقة. ذلـــك لأن الرجـــل الابيض درج على إلغاء إنسانية الآخر من قاموسه ففي أي قارة ذهب اليها ألغي وجود الآخر وتصرف باعتباره السيد الأوحد في وطن غيره، ومبعوث العناية الالهيـــة الـــي لا يرد له امر أو قضاء أو إرادة. هذا رغماً عن أطروحات الغرب التي تـــصم الآذان بصدد الحقوق المدنية والديمقراطية، ودعوى تقرير المصير. ولكن كلها تتبخر وتصبح

(36) S.I.R 182/4- 5. Sep . 1909.
(37) A.B.theobald . op. cit. pp. 92.

بالونات فارغة المحتوى على محك تجربة الواقع والتعاطي معه. حتى أضحى لا ينعق بأطروحاته وينخدع إلا غبي بليد لا يحسن التعاطي مع مفردات الواقع من السياسيين والأكاديميين الفاشلين والعملاء الذين باعوا ضمائرهم في سبيل خدمة أهداف أعداء الأمة الصهيومسيحيين الجدد .

ولم يقف السلطان الدارفوري عند حد الأمل المعقود، وإنما أراد إلزام الحكومة الثنائية البريطانية الحجة بأن حدود دارفور معروفة لدى سلاطين باشا. وقد ورد ذلك في قوله: (إن حدود دارفور معلومة عندكم من حالتها الابتدي ولغاية ما صارت بيد الحكومة المصرية ولا يخفى عليكم من حدودها شيء وإذا نحن في تلك المداولات ندافع عنها إلي أن عودها الله في حيازتنا بحماية الحكومة العلية. والآن الفرانسية جاوزوا الحدود ودخلوا بدار تاما حازوها الآن مقيمين فيها وأنها من أصل حدودنا ... وإصدار الأوامر ... لأن تكف يدها عن بلادنا بحسب القوانين الجاري بها العمل بين الدول وأن لم يكن بين الحكومة ودولة فرنسا قانون يردها ... أفيدونا نتوكلوا علي الله وندافع عن أنفسنا)[38]. كأنه أراد بذلك القرار الحاسم والموقف الرجولي البطولي أن يقذف بالكرة في ملعب الحكومة البريطانية وأن يلزمها الحجة بأن حدود دارفور الغربية معلومة لدى الحكومة الانجليزية.

وفي 1909/12/21م جاءه تأكيد من قبل نائب المخابرات الثنائية البريطانية يطمئنه بأن لا يخشى شيئا ما دام مخلصا للحكومة الإنكليزية المصرية وهذا نصه.

(with regards to the aggression of the French Government on your frontier, you need never be afraid of this as you are loyal to the Anglo Egyptian Government).

(وبالنظر إلى عدوان الحكومة الفرنسية على حدودكم فينبغي ألا تتخوف منها أبداً مادمت مخلصاً للحكومة الإنكليزية المصرية)[39]. يمكن القول بأن الحكومة الثنائية البريطانية قد بدأت في استصدار المهدئات الضرورية واللازمة وفقاً لظروف السلطان

---

(38) السلطان إلي المفتش في نوفمبر سنة 1909م (13شوال سنة 1327هـ).

(39) نائب مدير المخابرات إلي السلطان S.N.A INTELL 7/1/1188

الحالية وأرادت وأرادت في ذات الوقت أن تنتهز الفرصة وأن تصطاد في الماء العكر وأن تضرب عصفورين بحجر في آن واحد، والتلويح له بقدرتها علـــى كـــبح جمـــاح الفرنسيين. أما ربطها ذلك العمل بمدى إخلاصه لها كان أمراً مقصوداً في حد ذاتـــه. لإشعاره بأن مناصرته ضد الفرنسيين مرهونة بإخلاصه للحكومة الثنائيـــة البريطانيـــة حتى تحافظ عليه ولو إسمياً. وهي بهذا تريد أن تؤكد على أن دارفور تابعة لها وتريد في ذات الوقت أن تجد لها حجة قانونية وأن تثبت لنفسها شرعية أمام الدول الأوروبية عن طريقها يتم إقناع المؤتمر الدولي المزمع عقده بشأن دارفور بتبعية السلطان علـــي دينار لها بصورة أو أخرى.

- **المبحث الخامس:-**

هزيمة الفرنسيين ومقتل قائدهم في بئر الطويل

أما على صعيد الجبهة الفرنسية فقد قامت حملة استطلاع فرنسية في 1910/1/6م دخلت حدود دار مساليت. وهي منطقة تابعة لدارفور بيد أنها واجهت نهاية مرة حيث قتل قائد الفرقة الفرنسية في بئر الطويل. وأصبح وضع أبشي السياسي والأمني مهدداً للفراغ الذي خلفه القائد الفرنسي الذي قتل أثناء اعتدائه على أراضي دارفور. وسرعان ما تم اختيار قائد جديد هو مول (Moll) بدلا مـــن ســـالفه Fiegenchuh[40]، وفـــي تقديري لو أحسن القادة المحليون يومها التوقيت واستثمروا الزمن لصالحهم لأحـــدثوا خللاً في الوجود الفرنسي في المنطقة.

في هذا الأثناء قام السلطان الشهيد علي دينار بالاتفاق مع السلطان محمد صـــالح دود مرة وتاج الدين سلطان دار مساليت بغزو دار قمر في يناير ســـنة 1910م. وقـــد نجحوا في طرد السلطان العميل الفرنسي إدريس منها[41]. الأمر الذي يؤكد على أن أي قدر من التعاون يومئذ لو توفر في تلك الفترة بين القيادات المحليـــة لأحـــدث نتـــائج

[40] S.N.A INTELL 1/1/2 Major . II. H wade . the Conqucst of wadai (1910-1912) the united Service magazine p-641-645.

[41] G.D. Lampen. Op ,cit .pp 84 - A.B.Theoblad op. cit. pp. 84.

مرضية، يمكن أن تتمثل في خلق ثغر لا يمكن رتقه مــن قبــل الوجــود الإنجليــزي والفرنسي على حد سواء.

وفي فبراير سنة 1910م غزا السلطان الشهيد علي دينار دار المساليت ودار تاما وهرب سلطانها حسين الذي عينه الفرنسيون وتمت استعادت الــدارين إلــى ســلطنة دارفور.بيد أن الفرنسيين سرعان ما احتلوا دار تاما مرة أخرى[42]. وأســتطاع أحــد القادة من جيش السلطان- آدم رجال- استعادة السلطنة المحتلة من قبل العدو المعتــدي متوغلاً في وداي. وأصبح الفرنسيون على الحدود الغربية في دارفــور فــي وضــع لا يحسدون عليه[43]. مما يعني أن الأمر أصبح كراً وفراً بين الفريقين الفرنــسي وداي والدارفوري الذي تصدى بشجاعة ومسؤولية للدفاع عن حياض بلاده دون تراخٍ.

- **المبحث السادس:-**

الفرنسيون يخططون للانتقام من سلطان دارفور

في أكثر من مناسبة ذكرنا أن الأوروبيين دوماً يلوون عنق الحقيقــة لــصالحهم ويمكن أن يجيروا الحقائق التاريخية وأن يزوروا الواقع وحقائقه لصالحهم هذه واحدة. أما الملاحظة الثانية فهم لا ينسون ثــأرهم وان كــانوا هــم المعتــدين أو المحتلــين والمغتصبين لأراضي وبلاد الغير. وهذا ما يبدو لنا أكثر في هذه الحالــة الواضــحة المعالم البينة القسمات. فهم محتلون مغتصبون غادرون. والسلطان الدارفوري يــدافع عن أرضه وعرضه وإرثه التاريخي والحضاري في المنطقة، وهم قــد قطعــوا آلاف الكيلومترات من أجل تشريد المواطنين من ديارهم واحتلال بلادهم واغتصاب سلطانهم وسرقة ثرواتهم في رابعة النهار دون خجل أو استحياء. أما عن تجبير حقائق التــاريخ وتزييف الواقع فحدث عن ذلك ولا حرج فالخير يمكن أن يكون شــراً والــشر خيــراً والحق باطلاً والباطل حقاً والجبان الرعديد بطلاً شجاعاً، والخائن أميناً، والعميل قائداً،

[42] A.B.Theobald. op. cit. pp 84.
[43] A.B.Theobald. op. cit. pp 84.

والراسب البليد ذكياً وهكذا دواليك أو دواليبك كما قال أحد القــادة العــسكريين الــذين حكموا السودان في فترة سابقة. ويسمون الأشياء بغير أسمائها مثال ذلك كمــا قــدمنا (الحرب العالمية)؟ الأولى والثانية والتحالف الدولي في حــرب العــراق وأفغانــستان أو مجلس الأمن الدولي وهيئة الأمم المتحدة وكلها مسميات لا تدل على الحقيقة وحاول السلطان الشهيد علي دينار أن يوفر غطاءً أوروبياً فــي مواجهــة اعتــداءات فرنــسا المتكررة وغير المبررة وان يجس نبض الحكومة الثنائية البريطانية عليها تساعد فــي ايقاف الاعتداءات الفرنسية على حدوده الغربية إلا أننا نلاحظ أنه رغماً عن استمرارية هذه الاعتداءات فإن تأكيدات الحكومة الثنائية البريطانية للسلطان الشهيد علــي دينــار جاءت بما يلي: (لقد سبق إخطاركم بأن الفرنسيين لا يجرؤون علي اختراق حــدودكم وإذا ما حاولت أي قبيلة من وداي فعل ذلك فعليكم صدهم سلمياً أو حرباً وإذاً طلبــت منكم الحكومة الفرنسية عمل شيء أو مكاتبات فعليكم أن تلفتوا نظرهم أن ذلك يتم عن طريق الحاكم العام في الخرطوم ... وأننا لا نسمح وسوف نقف في وجــه أيــة قــوة أجنبية تتصدى لك)[44]. فيما يبدو أن الحكومة الثنائية البريطانية كانت عاجزة تماماً عن فعل شيء في مثل هذه الظروف. وكان كل همها يومئذ ينصب على أن تحصل علــى دليل يدعم حجتها أمام الدول الأوروبية بتبعية دارفور لها إذ لا يهمها في حقيقة الأمــر إستمرارية السلطان أو عُدمها أو مصلحة شعب دارفور أو عدمه بقدر مــا يهمهــا أن تكسب الجولة الأوروبية لصالحها في مواجهة منافسيها من الأوروبيين في المنطقة كما هو الحال الآن في دارفور والتي يبكي عليها الأوروبيون والأمريكان بدموع التماســيح لا من أجل ناسها أو نار قرءانها التي أطفئت، ولا على أعراضــها التــي انتهكــت، ولا على بنياتها التحتية التي دمرت، ولا على مــساجدها وخلاويهــا التــي هــدّمت، أو الخراب الذي لحق بها ولكن من أجل الاستيلاء عليها واســتغلال خيراتهــا فــوق الأرض وتحت الأرض لصالح المشروع الأمريكي الصهيومسيحي في المنطقة بقدر ما كانت بريطانيا في تلك الفترة تهتم بإثبات تبعية دارفور والحصول على برهان وإقرار من السلطان بهذا الأمر.

(44) سلاطين إلي السلطان في 1910/1/19م S.N.A. INTEL. 7/3/11

تقول الحكومة الثنائية البريطانية ذلك في الوقت الذي كان فيه (مول) يستعد فيه للانتقام لسالفه من سلطنة دارفور وقيادتها. ومع قوة لهجة الخطاب، وصدى كلماته الحاد،إلا أنه قد احتوى على قدر من عدم الوضوح. ففي الوقت الذي تعلن الحكومة الثنائية البريطانية فيه مسئوليتها التامة عن كل ما يجري على الحدود الغربية، إلا أنها تشجعه لصد غارات القبائل الوداوية. ومعلوم أن هذه القبائل كانت تخضع للإدارة الفرنسية رأساً وأن حركتها غدت محكومة بالإستراتيجية الفرنسية وبالتالي فان اتخاذ أية إجراءات تأديبية وردعية ضدها يعني تدخلاً فرنسياً في شؤون بلاده وكان هو على وعي تام بهذا الأمر.

وتؤكد هذه الوثيقة من ناحية أخرى وبقراءة لما وراء السطور أن القوى الأوربية في المنطقة لا يأمن بعضها بعضاً. لا سيما وأن الدولتين المعنيتين هما دولتان أوروبيتان استعماريتان متنافستان على (كعكة) أفريقيا اقتضت المصالح وتضاربها اتفاقهما كما حدث في أفغانستان والعراق والسودان.

مرة أخرى قام السلطان الشهيد علي دينار بإعلام الحكومة الثنائية البريطانية بما يجري على الحدود الغربية واختراق الفرنسيين لحدوده تارة أخرى. وأفصح عن عزمه على التوجه لحسم الأمر بنفسه رغماً عن تهدئة سلاطين باشا له وتذكيره إياه بأن الحكومة الثنائية البريطانية ستتولى حل المشكلة بنفسها[45]. الأمر الذي يدل على عدم رؤيا واضحة في السياسة الخارجية للحكومة الثنائية البريطانية. ففي الخطاب الأول ذاته نلاحظ أنها فوضته في مواجهة القبائل للوجود الفرنسي. وفي الخطاب الثاني تحاول كبح جماحه وتعده بأنها ستتولى الأمر بنفسها. الأمر الذي يشير إلى درجة التردد ولربما نتج هذا التردد نتيجة توزع مناطق اتخاذ القرار بين الخرطوم والقاهرة ولندن.

---

[45] مساعد المدير المخابرات إلي مدير المخابرات بالقاهرة في 1910/1/19م
S.N.A INTEL 1/1/2 -S.N.A. INTEL 7/2/12

في هذا الأثناء بدأت الشكوك تراود السلطان الشهيد علي دينار حول صدق وعود الحكومة الثنائية البريطانية في ردع القوى الفرنسية المعتدية. لذا قام بحسم الأمر هذه المرة بنفسه ودون استشارة من أحد فتمكنت قواته من أن تهزم الفرنسيين في معركة حاسمة في دار مساليت. ولعل ذلك كان أول مارثون أو اختبار حقيقي لقدرات قواته القتالية مع قوى أوروبية. ونقل الخبر إلي مسامع الحكومة الثنائية البريطانية في 1910/2/3م[46] بيد أن الشكوك كانت قوية حول مدى صحة الخبر لدى الحكومة الثنائية البريطانية[47]. كما أن التجربة الايطالية مع الحبشة وتجرعها لهزيمة (عدوة) الشهيرة في مارس سنة 1896م لا تزال يتردد صداها في أوروبا هذه كلها شواهد وعبر تجعل الحكومة الثنائية البريطانية تتوجس وتعمل ألف حساب لهذه القوة الوطنية الفتية الموجودة بدارفور.

مما لا شك فيه أن هزيمة الفرنسيين في ذلك الوقت ذات مغزى ومدلول هام لابد وأن ينال جل التفكير في الدوائر الثنائية البريطانية على وجه الخصوص. فهزيمة الوطنيين لقوة أوربية أياً كانت هويتها فإن ذلك يعني الكثير لانجلترا لأنه ببساطة يمكن أن يعني إجراء ذات القاعدة على الحكومة الثنائية البريطانية. لا سيما وأن الحكومة الإنجليزية المحتلة لها تجربتها المريرة في السودان من قبل في العهد المهدوي الذي مرق أنفها وسمعتها بالأرض وبالتالي لا يمكن أن تتغافل عنها في الطرح أو التعاطي مع الأحداث المحلية وتحليلها وفق منظور استراتيجي في إطار مفردات تاريخية معاصرة. حيث أنها منيت بالهزيمة على أيد سودانية خالصة ودون عون من جهة أجنبية وبامكانات سودانية متواضعة تعتريها ارادة غلابة وعزيمة ماضية وتوجه ديني قاصد. كما أن التجربة الايطالية مع الحبشة وتجرع ايطاليا لهزيمة عدوة الشهيرة في مارس سنة 1896م لا تزال يتردد صداها في أوروبا. هذه كلها شواهد وعبر معاصرة تجعل الحكومة الثنائية البريطانية تتريث وتعمل ألف حساب لهذه القوة الوطنية الفتية الموجودة بدارفور.

---

(46) السلطان إلي مفتش غرب كردفان 1910/2/3م محرم سنة 1328هـ .

(47) حاكم الأبيض إلي نايب مدير المخابرات في 1910/2/5م (24محرم سنة 1328هـ) .

S.N.A. INTELL 7/5/11.

وما أن ذاق الفريقان المنتصران سلطنة دارفور وتابعتها سلطنة مساليت طعم النصر حتى جرأهما ذلك على تكرار المحاولة حيث نلاحظ انه في مارس سنة 1910م قامت سلطنة المساليت وسلطنة دارفور بغزوة تغلغلت حتى بئر الطويل[48]. الأمر الذي يدل على فقدان الثقة في خطوات الحكومة الثنائية البريطانية وعدم الانصياع لأوامرها. وبهذه الخطوات أراد السلطان الشهيد علي دينار أن يلقي في روع الحكومة الثنائية البريطانية بأنه قادر على تقرير مصير بلاده بنفسه دون الاعتماد على أي عون خارجي مهما كان مصدره. كما عمد إلى أن يبرهن عملياً على قدرته على الردع لكل معتد على بلاده.

وكانت الحكومة الفرنسية غير جادة في وعودها. الأمر الذي توضحه تأكيداتها للحكومة البريطانية بأنها سوف لا تعتدي أو تخترق حدود السلطان علي دينار. وأنها سوف ترسل تعليماتها بذلك إلى قواتها المرابطة هناك، كما أشار إلى ذلك وزير الخارجية البريطانية بقوله: (لقد وعدت الحكومة الفرنسية بإرسال تعليماتها فوراً تلغرافياً لتفادي أي اشتباك مع علي دينار أو اختراق لحدوده. وأكدت لنا بأن هذه التعليمات ستصل مندوبها فوراً[49].

وبناء على هذا أبرق سلاطين باشا السلطان الشهيد علي دينار بقوله: (أن حكومة دولة فرنسا قد أصدرت الأوامر المشددة لجيشها الموجود في وداي بأن لا يتعرضوا بوجه من الوجوه على حدود دارفور طالما أنها تابعة لحكومة السودان!! ولهذا السبب فأننا نطلب منكم أن تعطوا الأوامر الشديدة لجنودكم بأن لا يتجاوزوا مطلقا حدود وداي أو يتعدوا عليها[50]).

بيد أن الفرنسيين وبالرغم من هذه التأكيدات الواردة منهم للحكومة الثنائية البريطانية والواردة من قبل الحكومة البريطانية إلى الحكومة الفرنسية ومن الأخيرة إلى السلطان علي دينار لم يتنازلوا عن الانتقام من جراء الهزيمة التي ألحقها بهم

---

[48] G.D. Lampen.op .Cit .pp. 199 7/5/11

[49] جراي إلي غورست في 1910/3/19م S.N.A INTELL.7/2/12

[50] سلاطين إلي السلطان في 1910/3/26م S.N.A. INTELL. 7/3/11

المساليت وسلطان دارفور حيث قام في السابع من أبريل سنة 1910م القائد الفرنسي القسيس جوليان بمطاردة جيش سلطنة دارفور[51]. مما تجدر ملاحظتـه أن القيـادات الاستعمارية الاحتلالية في أفريقيا عموماً في نهايات القرن التاسـع عـشر المـيلادي وبدايات القرن العشرين كانت مسيحية بروتستانتية وانجليكانية فجة متشددة. فهذا قـس فرنسي يقود جيش الاحتلال الفرنسي في تشاد في مطلع القرن العشرين الميلادي ضـد أهل البلاد الأصليين وليس في العصور الوسطى الأوروبية، وقبله غوردون فهو متدين إلى القاع بغزو بلداً حراً لأنه حدد اختياره الديني، أما إذا قاد الجيش أو القوات الأفريقية أو العربية أو الآسيوية المسلحة الوطنية متدين يعاب عليه ذلك. فهم يريدوننا أن ننسلخ عن معتقداتنا وأصولنا وتراثنا. فالتدين لنا في نظرهم أمر معيب عندهم. أما تدينهم هم فهو حضارة ومدنية، منطق مقلوب وصورة معكوسة فكيف يـسمحون لأنفـسهم بمـا يحرمونه علينا ويعيبوننا به ؟!!! وهذه طبيعة غربية أوروبية قديمة حديثة لأن المتتبـع للسياسة الغربية عموماً يلاحظ إضطرادها في هذا المجـال سـواء كانـت إنجليزيـة أم فرنسية أم أمريكية. فان إنشاء كلية غوردون التي خرجـت مـن رحمهـا جامعـة الخرطوم الحالية عقب سقوط دولة المهدية واستعمار السودان كان محاولة إنجليزية لرد الاعتبار، وكان القصد من إنشاء هذه الكلية إهانة الشعب السوداني الذي قتل غوردون، وكان من المقدر لهذه الكلية بحق أن تصبح فيما بعد مفرخاً لحملة لواء التغريب الثقافي في البلاد. وقد أنشئت بتبرعات سخية من قبل الشعب الإنجليزي بكل فئاته الذي اعتبر فيها رد كرامة مرقها السودانيون بقتل بطل من أبطال الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس على حسب زعمهم. وهذا الذي اعتبروه بطلاً يومها كان غازياً ومعتدياً غادراً ومحتلاً لبلد آمن ويمكن اعتباره مرتكب جرائم حرب وكان يجب محاكمتـه دوليـاً. ولكنه المنطق الغربي الأعور الذي لا يملك معيارية أخلاقية أو إنسانية في تعاطيه مع الواقع إذ يجعل ببساطةٍ وغباءٍ متناهٍ وسذاجةٍ ممجوجةٍ الحق بـاطلاً والباطـل حقـاً. والبطل الحقيقي إرهابياً وخائناً، والخائن لوطنه ودينـه والعميـل والغـادر والمحتـل والغازي بقدرة الآلة الإعلامية الغربية الضخمة، والإعلام الغربي المأجور يمكـن أن

[51] G.D. Lampcn op. cit. pp. 199.

يصبح هؤلاء جميعاً أبطالاً ومفكرون وقادة عالميون وقوميون ويصوروا زوراً وبهتاناً انه لم تلد حواء لهم مثيلاً ما داموا مغفلين نافعين للغرب وآلات صماء بكماء تخدم ساداتها وكبرائها في الغرب. ولو نظر الناظر إلي تخطيط شوارع الخرطوم في عهد كتشنر يجد أنه قد تم بخبث على منوال العلم البريطاني إمعاناً في الإهانة لهذا الشعب الوفي والأبي الكريم. وعلى صعيد آخر لا يخفى على دارس للتاريخ أن محاولة فرنسا الآن لفرض عقوبات على السودان في عهد الإنقاذ ومطالبتها بمحاكمته لا تخرج عن هذا الإطار باسترداد حق تاريخي مزعوم لها في دارفور وتشاد. ولعلها تريد بذلك أن تتكأ جراحاً كان ينبغي عليها في مقابل ما تقوم به الآن أن تعمل على مداواة هذه الجروح وتصحيح العلاقة بين دولتين هما عضوان في مؤسسة يزعم أنها دولية (الامم المتحدة) وتعويض ما أحدثته من خراب في الأرواح والممتلكات وسرقته هي وبريطانيا من خيرات هذه المنطقة.

- **المبحث السابع:-**

السلطان الشهيد علي دينار يعلن الجهاد في وجه الغزو الفرنسي لبلاده

وقام السلطان الشهيد علي دينار بتوجيه خطاب إلى جميع الأمراء والقادة في حدود دارفور يحثهم فيه على الجهاد في سبيل الله والقيام بأمر الله وإعلاء كلمته وسحق أعدائه الكفرة المشركين من الفرنسيين مذكرا إياهم بآية التوبة: (أن الله اشتري من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون ... الآية (111)) وأورد طائفة أخرى من آيات الله التي تحث على الجهاد[52]. الأمر الذي يؤكد على أن مستنده ديني بالدرجة الأولى في مقاومته الوطنية الأولى في البلاد ونتيجة لذلك التوجه الديني القاصد عزم الاستعمار على قطع دابره وتشويه سمعته وتشتيت ذريته من أولاد صلبه وأحفاده وفرض عليهم ظروفاً اقتصادية وثقافية

---

[52] السلطان إلي جميع القادة والأمراء والملوك ورؤساء المية تحت قيادة آدم رجال في 1910/4/17م (7ربيع الأخر سنة 1328هـ) S.N.A. INTELL 2/3/12

واجتماعية صعبة وشتت شملهم بين أجزاء كثيرة من السودان ما بين الفاشر وكردفان والخرطوم وأم درمان وشمال السودان. ولئلا تقوم بعدئذ لهم قائمة فقد فــرض علــيهم الجهل وعدم التعليم والاستيغاب في مؤسساته. وبالتالي فإن آثــار الــسلطان الــشهيد أضحت موزعة بين متاحف انجلترا وتركته لم يعثر لها على أثر إلا مــا ســمح بــه الاستعمار من وثائق ومكاتبات وفق هواه.

هذا في الوقت الذي كان يتسلم فيه السلطان خطابات متتابعــة مــن قبــل الإدارة البريطانية بغية تهدئته ونصحه للتحلي بالصبر[53]. ويعكس هذا الخطــاب بمحتوياتــه روحه الإسلامية الواضحة. ويؤكد هذا الموقف الشجاع على إصراره علــى المقاومــة بأي ثمن، واستعداده التام في مجال تحمل مسؤوليته التاريخية والدفاع عن وطنه وشعبه وأمته مهما كلفه ذلك من جّهد ووقت ومنصب.

وفي أبريل من ذات العام حدثت مواجهة أخرى بين القوات الدارفورية والفرنسية انتصرت فيها القوات الفرنسية وجرح في هذه المعركة قائد السلطان الشهيد آدم رجال.

وبرر الفرنسيون هجومهم هذه المرة بأنهم قد عثروا على خطابات تشتمل علــى خطة مركزة بين سلطان دارفور والمساليت والقائد محمد صالح دود مرة والــسنوسية للقيام بهجوم موحد على الفرنسيين. بيد أن هذا التحالف بعد هــذا الهجــوم الفرنــسي أرجع السلطانين الموالين للفرنسيين إدريس وحسن إلى كل من دار قمر وتامــا علــى الترتيب. ومن خلال هذا الهجوم احتل الفرنسيون كثيــراً ممــا فقــدوه علــى الأرض وتقهقرت قوات دارفور عن مواقعها المتقدمة. ولجأ محمد صالح دود مرة إلى سلطان المساليت تاج الدين.

ونتيجة للأمطار توقفت المناوشات بين الفريقين حتــى ســبتمبر حيــث وصــلت الإمدادات الفرنسية الجديدة داعمة الاحتلال والاعتداءات المتكررة على حدود دارفــور الغربية. فقام الفرنسيون بحملة تأديبية ضد سلطان المساليت. هزم الفرنسيون فيها شــر

(53) استاك إلي الحاكم العام في 5يونيو سنة 1910م S.N.A INTELL 1/1/2

هزيمة[54]. ولا شك أن هذه الهزائم المتكررة التي لحقت بالفرنسيين قد حفزت السلطان الشهيد علي دينار وجرأته ضد الأوروبيين سواءً أكانوا إنجليزاً أو فرنسيين. وهذه الهزائم في حد ذاتها تشكل مؤشراً على أن الرجل الأفريقي يملك القدرة والتخطيط والاتزان والفاعلية والتكتيك بصورة قد تفوق رصيفة الأوروبي لو توفرت له ذات الإمكانات وذات الظروف.

ولعل هذه الهزيمة هي التي أشار إليها السلطان الشهيد علي دينار في خطابه التالي بعد أن أفصح صراحة عن الحدود التي يرى أنها ضمن سلطنة دارفور بقوله: (فأما من جهة الحدود التي بين دارفور ودار وداي فهي الحاجز المشهور بالترجه الكاين بغرب دار تاما ودار مساليت الموجود الآن الذي لا يزال واضحاً جلياً وكان تجاوزها العسكر الفرنساوية ودخلوا بالحدود وحضروا بدار تاما وتطاولوا لغاية ما وصلوا بدار قمر وخربوا الدار خراب شديد. وأما عساكرهم الذين دخلوا بهم تاما البعض منهم قتلوهم مساليت. وباقيهم قتلوهم بدار تاما حين حربهم لجنودنا الذين أرسلناهم لإقامة الحدود. والأخبار الواردة إلينا من جهتهم أنهم صاروا يؤجرون الناس للعسكرية وتجمعوا قصدهم الإعادة ثانيا ونحن مستعدين قصدنا التوجه إليهم بنفسنا وتأخرنا لأجل دخول الخريف[55]). مما لاشك فيه أن الشخصية الدارفورية بنبوغها القبلي والثقافي فهي شخصية عنيدة متمردة لا تقبل الضيم ومتى استثمرت هذا التنوع العرقي والثقافي وإرثها الحضاري لصالح مشروع كبير يهدف إلى تنمية المنطقة والدفاع عنها وحمايتها من الاحتراق في محرقة الأجندة الغربية الصهيومسيحية لنجحت في ذلك. ولكن للأسف بدلاً من الاستفادة من هذا التنوع لخلق نوع من التوافق والانسجام فإن الجهات الأجنبية تمكنت من أن تخلق من هذا التنوع قدر من الاختلاف والتنافر السياسي والعرقي والثقافي لخدمة أهدافه الإستراتيجية.

---

(54) A.B.Theobald. op. cit. pp. 86-88.

(55) السلطان إلي الحاكم العام في 26يوليو سنة 1910م (رجب سنة 1328هـ) S.N.A INTELL 7/2/12

ولم يخل الخطاب من الإشارة عن قصد إلى الانتصارات التي حققها المساليت على الفرنسيين نكاية بهم. ووردت فيه الإشارة إلى أنه كان يرى أحقيته بهذه الدور لأن هذه الدور هي في الأصل جزء من سلطنة أبائه وأجداده، لذا عزم على تقرير مصيرها بنفسه ورسم حدودها مما أدى إلى اشتباك جنوده مع الفرنسيين. وما كان لينتظر أن يقرر أمرها غيره. لأنه كان يرى أنه السيد الوحيد في هذه المنطقة وأن ملكه لها هو حق تاريخي وأنه المسؤول عن استعادة أملاك أجداده وآبائه وهيبة أمجاده الغابرة.

ولقد ركز الفرنسيون هجومهم على هذه المنطقة بالذات بغية القضاء على السلطان الهارب محمد صالح (دود مرة) وانتقاماً للقائد الذي هزمه المساليت و أودوا بحياته[56]. وفي هجمة أخيرة قام بها القائد الفرنسي يصطحبه فيها العميل حسن الجالنجاوي سلطان دار تاما الذي عينته الحكومة الفرنسية مكان السلطان عثمان الطوراوي المعين من قبل السلطان الشهيد علي دينار والسلطان إدريس القمراوي بغية رد الاعتبار وتلقين السلطان الشهيد علي دينار درساً لا ينساه.

وفي المقابل قام السلطان الشهيد علي دينار بإرسال تعزيزات لدار تاما لحماية سلطانها عثمان الطوراوي ضد منافسه العميل حسن الجالنجاوي بيد أنها لم تجد فتيلاً. حيث دارت رحى معركة فاصلة حامية الوطيس بين الفريقين تم بمقتضاها دخول القوات الفرنسية دار تاما ثم مساليت. وأودت تلك المعركة الفاصلة بحياة تاج الدين سلطان دار المساليت وجرح في هذه الهجمات الغادرة السلطان الوداوي محمد صالح دود مرة في 9 نوفمبر سنة 1910م[57]. وبذا فقد السلطان الشهيد علي دينار أقوى حليفين له في المنطقة وأضحى في مواجهة مباشرة مع الفرنسيين وعملائهم في المنطقة الغربية. وانكشفت حدوده الغربية أمام تقدم القوات الفرنسية الغازية.

قد يكون مبرر الهجوم الفرنسي هو إيواء السلطان الشهيد علي دينار للسلطان محمد صالح دود مرة، وقد يكون التوسيع الاستعماري الاستغلالي وتأمين الجبهة

---

(56) A.B. Theobald .op.cit.pp 68-88.

(57) تقرير سلاطين عن أوضاع وأحوال دارفور قبل بداية الحكم الثنائي في سنة 1910م .
S.N.A INTELL 1/1/2 A.B .THEOBALD . op. cit.pp 102-3 .

الشرقية التي سببت صداعاً من أول يوم للقوات الفرنسية الغازية. هذا بالإضافة إلى الثأر لرد اعتبار السمعة الفرنسية في المنطقة والتي أثر فيها قتل وهزيمة القائد الفرنسي (تشوفولت) على يد المساليت. هذا مع العلم بأن الدور الثلاث كانت خاضعة للسلطان علي دينار وهو الذي كان يعين سلاطينها[58]. وحقه فيها هو حق تاريخي منذ أجداده الأوائل .

ومما يعجب له المرء رغماً عن احتجاج الحكومة الثنائية البريطانية على الخطوات التي قامت بها الحكومة الفرنسية تجاه كل من داري تاما ومساليت ورود عبارة في تقرير سلاطين السابق مقتضاها الإعجاب بالقائد الفرنسي الذي حقق هزيمة كل من الدارين. وذلك في قوله: " .... يجب أن اعبر عن إعجابي البالغ بشجاعة وبطولة القائد الفرنسي مول: " Moll وضباطه للمغامرة التي قاموا بها[59]. ولا أدري لماذا لم يعجب بهزيمة القائد الفرنسي ومقتله على يد القيادة السودانية المسلاتية. ولكنه الانحياز وتجيير الحقائق وتطويعها لصالح المشروع الاحتلالي. فبدلاً من أن يكون الإعجاب بمن يدافع عن عرضه وأرضه يكون الإعجاب بالغزاة الفجرة.

ومن جانب آخر فإن هذا القول فيه دلالة على أن هناك اتفاقاً غير معلن لتحطيم القوة الدارفورية الصاعدة وأن هناك تعاطفاً أوروبياً على وأد أي مقاومة إسلامية نزيهة في المنطقة. وأن الحكومة الثنائية البريطانية كانت تنظر إلي نزاع سلطنة دارفور ومشاكل الحدود الغربية مع الحكومة الفرنسية بشيء من التربص بغية القضاء على السلطان الشهيد علي دينار، وأنها كانت تعمل بإستراتيجية وبتخطيط وبروية طويلة النفس على إضعافه لا على تقويته أو تثبيته.

ومن خلال الوثائق نلاحظ أن سلاطين باشا النمساوي لم ينس الدور المنوط به مشيراً إلى المحاولات الجارية على طاولة الحوار بين الحكومة الفرنسية والثنائية البريطانية وما جرى من اتفاق عبر الاتصالات الدبلوماسية بقوله: (لقد سبق أن أجرينا

(58) S.N.A INTELL 1/1/2 Major . H.H Wade. Op. pp 645-646

(59) تقرير سلاطين السابق سبتمبر سنة 1910م S.N.A INTELL 1/1/2

اتصالاً مع الحكومة الفرنسية بالنظر لشؤون وداي فاتفقت معنــا بإرســـال التعليمـــات الضرورية لحكامها بعدم التدخل أو الاعتداء على دارفــور[60]. ويبـــدو أن الـــسياسة الفرنسية كانت تقضي بالمماطلة والاستفادة من الوقت. ولربما كانت هناك أجندة خفيـــة بين الدولتين الأوروبيتين في المنطقة لأن بريطانيا وفرنسا لم تكن تلك هي المرة الأولى التي يصرحان فيها بأمر ظاهره الرحمة ومن قبله العـــذاب. إذ لا يخفـــى أن هـــؤلاء الأوروبيون على رأسهم هاتان الدولتان قد خدعوا العرب في الحرب الأوروبية الأولى بوعود كاذبة كان مؤداها منحهم الحق في تقرير مصائرهم ومصائر بلادهم في الوقت الذي كانت فيه كل من فرنسا وبريطانيا تجتمعان سراً وتتوزعان مناطق النفوذ العربية فيما بينهما (اتفاقية سايكس بيكو) ومن شدة الغباء والـــبلادة مـــا أن كـــشف البلاشـــفة سنة 1917م خبايا هذه الاتفاقية لخدمة أجندتهم الخاصة حتى لجأت تلك القيادات العربية غير الواعية إلى بريطانيا لتسألها عن مدى صحة هذا الاتفاق السري بينها وبين فرنسا فأجابت بريطانيا بالطبع بالنفي وانسحبت الخدعة الماكرة الخبيثة على القيادات المغفلـــة العربية حتى وقعت الواقعة ووجدت القيادات العربية نفسها رهينة لفتـــرة اســـتعمارية تعتبر من أسوأ الفترات في التاريخ وقادت الأمة إلى حتفها بظلفها بوعي أو دون وعي. وخدعوا العرب مرة أخرى بخدعة وفرية هـــي أكبـــر مـــن الأولـــى لأن الأخيـــرين لا يقرءون مفردات تاريخهم بذكاء ووعي ورشد، خدعوهم في حرب أفغانستان وفـــي حرب العراق كما حدث من بريطانيا وأمريكا في نهايات القرن الماضي وبدايات القرن الحالي. ووعدوهم على مسمع ومرأى ومشهد من العالم كله بأنهم سيحكّمون لصالحهم الشرعية الدولية في كل المنازعات الدولية الدولية وأنهم سيحلون لهم قضية فلـــسطين حلاً جذرياً ونهائياً. ولن تفسير معنى الشرعية الدولية غامضاً وطلسماً مـــن الطلاســـم وسراً من الأسرار التي لا يفهمها أحد سوى بريطانيا وأمريكا. فما أن خرج العرب من مساعدة الأمريكان في قضية أفغانستان حتى اختلقت أمريكا قـــضية العـــراق ومـــا أن فرغوا من العراق حتى خلقت أمريكا وحلفاؤها قضية دارفور وهلم جرا حتى تم نسيان قضية العرب المحورية. والقائمة قد تطول عن عدم مصداقية الغربيين ولا يخفى مـــا

---

(60) سلاطين إلي السلطان في 1910/10/20م S.N.A INTELL 1/1/2

حدث في حرب حزيران 1967م. والآن هناك محاولات خبيثة أخرى تحاك من قبل الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها غايتها تجريد الأمة المسلمة من أي مظهر من مظاهر القدرة على تحقيق الذات والمقاومة. إذ تجري الآن محاولات على قدم وساق لقصقصة أجنحة المقاومة اللبنانية المتمثلة في حزب الله والفلسطينية المتمثلة في حماس وغيرها، و تفكيكهما وحرمان الأمة من بصيص الأمل الذي أشعل جذوته في نفوس أبناء هذه الأمة. والأمر لا يختلف كثيرا بالنسبة للدفاع الشعبي في السودان وهلم جرا.وذلك بعد نجاحها وحلفائها في تفكيك شبكة عبد القادر خان بباكستان التي مثلت بصيص الأمل في نهاية النفق المظلم في نهايات القرن العشرين في محاولة جادة من قبل الغرب الصهيومسيحي غايتها حرمان الأمة المسلمة من الأبحاث النووية التي قامت ويمكن أن تقوم بها هذه الكوكبة الزاهرة من العلماء المخلصين الذين لم يبيعوا ضمائرهم وخبراتهم ومعارفهم للغرب أو لأمريكا مقابل دراهم معدودة للاستخبارات العالمية كما فعل الكثيرون ممن باعوا ضمائرهم وأممهم للغرب مقابل ثمن بخس.

ولعل هذا ما دعا سلاطين باشا النمساوي ليؤكد من جديد: (أن دار تاما ودار المساليت كما ذكرت في لندن أنها كانت تحت إدارتي في الفترة الواقعة بين (1879-1883م) وأن السلطان الشهيد علي دينار ليس مسئولاً عن السلام ما لم يتم الاعتراف بحدود دولته أولاً[61]).

يبدو من مخاطبة سلاطين باشا لـ (ونجت) مدير الاستخبارات في الحكومة الثنائية البريطانية والحاكم العام الانجليزي أنه كان متعاطفاً مع السلطان علي دينار إلى حد إقناعه بسلامة منطق السلطان الشهيد علي دينار. وأن ما يجرى على الحدود الغربية يشكل اعتداءً صارخاً على حدود دارفور.

وبذا أبدى سلاطين باشا المفتش العام في الحكومة الثنائية البريطانية تعاطفاً ملحوظاً نحو السلطان الشهيد علي دينار وحقوقه المشروعة في تأمين حدوده الغربية. ويقرر سلاطين باشا في ذات الوقت عدم مسؤولية السلطان الشهيد علي دينار تجاه ما

[61] سلاطين إلي ونجت في 1910/11/23م (21ذو القعدة سنة 1328) S.N.A INTELL 1/1/1

يجري على الحدود الغربية دفاعاً عن حدوده واسترداداً لكرامته. ولكن الحكومة الثنائية البريطانية بالرغم من ذلك دعت السلطان الشهيد علي دينار إلى عدم الاعتداء أو الاستجابة للاستفزازات الفرنسية في المنطقة.

واستجابة لنداءات الحكومة الثنائية البريطانية للسلطان الشهيد علي دينار بكف يده عن القيام بأية عمليات ضد الوجود الفرنسي في المنطقة، قام السلطان الشهيد علي دينار بتوجيه نداء إلى جميع أتباعه بكف أيديهم عن الفرنسيين. هذا بعد أن وصلته تأكيدات جديدة تفيد بأن حكومة السودان الثنائية البريطانية قد توصلت إلى اتفاق مع فرنسا بشأن مشاكل الحدود. والتزمت فرنسا للحكومة البريطانية في لندن والسودان من جانبها بعدم الاعتداء على حدود دارفور الغربية. ولم يلبث أن فوجئ رسل السلطان الشهيد علي دينار بقادمين من دار مساليت ودار تاما يشكون اعتداءً فرنسياً متكرراً من جديد مما يؤكد أن الوعود الفرنسية السابقة لا تعدو عن كونها خدعة أو تخدير. وأشك في أن الحكومة الإنجليزية لم تكن على علم بتلك التحركات الفرنسية في المنطقة.

وأعلم السلطان علي دينار الحكومة الثنائية البريطانية بما جرى طالباً منها أن تكف عنه: (جور الفرنساويين وتصدها بالقوانين السياسية التي بينكم وبينها. وأن لم يكن ذلك أفندم فيدون عاجلاً نتوكلوا على الله ونتربصوا معهم مادامو أنهم قصدونا في أرواحنا ظلماً وعدواناً فنحن لا نبخل بأرواحنا في سبيل الله نحاربهم إن شاء الله).

ولعل ما مضى تفصيله يؤكد على أن السلطان الشهيد علي دينار كان يعلق آمالاً عريضة في الحلول الدبلوماسية ولكنه في الوقت ذاته لم يرض لنفسه بالهزيمة والاستسلام. وهذه الآمال كانت من باب استنفاذ استخدام الوسائل المتاحة وعدم الإهمال في باب يمكن أن يخرج منه بصيص دون طرق. والإشارة الواردة في مخاطبات السلطان الشهيد علي دينار إلى بذل الأرواح في سبيل الله ذات دلالة عميقة من حيث إسلامية الرجل واستمساكه بدينه في لحظات الشدة وهذا جزء من الإيمان. وقد رد سلاطين باشا النمساوي والمفتش العام في الحكومة الثنائية البريطانية والذي كان مكلفاً بالتعامل مع السلطان الشهيد علي دينار لسابقة حكمه في دارفور وللعلاقة التي

نمت بينه وبين السلطان الشهيد أثناء إقامتهما الجبرية في أم درمان، رد على ذلك بخطابين ذكر له في أولهما أنه سيقترح تكوين لجنة مشتركة بين كل الأطراف لتعيين الحدود. وأن يكون لعلي دينار ممثلون فيها لمقابلة الممثلين الفرنسيين(62).

وعلى صعيد آخر يذهب الحاكم العام البريطاني في السودان إلى أن المشكلة تكمن أساساً في أنه ليس هناك تحديد واضح للحدود بين دارفور ووداي (تشاد الحالية) – وفي تقديري أن هذه مشكلة السياسة الخارجية بين الدولتين السودانية والتشادية إلى اليوم – فلا يعرف المساليت مثلاً أين تنتهي الحدود الفرنسية, ومن أين تبدأ الحدود الإنكليزية(63).

هذه العبارة التي أوردها الحاكم العام في رسالته إلى السكرتير الخاص في عمومها لا تخلو من مغالطة تبدو واضحة في اللهجة الإنكليزية حيث سبق للسلطان الشهيد علي دينار أن حدد حدود دولته بالموقع الفاصل بينها وبين وداي. والمساليت بالطبع يعرفون حدودهم قبل قدوم الغزو الاستيطاني الاستعماري للمنطقة.

وإذا كان الفرنسيون والإنكليز يجهلون ذلك فلم يوردوه في اتفاقيتهم فليس ذلك ذنب المواطنين الذين هم أدرى بشعابهم من هؤلاء الغرباء المتطفلين على بلادهم. ويمضي الحاكم العام البريطاني (ونجت) في قوله: (وباحتلال الفرنسيين لأبشي اكتسبوا عداء المساليت وهرب محمد صالح دود مرة إلى المساليت بعد هزيمته وتأثر سلطان المساليت في موقفه تجاه الفرنسيين بموقف أهل دارفور).

ورفض المساليت اللهجة الشديدة التي طلب بها الحاكم الفرنسي في أبشي إقصاء سلطان وداي محمد صالح دود مرة أو تسليمه له. وبذا تكونت فرقة فرنسية خاصة وقامت بالهجوم على دار تاما ودار مساليت خسر فيه الفرنسيون قائدهم في المنطقة الكولونيل مول (Moll) وسبعة آخرين من الفرنسيين وخسر المساليت سلطانهم الشهيد تاج الدين كما تقدم. وجرح سلطان وداي محمد صالح دود مرة(64).

(62) سلاطين إلي السلطان في 1910/12/14م. S.N.A. INTELL 7/3/11

(63) الحاكم العام إلي السكرتير الخاص في 1910/11/30م S.N.A. INTELL 1/1/1

(64) المصدر نفسه.

أما خطاب سلاطين باشا الثاني فقد جاء فيه: (ورد إلي تلغراف من بلاد فرنسا في أوربا عرفت منه أنه قد حصل قتال جديد بين المساليت وفرقة من عساكر دولة فرنسا. وأنه قد قتل في هذه الواقعة الكولونيل (مولس) القومندان وثلاثة ضباط وأربعين عسكري وصف ضباط وجرح تسعة وستون عسكري وأن المساليت خسروا ما يزيد عن ستمائة رجل من ضمنهم السلطان تاج الدين وأولاده وأولاد- السلطان أبكر وأن السلطان دود مرة أصيب بجراح .... عرفت من جوابكم أنكم تظنون أن دولة فرنسا تريد امتلاك دارفور .... لا تجعلوا هذا الفكر يخطر لكم على الإطلاق لأن هذا أمر مستحيل وذلك لأنكم تابعون للحكومة الإنكليزية... وقائمين بواجباتكم)[65]. وعزا سبب الحرب إلى مقتل الكابتن (فيكنشو) في السنة الماضية حينما دخل عن طريق الخطأ إلى دار مساليت. انه المنطق الأوروبي الأخرق انتقام يحدث بعد سنة نتيجة مقتل أوروبي غادر اعتدى على مواطنين آمنين في بلادهم فقتلوه. وبعد انتصارهم عليه اعتبر دخوله خطأ وقتلهم له ليس بخطأ؟؟ ولكن جريمة تستحق الانتقام ومعاودة الكرة مرة أخرى من قبل القوات الفرنسية للثأر والانتقام.

بدا واضحاً أن أي اعتداء على دار مساليت يعني بالضرورة الاعتداء على دارفور. لأن سلطان المساليت الشهيد تاج الدين كان يعتبر ممثلاً للسلطان الشهيد علي دينار لا سيما وأن الفرنسيين قد دمروا الديار وخربوها. وبالتالي فان القضية أصبحت قضية سلطان دارفور بالدرجة الأولى فهو الذي يجسد رأس السلطة المركزية عموماً في دارفور وينبغي عليه أن يوفر الحماية الكافية لمناطقه السيادية. ومن هذه الحيثية فإن أي اعتداء على أي إقليم من الأقاليم التابعة له يلزمه الدفاع عنها بكل ما يملك من قوة. وعليه فان الأمر كان من الوضوح بمكان. حيث جاء الفرنسيون بالموالين لهم من عملائهم في المنطقة مثل حسن الجالنجاوي بدلاً عن عثمان الطوراوي وبإدريس القمراوي أحد أعداء السلطان الشهيد علي دينار[66]. ونتيجة لهذا الإجراء الفرنسي الذي غايته وضع السلطان الشهيد في فك كماشة فكر السلطان الشهيد علي دينار جاداً في

(65) سلاطين إلي السلطان في 1910/12/14م S.N.A INTELL. 7/3/11

(66) سلاطين إلي الحاكم العام في 1910/12/16م (1328/2/14هـ).

الخروج من هذه المحاصرة المحكمة على حدوده. فشن غارة قتل من جرائهـا القائـد الفرنسي مول (Moll) وبعض الضباط الفرنسيين الآخرين[67]. هذا يعني أنه اشـترك في المعركة التي أشار إليها سلاطين باشا النمساوي والتي قتل فيها السلطان تاج الدين سلطان دار مساليت وجرح فيها سلطان وداي المعزول محمد صالح دود مرة. ولكنه لم يعلن ذلك حتى لا يعيق الجهود الدبلوماسية المبذولة من قبل الحكومة الثنائية البريطانية مع الفرنسيين.

في هذا الأثناء أجرت الحكومة الثنائية البريطانية اتصالاً مع الفرنسيين يهدف إلى تذكير الحكومة الفرنسية بتأكيدات القنصل العام الفرنسي (Rox) بالقـاهرة لـسلاطين باشا بأنه سيبرق قواته بأوامر صارمة بعدم التدخل في شؤون دارفور. بيـد أن الـذي حدث خلاف ذلك[68]. مما يعني أن هـؤلاء الغـربيين بمختلـف قبـائلهم وفـصائلهم ومسمياتهم وتوجهاتهم لا يحترمون الوعود والعهود والمواثيق إذا تعارضت مع أهدافهم واستراتيجياتهم ومصالحهم. وأن الكذب عندهم ليس بعار أو وصمة فإنهم يكذبون مـن اجل بلوغ غاياتهم سواء أكان كذباً سياسياً أو إعلامياً أو تاريخياً، ولعل ما جرى فـي العراق ينبئ عن هذه الحقيقة المرة التي لم يدركها بعد كثير من المغفلين والأغبياء في العالم المسمى بالثالث من السياسيين والأكاديميين وأنصاف المثقفين.

إذ لا شك من أن التأكيدات الفرنسية لا تعدو عن كونها مهدئاً وقتياً بغية الاستعداد لإجراء جديد، لأنه عقب كل هذه التأكيدات كانت تأتي غارة علـى حـدود الـسلطان الشهيد علي دينار الغربية.

وعلى صعيد آخر فقد أدرك سلاطين باشا النمساوي أبعاد الغدر الفرنسي وعـدم منطقيته وواقعيته فضمن ذلك في تقريره الذي أعده عن العلاقات بين دارفور وفرنـسا سنة 1911م حين أشار إلى أن الفرنسيين كانت لديهم نيـة مبيتـة لغـزو كـل مـن دار مساليت ودار تاما. وذلك انتقاماً للهزيمة التي لحقتهم من المـساليت فـي ينـاير

(67) سلاطين إلي الحاكم العام في 1910/12/17م (1328/12/15هـ) S.N.A INTELL1/1/1

(68) الحاكم العام إلي رسل 1910/12/30م (1328/12/28هـ) S.N.A INTELL 1/1/1

سنة 1910م. وحاولوا تغطية ذلك الغدر والانتقام بعدة أقنعة منها مطـــاردة الـــسلطان محمد صالح دود مرة الذي حسب زعمهم بأنه قد طفق يجمع أعداداً كبيرة لغزو أبشي واسترداد سلطنته. والأوربيوّن من طبعهم اختلاق المبررات من أجل تحقيق مصالحهم الحيوية والإستراتيجية في المنطقة التي يريدون احتلالها واستغلالها. وإلا لنا أن نتساءل وأن نطرح مجموعة من الأسئلة المشروعة: فهل كان صدام يا ترى يمتلــك ســلاحاً نووياً يهدد السلم العالمي أكثر من بريطانيا وأمريكا وفرنسا؟ وهل كانت أفغانستان تهدد الأمن الدولي وتنتهك حقوق الإنسان أكثر مـــن الولايـــات المتحـــدة الأمريكيـــة فـــي غوانتانامو وسجن أبي غريب؟ وهل ما كان فيها ما يفوق أو يشكل واحداً على المليار مما تفعله إسرائيل (دلوعة أمريكا) كل يوم في فلسطين المحتلة؟ وهل كـــان الـــسودان يمتلك في مصنع الشفاء أو في مصنع جياد أسلحة نووية أو يملك مجرد رائحة مفاعـــل نووي؟ وهل في دارفور الآن اغتصاب وانتهاك لحقوق الإنسان؟ وهل ... وهـــل ...؟ وهل الحروب في دارفور الآن هي حرب أثنية حقاً؟ أو فيها إبادة كمـــا روجـــت الآت الإعلام الغربية وقادتها السياسيين؟ ثم عادت فنفت بعد أن تلقف ذلك المغفلون والأغبياء من أدعياء السياسة وتجارها والثقافة والأكاديمية في بلادنا. ومن الغريب أن الغـــربيين أنفسهم يعودون ويكذبون أنفسهم بأنفسهم على مسمع ومـــرأى ومـــشهد مـــن العـــالم ولعل أحدث ما صدر في هذا الشأن تصريحات مدير الاستخبارات الأمريكية الـــسابق (جورج تنت) الذي صرح خلال الأسابيع الماضية من شهر ابريل ســـنة 2007م بـــأن المعلومات التي نشرت عن العراق وخدع وزير الخارجية الأمريكي (كولن باول) بهـــا العالم في مجلس الأمن لم تكن صحيحة. ويؤكد ذلك ما كتبتـــه صـــحيفة (القارديـــان) البريطانية بتاريخ 30/4-1/5/2007م عن دارفور بأن الحرب الدائرة في دارفور ليس كما صورته أجهزة الإعلام الغربية فيما سبق وتلقفه السياسيون الاغبياء فـــي الغـــرب والشرق، بقدر ما هي قضية سياسية بالدرجة الأولى. وهذا ما سبق أن أكدناه في كتابنا (دارفور والحق المر) بأنها قضية ثقافة وأضحت سياسية في سوق النخاسة السياسية.

ومعلوم أن هذا التبرير الثنائي البريطاني كان واهٍ جـداً لأن الجيـوش الفرنـسية الغازية دخلت أراضي كل من داري تاما والمساليت تحت إرشاد كل من السلطان حسن الجالنجاوي العميل والأداة الفرنسية المبرمجة بغية تنصيبه مكان عثمـان الطـوراوي والذي جرت العادة على تعيينه من قبل السلطان الشهيد علي دينار. والسلطان إدريـس القمراوي الذي كان من حيث النسب عم السلطان الشهيد علي دينـار وأحـد أعدائـه اللدودين[69]. وهذا بدوره يمكن أن يفسر بعضاً مما يجري في دارفور الآن من خلافات وانقسامات ليست لها أبعاد عرقية او اثنية بقدر ما هي ذاتية المحور، أنانيـة اقطـار، محدودة الهدف.

يعكس هذا التقرير بما احتواه من معلومات غاية في الدقة أبعاد الغـدر الفرنـسي والمقاصد المقنعة التي أرادت فرنسا تبريرها بتعليلات متعددة ومسوغات مختلفة فمثلما آوت دار المساليت سلطان وداي المخلوع محمد صالح دود مـرة فقـد آوت فرنـسا خصمه. وفي الواقع أن دخول فرنسا بهذه الصورة الاستعلائية إلى دار المساليت ليس القصد منه هو إخراج السلطان محمد صالح دود مرة أو القبض عليه بقدر مـا كـان القصد منه خلع السلطان الشهيد تاج الدين والي السلطان الشهيد علي دينـار وتعيـين أداتهم مكانه. تأميناً لجبهتهم الشرقية وكسباً لمواقع أقدام جديدة على الأرض يمكـن أن يصلح كبطاقة رابحة في المفاوضات بين الدولتين المحتلتين فرنسا وبريطانيا في مجال توزيع مناطق النفوذ في أفريقيا فيما بينهما.

وكان من الطبيعي أن يعزز سلطان دارفور موقفه الدفاعي في وجه قوة أوروبية غادرة ومغتصبة وأن يشد من أزر نصيره وواليه على هـذه المنطقـة دار مـساليت. ولازال السلطان الشهيد علي دينار يتعجب من هذا الغزو الفرنسي ودوافعه مع وضوح الحدود الفاصلة لدارفور عن وداي منذ عهد جده السلطان محمد الفضل. ووصف فـي خطاباته التي بعث بها إلى المفتش العام في الحكومة الثنائية البريطانية سلاطين باشـا النمساوي الجنود الفرنسيين بأنهم أوباش لا يعرفون شـيئا عـن الحـضارة واحتـرام

[69] تقرير أعده سلاطين في 10 يناير سنة 1911م عن العلاقات بين فرنسا ودارفور S.N.A INTELL 1/1/2

القوانين. وهم في ظني كذلك وقد تظاهروا بالسلوك الحضاري وإدعاء المدنية المزيفة إلا أن سلوكيات الغربيين في الغالب ودون مجاملة تغلب عليهـا الوحـشية والبدائيـة والروح الانتقامية السبعية في كثير من الأحيان. شأن أسلافهم الأمريكان رعاة البقـر الـ (Cow Boys) الذين أصبحوا بمنطق القوة سـادة العـالم ومقـرري مـصائره. ويتساءل السلطان الشهيد علي دينار ببراءة شديدة وببساطة متواضعة عمـا إذا كـان اختراقهم لحدود دار تاما ومساليت وقمر يتفق والاتفاقية المعقودة معكم[70].

وفي خطاب آخر وبنفس التاريخ يذكر فيه: (فأولاً دار الداجو حدودنا فيها مع دار وداي جبل الكنوز. فالآن هم استلموها ودار تاما لأن عساكرهم فيها ودار قمر كـذلك مساليت ودار كبي هؤلاء الخمسة ديار جميعهم حدود دارفور الأصلية[71]).

وتبعية الديار الخمس للسلطان الشهيد علي دينار ليست بحاجـة إلـى كـل هـذه التأكيدات، فهناك عدة براهين على قدر عال من المنطق تؤكد على تبعيتها له: منها ما كتبه الرحالة الأوروبيون الذين قطعوا هذه البلاد شرقاً وغرباً وزاروها. وهناك الزبير باشا ود رحمة الذي غزا دارفور واستولى عليها من آخر سلاطينها السلطان إبـراهيم قرض وهو لا يزال حياً. كما أن الأشخاص الذين عاصروا الثورة المهدية لا يزالـون أحياء وسلاطين باشا النمساوي نفسه كان في يوم ما مـديراً لـدارفور بعـد غزوهـا (1879-1883م). وتشكل رحلة محمد عمر التونسي سنة 1845م والتي ضمنها فـي كتابه المشهور (تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد السودان) مصدرا حياً وتسجيلاً واقعياً لمـا شاهده التونسي بنفسه وسجله بدقة متناهية حيث يعتبر مصدراً هاماً لا يـستغنى عنـه باحث مدقق في تاريخ دارفور السياسي والاجتماعي الحـديث والمعاصـر. ورحلـة ناكتيجال، ج. بروان الرحالة الـبريطاني (1794م) فلدى هؤلاء جميعاً توجـد أدلـة قاطعة دونوها في كتاباتهم تدل على تبعية هذه الديار- لا سيما دار تاما ودار مـساليت - لسلطنة دارفور وليست بأي حال من الأحوال في يوم من الأيام كانت تابعة لـوداي.

[70] السلطان إلي سلاطين في 1911/1/17م (16محرم سنة 1329هـ) S.N.A INTELL 2/1/3

[71] السلطان إلي سلاطين في 1911/1/17م (16محرم سنة 1329هـ) S.N.A INTELL 13/2/7

وبعد الحركة المهدوية لجأ سلاطين باشا النمساوي إلى هذه المناطق ومن ثم إلى الخارج واحتمى بوداي[72].

يبدو في دارفور عمق الروح الوطنية، والكراهية لكل ما هو أجنبي على الرغم مما قام به الفرنسيون خلال سنتين كاملتين لترسيخ أقدامهم ولتغريب هذه الديار ثقافياً وحضارياً ودينياً. وإتيانهم بأدوات محلية ضعيفة يمكن توجيهها حسب إرادة الغزاة. ولكن بالرغم من ذلك لم تنجح في حكم البلاد وإدارتها كما هو شأن أدوات أفغانستان والعراق من أمثال كرزاي أفغانستان وجلبي وعلاوي ومالكي العراق. ذلك لأن شعبية الرجال وحبهم لا تخلقان بالقوة. ولا يمكن أن تصنع إحداهما قهراً. لذا نصب الفرنسيون على المساليت سلطاناً آخر حسب الفرنسيون أنه سيخلص لهم بيد أنه سرعان ما رفع عقيرته ضد المطامع الفرنسية في المنطقة. الأمر الذي أجبر السلطات الفرنسية للقيام بحملات متكررة من وقت لآخر على من نصبوه هم أودت أخيراً بحياة الأمير محمد أندوكه سلطان المساليت الذي خلف الشهيد تاج الدين. فقاموا باستلام دار المساليت[73] عنوة وقهراً مما يعني أن الفرنسيين وأشباههم لا يحترمون إرادة الشعوب وحقها في تقرير مصائرها إلا بالطريقة التي تحقق مصالحهم هم والتي يريدونها هم دون غيرهم. وهذا هو عين ما يلحظه القارئ الحصيف بالنظر إلى ما يجري من أحداث الآن على الساحة الإقليمية والدولية. فتجربة الجزائر التي اختار شعبها طوعاً الجبهة الإسلامية الجزائرية للإنقاذ أقامت الغرب ولم تقعده ولم يتنفس الصعداء إلا بعد أن أدخل الجزائر في جحر ضب من الاقتتال بين أبناء الملة والوطن الواحد دون مبرر أو مسوغ سوى تحقيق رغبة (ماما) فرنسا أو (طنط) امريكا، وما حدث في أفغانستان والسودان ولبنان ليس ببعيد عن الأذهان والغرب كله دون استثناء لايخدم إرادة الشعوب الحرة في تقرير مصائرها بنفسها.

---

(72) القنصلية البريطانية بالقاهرة إلي وزارة الخارجية البريطانية في 1911/1/22م S.N.A INTELL 1/1/1

(73) السلطان إلي سلاطين في 1911/1/29م (28محرم سنة 1329هـ) S.N.A INTELL 7/1/13

وعلى صعيد آخر شعر سلاطين باشا بدقة الموقف ومدى عدالة مطالب الــسلطان الشهيد علي دينار، وعدوان الفرنسيين عليه واختراقهم لحدوده. وهناك التــزام أدبــي تجاهه بموجب الاتفاق من قبلْ الحكومة الثنائية البريطانية وهو ممثلها في التفاوض مع السلطان الشهيد علي دينار، وتأكيداتها المستمرة حيث يقول: "لقد قمت بإرفاق صورتين من خطابين أحدهما من سعادتكم مؤرخ بأول مايو سنة 1901م. والثاني مني بتــاريخ 22 ديسمبر سنة 1903م إلي السلطان علي دينار يحددان الحدود كمــا كانــت تحــت إدارتي. ومن الواضح أن دار مساليت ودار تاما كانتا جزءا من توابــع دارفــور[74]). هذه الإشارات تؤكد على أن سلاطين باشا النمساوي بدأ يشعر بالحرج إزاء مخاطباتــه المتكررة للسلطان علي دينار ولئلا يكون في موقف الكاذب حاول أن يستعجل سلطات الخرطوم البريطانية لاتخاذ مواقف أكثر إيجابية بدلاً عن تلك الضبابية إزاء ما يتعرض له السلطان الشهيد علي دينار من هجمات فرنسية متكررة.

ثم يضيف سلاطين باشا قائلاً: وبالرغم من أن علي دينار كان يرى فــي تــدخل الفرنسيين في دار تاما ومساليت خطرا عليه إلا أننا استطعنا وحتى الآن أن نحول بينه وبين القتال معهم. ولم تكن الحدود بينهما مغلقة لمدة ثمانيــة أعــوام. وبعــد هزيمــة محمد صالح دود مرة من قبل الفرنسيين وبناء على التعاليم الإسلامية استقبل الــسلطان علي دينار السلطان محمد صالح دود مرة باعتباره لاجئاً يحــرم دمــه. وزاد غــزو الفرنسيين لدار تاما ومساليت من غضبه وتشدد السلطان علــي دينــار تجــاههم[75]. هذا الكلام احتوى على قدر من التجاوز في بعض العبارات لاسيما إصــدار الأحكــام النهائية بشأن منطقي لسلوك السلطان وسياسته الخارجية.

يعتبر تدخل الفرنسيين اغتصاباً لأرض هي جــزء إداري وسياســي واجتمــاعي لا يتجزأ من أراضي وشعب سلطنة دارفور واعتداء على حدودها وانتهاكاً لحرمتهــا ولسيادتها وللاتفاقية القائمة بين كل من إنجلترا وفرنسا سنة 1899م. حيث لــم تكــن دار تاما ومساليت من المناطق المتنازع عليها بين الدولتين العظميين[76].

(74) سلاطين إلي الحاكم العام في 5 فبراير سنة 1911م (9 صفر سنة 1329هـ) S.N.A INTELL1/1/1
(75) المصدر نفسه.
(76) تقرير سلاطين في 1911/1/10م (9محرم سنة 1329هـ) 1/1/2 S.N.A . INTELL

وبالفعل فإن الخطر الخارجي الفرنسي ووحدة العقيدة استدعيا التقاء كل من السلطان الوداوي المخلوع محمد صالح دود مرة والسلطان الشهيد علي دينار. واقتنعت الحكومة الثنائية البريطانية بوجهة النظر الدارفورية القاضية بإجلاء القوات الفرنسية أولاً ثم اللجوء إلى تحديد الحدود بين الدولتين ثانياً[77]. لذا كان لابد من تهدئة الأحوال بين الفريقين وإلقاء السلاح إلى حين الوصول إلى اتفاق بين الطرفين المتنازعين.

ومن ناحية أخرى لا زال السلطان الشهيد علي دينار يعض على جمر من صبر من جراء الاعتداءات الفرنسية والادعاءات الباطلة بأيلولة كل من دار تاما ومساليت إلى وداي .وفى الواقع فإن التحركات الفرنسية لم تكن مرهونة باعتبار الأحوال السياسية أو الوعود المقطوعة للسلطان الشهيد علي دينار. هذا بالرغم من التزامه بعدم الاعتداء على أمل ظهور نتائج المفاوضات الجارية [78] بين الدولتين الكبريتين بريطانيا وفرنسا اللتين ظلتا تحيطان مفاوضاتهما بسرية تامة.

وكانت الحكومة الفرنسية مترددة بشان إجلاء قواتها عن المناطق المتنازع عليها. هذا بالرغم من تظاهرها بالاقتناع بعملية تحديد الحدود. بين كل من دارفور ووداي. ومعلوم أن أية مساع دبلوماسية لا يمكن أن تؤتي ثمارها في تلك الظروف ما لم يتم الأعتراف مسبقاً للسلطان الشهيد علي دينار بحقه المشروع في كل من دار تاما ودار مساليت[79]. ولكن فرنسا في ذات الوقت كانت تحفزها مطامع استيطانية ومنافسة محمومة مع بريطانيا على هذه المنطقة حيث كانت لا تسلم بحق بريطانيا المطلق في دارفور. وكانت بريطانيا من جانبها تحاول أن تمسك بخيوط العنكبوت لتثبت أن لها حقاً تاريخياً وقانونياً في دارفور وتحاول أن تقنع السلطان الشهيد علي دينار بالتبعية لها ولو اسمياً لتجد ما تحاجّ به رصيفاتها في المؤتمرات الأوروبية.

---

[77] الحاكم العام إلي المندوب السامي البريطاني في 1911/2/9م. S.N.A INTELL 1/1/1

[78] S.I.R.199/9. Feb. 1911

[79] الحاكم العام إلي السكرتير الخاص في 1911/3/2م S.N .A . INTELL 1/1/1

ومعلوم لدى الأطراف المعنية أن هاتين الدارين كانت مـــن الناحيـــة التاريخيـــة والواقعية تابعتان لدارفور. ذلك لأن الحكومة المصرية حين احتلالها للسودان أقـــرت بعدم تبعية هذه الأجزاء لإدارتها[80].

لعب سلاطين باشا النمساوي دوراً بارزاً في إقناع السلطان الشهيد علـــي دينـــار بجدية المساعي الدبلوماسية مع دولة فرنسا. وبعث له بتأكيد جـــازم عقـــب انـــسحاب القوات الفرنسية من دار مساليت وتركها للسلطان المسلاتي يقول فيه: (قد عرفنـــا أن حكومة فرنسا قد أخرجت عساكرها مـــن دار مـــساليت وإن شـــاء الله عمـــا قريـــب سيخرجونهم من دار تاما[81]).

لربما كان ذلك الانسحاب تكتيكاً من قبل القوات الفرنسية اقتضته ظروفها المحلية وعجزها عن الاستمرارية في البقاء في هذه المنطقة ويلوح سلاطين باشا تارة أخـــرى بجدية المساعي الدبلوماسية ومدى اهتمام الحكومة الثنائية البريطانية ومتابعتهـــا لمـــا يستجد من أحداث في هذه المنطقة الساخنة بقوله: (قد عزمنا إن تنازلت حكومة فرنسا عن مطالبها في دار تاما ومسلات أن تعين لجنة خصومة لأجل تعيين الحدود وستنتدب الحكومة أثنين من الضباط المهندسين. وبصحبتهم مندوبين من قبلكم. حيـــث يقـــابلون المندوبين الذين تعينهم حكومة فرنسا والحكومة الإنكليزية بخصوص دارفور وحدودها. وسنرسل لكم أوراقاً رسمية بهذه الحدود وسيدوم الاتفاق إلى أجيال طويلة بعدكم ويتمتع به أولادكم[82]. في هذا الخطاب الصادر من المفتش العام والممثل الرسمي للحكومـــة الثنائية البريطانية سلاطين باشا اعتراف صريح بأن للـــسلطان الـــشهيد علـــي دينـــار ولأسرته حق وراثي في حكم دارفور. ولو تنازل السلطان الشهيد علـــي دينـــار عـــن وطنيته وباع ضميره ووطنه وأمنه وسار في ركب بريطانيا كما سار غيره من أترابه لضمنت له ذلك ولكن السلطان الشهيد علي دينار مهما قيل عنه أو فيه فقد كان رجـــل

(80) الحاكم العام إلي نائب مدير المخابرات في 1911/4/6م(7ربيع الثاني 1329هـ S,N.A INTELL I/I/I

(81) سلاطين إلي السلطان في 1911/4/18م (19ربيع الثاني سنة 1329هـ) S.N.A INTELL I/I/I

(82) سلاطين إلي السلطان في 1911/4/29م (30 ربيع الثاني سنة 1329هـ) S.N.A INTELL 1/1/1. 7/3/12

مبادئ. وأصحاب المبادئ لا يبيعونها بثمن بخس. وإن كان هذا هو شأن السياسيين الذين يباعون ويشترون في سوق نخاسة السياسة يميناً ويساراً بأثمان زهيدة مقابل بقائهم وسلامة أبدانهم في عالمنا المعاصر. وقد يخلعون كل يوم جلداً ويلبسون جلداً آخر حسب مقتضى الحال والمقام دون خجل أو حياء.

لا يخلو هذا الكلام من إغراء وفى الوقت ذاته ليس فيه تجاهل لدور السلطان الشهيد علي دينار في المفاوضات وتعيين مندوبين عنه ومن قبله كما سبق أن وعده بذلك. كما أن خبراً كهذا يتضمن تنازل فرنسا عن ادعاءاتها السابقة في كل من دار تاما ومساليت مما يبعث الأمل في جدية المساعي الجارية في نظر السلطان الشهيد علي دينار. ويهدئ من روع السلطان الشهيد علي دينار ويبعث في نفسه الأمل بهدوء الأحوال على الجهة الغربية لبلاده ولو إلى حين.

وعبارة أن هذا الاتفاق يستمتع به أولادكم هي مخاطبة للرغبة الإنسانية في داخل نفس السلطان الشهيد علي دينار القاضية بحب الملك واستمراريته في الذرية من بعد. ولكن في الوقت ذاته فإن لهذه العبارة من الناحية القانونية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية دلالة موضوعية وتاريخية هامة إذ تتضمن استقلالية السلطان بدارفور.

وفي الواقع فأن قوات الحكومة الفرنسية كانت تتحرك بدافع الخوف من القوى المحيطة بها في وداي.ونتيجة خوفها من دارى تاما ومساليت لتبعيتهما لدارفور[83]. أصبحت ترى الخطر أمامها ذا شقين داخلياً وخارجياً وقد عبرت عن هذا المعنى إحدى الصحف الفرنسية بصراحة ووضوح وجلاء، حيث ورد فيها ما نصه:- (الأوضاع في وداي ليست ممتازة. وأصبحنا نشعر بخطر ماثل داخلياً وخارجياً فمن الشرق يمكن الخطر في دار فور التي تهدد وجودنا في المنطقة)[84]. إذن الخوف كان هو المحرك والدافع الأول لاعتداءات الحكومة الفرنسية المتكررة على حدود السلطان الغربية بغية خلق حزام أمني واق لها من سلطنات الشرق التابعة لسلطان دارفور.

---

(83) الصحيفة الفرنسية لاماتير 1911/6/5م (جمادى الثانية سنة 1329هـ) .S.N.A. INTELL. 1/1/2
(84) المصدر نفسه.

وكانت الرؤية الفرنسية لهذه القضية واضحة حيث أن القوى الدارفوريـــة تـــشكل خطراً ماثلاً على وجودها في المنطقة. لذا من الطبيعـــي أن تتكـــرر هجماتهـــا علـــى حدودها بغية كسر شوكتها دون اعتبار لأي اتفاق أو معاهدة مع بريطانيا أو اتفاق مـــع سلاطين باشا أو غيره. ولربما يفسر هذا أن السياسة التي ظلت تحرك القوات الفرنسية في المنطقة تخضع لأجندة واستراتيجية مرسومة في باريس. وان هذه القـــوات كانـــت تحسن تنفيذ ما يوكل إليها من مهام بدقة متناهية.

ونتيجة للهجمات الفرنسية المتكررة على حدود دارفور الغربيـــة حـــدث انفجـــار سكاني تمثل في هجرة دافقة تجاه دارفور مما شكل عبئاً ثقيلاً على سلطنة دارفور، هذا بالرغم من محدودية إمكاناتها والحصار المفروض عليها من الشرق والغرب. وبالرغم من ذلك فقد أجرى السلطان الشهيد على دينار اتصالات مستمرة لاســتقدام الـــسلطان الوداوي المخلوع محمد صالح دود مرة بيد أنه لم يقرر بعد القدوم إلى الفاشر. وفى هذا الأثناء عينت السلطات الفرنسية سلطاناً عميلاً لها على دار تاما. بيد أن قوات السلطان الشهيد علي دينار تمكنت باقتدار وكفاءة من إعادة الأمور إلي نـــصابها والميـــاه إلـــى مجاريها[85]. وذلك لشعوره بأن تعيين سلطان موالٍ للسلطات الفرنسية يعني تـــضييق الخناق عليه مما يعتبر تجاوزاً للسقف المسموح به في العلاقات الخارجية في المنطقة.

ونتيجة لذلك فقد تأزم الموقف الفرنسي الدارفوري. حيث لاحـــظ القـــادمون مـــن بورنو أن الفرنسيين قد قاموا بغزو دار المساليت مرة أخـــرى. وعـــسكرت الجيـــوش الفرنسية في تيرقا (Terga). وفى مقابلها الجيوش الدارفورية. وبدأ السلطان الـــشهيد علي دينار في استعراض جنوده. هذا في الوقت الذي أصبح فيه أهل دارفور في قلـــق دائم من جراء تلك الاعتداءات الفرنسية المتكررة على حدود دارفـــور الغربيـــة بعـــد استيلائهم على وداي[86].

---

(85) S.I.R. 205/5. August 1911.
(86) S.N.A. INTELL 2/2/13. NOV. 1911.

وفى يناير سنة 1902م تم إخضاع السلطان بخيت أبو ريشة للفرنسيين وعزل السلطان عسيل ووضع مكانه إداري فرنسي هو الكولونيل (largeau). ومنح سلطان المساليت استقلاله بعد أن أمضى اتفاقية مهينة تنازل بموجبها عن ثلث دار مساليت ،غربي واديي اسنجا وكوجا[87]. مما يوحي بصورة أو أخرى بأن التجربة الفرنسية لم تنجح في استقطاب الحكام المحليين. فبعد أن بدأت باستخدام العصا والجزرة لجأت إلى استخدام العصا دون جزرة. وفي ذات الوقت تمكن الفرنسيون من إحراز تقدم ملحوظ تمثل في خلق حزام أمني واق يحول بينهم وبين أي هجمات يمكن أن يتعرضوا لها من قبل سلطان دارفور.

لربما تفيد هذه الخلفية في تبرير كثير مما يدور على المسرح السياسي الآن في معظم البلدان الأفريقية والعربية والآسيوية. ولعل الأمر في أفريقيا لهو أكثر وضوحاً وجلاءً لأن الحدود السياسية والجغرافية التي رسمتها القوى الأوروبية داخل غرف مغلقة ومكيفة دون اعتبار بالواقع وبمعطيات الأرض والإثنيات وتداخل الأعراق والحدود الطبيعية بحاجة إلى إعادة نظر وترسيم جديد يراعي الجوانب الإثنية والعرفية والحدود الطبيعية لأن الحدود الحالية هي حدود فرضت على أفريقيا من الخارج بغية تحقيق استراتيجيات وأهداف دولية بحتة دون مراعاة لمصالح واستراتيجيات أفريقيا وأهلها. ولعل هذه من أكبر أخطاء الأوروبيين التاريخية التي ارتكبوها بأفريقيا حين اجتمعوا في غرف مغلقة وقسموا (كيكة) أفريقيا دون اعتبار بالواقع والطبيعة والسكان ويمكن القول بأن هذه كانت أكبر حماقة في التاريخ ارتكبها الرجل الوروبي الابيض متجاهلاً إرادة أهل الحق الأصليين. ففي ظل غياب الإرادة المحلية تولى شؤونهم وقرر مصائرهم بمنهجية وباستعلاء وباستكبار منقطع النظير، فكان هذا المخلوق العجيب المشوه بعد الاستقلال. لذا نلاحظ أن مؤتمرات القمة الأفريقية حين بداياتها في الستينيات من القرن الماضي سواء على مستوى المنظمة أو الاتحاد الحالي وإلى اليوم تواجه مشكلة الحدود السياسية التي تعتبر من أخطر وأهم مشاكل أفريقيا الحقيقية دون أن تصل بصددها الى حلول مرضية بين كافة الدول الأفريقية من الشمال إلى الجنوب

---

(87) A.B. THEOBALD. Op. cit. pp. 91

أو من الشرق إلى الغرب. وتصحبها مشكلة التداخل العرقي الإثني التي تهــدد الأمـــن والاستقرار في طول القارة وعرضها.

• المبحث الثامن :-

تفاقم مشكلة الحدود بين الوجود المحتل الفرنسي في وداي وسلطنة دارفور والتفكير في عقد مؤتمر دولي لحلها

وعلى صعيد آخر لا تزال الحكومة الثنائية البريطانيـــة فـــي مجـــال مـــساعيها الدبلوماسية تقوم بجمع الأدلة التاريخية والواقعية فيما يتصل بالنزاع بين الفرنسيين في وداي والسلطان الشهيد علي دينار في دارفور. ففي مناقشة للحدود الفاصلة بين دارفور ووداي جاء في مذكرة تفصيلية ما يلي. (من الأدلة التاريخية أن نزاعاً دار بين سلطان وداي ومساليت على الحدود وتم حسم ذلك النزاع بواسطة مؤتمر حضر فيـــه ممثلـــو البلدين. وبعض هؤلاء الوداويين لا يزالون أحياء. وأيضاً هناك حجـــر نـــصب علـــى الحدود، وعليه نقوش تفيد بأن القبائل على الحدود تدفع الجزية أو الضريبة إلى وداي، ولكنها في المقابل تدفع مقابل الشرب رسماً إلى المساليت. ودارت بين التامـــا ووداي حروب سابقة[88]. هذا التداخل العرقي والثني كان ولا زال وسيظل سبباً في كثير مـــن النزاعات الحدودية بين كل من جمهورية السودان وجمهورية تشاد تخف حدتها وتقوى حسب الظروف المحلية والإقليمية والدولية. ولكنها ستظل قنبلة موقوتة تجد من خلالها القوى الأجنبية المريضة بمصالح البلدين تشعل فتيلتها في الوقت المناسب. وللأسف فان حكام البلدين بعد الاستقلال ظلوا يعانون من عدم وعي وإدراك كافٍ حينما يـــستجيبون لأدنى استفزاز. فهذه في تقديري مشكلة مزمنة لا تحل إلا بإحـــداث تكامـــل وتعـــاون سياسي واجتماعي واقتصادي وأمني بين البلدين. لأن التداخل العرقي بـــين الـــسودان وتشاد يتمثل في أكثر من اثنتي عشرة أثنية وعرقية هذه العرقيـــات وتلـــك الاثنيـــات بعضها متنفذ سياسياً واقتصادياً واجتماعياً في كلا البلدين. وهذا التداخل بهـــذا الكيـــف وذلك الكم لا ريب له ظلاله الأمنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعيـــة والأخلاقيـــة والتربوية والثقافية.

[88] مذكرة حول الحدود بين دارفور ووداي في 1912/1/1م (12محرم سنة 1330هـ)
S.N.A INTELL I/I/3

وكانت وجهة النظر البريطانية في الخرطوم تذهب إلى عقد مؤتمر ثنائي بين كل من دولة فرنسا وبريطانيا سواء في لندن أو باريس على أن يحضره سلاطين باشا باعتباره أكثر الحاضرين معرفة بتاريخ دارفور وحدودها[89]. وهذه في نظري نغمة جديدة وتوجه جديد حيث نلاحظ أنه في هذه الفترة بدأ استبعاد العنصر الوطني صاحب الحق الأصيل. ولاشك أن تغييب العنصر الوطني أمر مقصود لأن بغيابه يمكن تحقيق الاستراتيجيات الأوروبية في المنطقة وإبرام الصفقات السرية بين الطرفين المتنافسين على نهب أفريقيا دون اعتراض أو علم من أهلها. ولأن العقلية الأوروبية عموماً هي عقلية استعلائية استكبارية في تعاملها إذ يعتبر الرجل الأبيض أن كل من سواه هو أدنى منه رتبة عقلية وثقافية وحضارية وبالتالي فهو بحاجة إلى راشد ذي عقل راجح ليقرر له مصائره. ولعل الأقدار الإلهية هي التي انتدبت الرجل للقيام بهذا الدور نيابة عن أهل أفريقيا كما هو الحال الآن إذ ترى أمريكا وحلفاؤها أنهم هم الأعقل والأرشد الذين يحق لهم امتلاك الأسلحة النووية، وأن غيرهم أطفال إذا ملكوا ذلك السلاح عبثوا كعبث الأطفال بالنار. وأن الخمسة أعضاء مجلس الأمن هم أعقل من ولدت البشرية لتقرير مصائر المليارات من البشر غيرهم.

وخلال سنة 1912م هدأت الأحوال على الحدود الدارفورية الوداوية الأمر الذي أدى إلى فتح الطريق التجاري بينهما. حيث غادرت قافلة مكونة من مائة جمل ومائتي حمار متجهة صوب وداي[90] من دارفور.

وقد أشار إلى ذلك السلطان بقوله: (فإن التجار والخواجات الموجودين بالفاشر من شدة ما حصل من المضايقة بعدم المخارج لتسكيك البضائع ألحوا علينا كثيراً ورغبوا في فتح الطريق لحد دار وداي وكان نحن منعنا ذلك منهم خشية من ضياع حقوقهم. فأعطيناهم الإذن بالتوجه ... وخابرنا بهم قائد جنود دولة فرنسا الحاكم بدار وداي. وتوجهوا من يوم 27 شعبان سنة 1330، 11 أغسطس سنة 1912م[91].

---

(89) الحاكم العام إلي كتشنر في 1912/4/25م (14ربيع الأول 1330هـ) S.N.A INTELL I/I/3

(90) S.I.R.214/5-6 may 1912l.

(91) السلطان إلي نائب مدير المخابرات 19رمضان سنة 1330هـ(سنة 1913م) S.N.A INTELL 7/2/20

إذن بدأ السلطان علي دينار يتعامل مع القوى المحيطة بـــه معاملـــة النـــد للنـــد وبصورة استقلالية وأشار إلى أن قطعه للعلاقات التجارية بين البلدين كان مـــن بـــاب الخوف على أمن هؤلاء التجار وبضائعهم من النهب والسلب لعدم امن الطريق. وأشار إلى أن التجار الأجانب قد تضرروا من ذلك كثيراً حيث لم يجدوا طريقـــاً لتـــصريف بضائعهم التي اشتروها من دارفور لذلك سمح لهم بالمغادرة بعد أن حصل على ما يفيد بتأمين مسارهم من وإلى دارفور، ومن وإلى وداي. وهذا هو عين الـــصواب، إذ مـــن مهام الدولة السيادية تأمين الغادين والرائحين اليها، وإن لا فتكـــون قـــد فقـــدت أهـــم خصائصها السيادية. وحاول السلطان الشهيد علي دينار أن يفتح صـــفحة دبلوماســـية جديدة مع السلطات الفرنسية في وداي. ولا يخفى أن مخاطبته المباشرة لدولة أوربيـــة دون أخذ أذن مسبق من الحكومة الثنائية البريطانية يضفي على وضعيته درجة عاليـــة من الاستقلالية في رسم سياسته الخارجية وعلاقته بالقوى المحيطة. بيد أن ذلك التوجه لم يكن لينال رضا الحكومة الإنجليزية في الخرطوم لأنه يـــدعو إلـــى شـــك تعـــاظم لدى الحكومة الفرنسية في تبعيته للحكومة الثنائية البريطانية. ولا شك أن هذا التصرف الاستقلالي من قبل السلطان الشهيد علي دينـــار ظـــل يعـــزز موقـــف فرنـــسا فـــي مواجهة بريطانيا في أي مؤتمر دولي بشأن دارفور، لأن مخاطبة السلطان علي دينـــار مباشرة للمسؤلين الفرنسيين في وداي تؤكد على عدم تبعيتـــه للـــسلطات الانجليزيـــة في السودان الشرقي.

- **السيد علي الميرغني وجون قرنق**:

وكما سبقت الإشارة إلى أن القيادات الوطنية في البلاد الأفريقية كانت ولا تـــزال وستظل ميالة إلى الاستقلال، وهو طبع قبلي مكين حيث أن الحياة الاجتماعية الأفريقية والتركيبة الاجتماعية الأفريقية أقرب إلى البداوة منها إلى الحضر، والـــى التكوينـــات العشائرية منها إلى التركيبة الوطنية. لأنه ما من دولة أفريقية معاصرة إلا وتضم فـــي أحشائها مئات الاثنيات وفي أحسن الأحوال العشرات. لذا فإن هذا الميل الاستقلالي هو فطري مرتبط بالبيئة والنشأة، نلحظ ذلك واضحاً في موقف عسيل الذي قـــاوم جـــيش الاحتلال حال تمكنه من السلطة. وقام بتأييد العناصر الوطنيـــة فـــي بـــدايات القـــرن العشرين في المساليت. لذلك رأى الفرنسيون أن لا محالة من أيلولة الإدارة المباشـــرة

إلى أيادٍ فرنسية خالصة دون الاعتماد على عناصر محلية كما تقدم[92]. إذ أن الاعتماد على عناصر وطنية لم يعد مأمون الجانب، الأمر الذي يوحي بأن تلك العناصر الوطنية كانت، أكثر عمقاً وبعداً في النظر من القيادات السياسية الحالية. إذ كانت تدرك بثاقب نظرها أن الأجانب إذا أعطوك باليمين سوف يأخذوا منك بالشمال وإذا عينوك بالشمال سيخلعونك باليمين وهذا ما قاله علي الميرغني للكاتب السوداني حسن نجيلة حينما سأله عن سبب رفضه الموافقة لأن ينصب ملكاً للسودان في العشرينات من القرن العشرين من قبل إنجلترا[93]. وهو عين ما حدث مع الدكتور جون قرنق الذي ظن الأمريكيون أنه بإمكانهم ترويضه وتسخيره لتحقيق أهدافهم الإستراتيجية في السودان من حيث تقسيمه إلى أربعة أجزاء شمال – جنوب- شرق وغرب سنة 2020م. بيد أن الدكتور جون قرنق بعد وصوله الخرطوم وما لاقاه من ترحيب واستقبال منقطع النظير ودخوله القصر بدأ يتكلم بلغة مغايرة لما قصده الأمريكان فطفق يتكلم عن السودان كل السودان بلهجة واضحة وبرؤية واحدة، وأصبح الشمال يشكل جزءاً من همه كما هو الجنوب من حيث تنميته والعناية به الأمر الذي أزعج الدوائر الاستخباراتية الصهيومسيحية في العالم الغربي وأمريكا على وجه التحديد ذات الأهداف الإستراتيجية في السودان. هذا السودان الذي يشكل مشروع دولة عظمى في أفريقيا فتم التخطيط بإحكام لإغتياله بصورة درامية أشبه ما يكون باغتيال الأميرة ديانا أميرة ويلز في فرنسا.

- السلطان الشهيد علي دينار ومشكلة الحدود مع تشاد :

وفي الواقع فإن السلطان الشهيد علي دينار امتزجت فيه الروح الوطنية بالروح الديني الفياض. ففي اتصالاته مع الوجود الفرنسي بوداي بعث بخطاباته الأخرى مع القوافل التجارية إلى بعض الشخصيات والزعامات الوطنية ذات الوزن والثقل يستفسرهم فيها عن أحوال وداي وعما إذا كان هناك اعتداء من قبل الفرنسيين على قافلة الحج الأمر الذي يجب إعلام المسلمين في السودان بصدده[94] حيث يؤكد هذا التوجه أنه قد انتدب نفسه للدفاع عن المكتسبات الإسلامية وتعيين نفسه حامياً لها.

[92] وزير الخارجية البريطاني إلي اللورد كتشنر اكتوبر سنة 1912م S.N.A INTELL I/I/3
[93] (انظر حسن نجيلة: كتاب ملامح من المجتمع السوداني/السودان/الخرطوم/وزارة الثقافة/د.ت).
[94] سايمز إلي السكرتير الخاص في 1912/11/3م (21ذو القعدة سنة 1330هـ). S.N.A. INTELL 1/1/3

من خلال ما مضى يتضح أن السلطان الشهيد علي دينار كان له أجندته الخاصة والموضوعية من فتح الطريق التجاري بين البلدين. وأنه من خلال هذه النافذة التجارية كان يهدف إلى استنهاض الهمة الوطنية التشادية ضد الاحتلال الفرنسي الغادر. كما أن الاتصال بالعناصر الوطنية المسلمة في وداي يدل على أن السلطان الشهيد علي دينار كان يأمل في استنهاض الهمم في تلك البلاد. وأن اهتمامه بقافلة الحج ينبع من دور السلطنة الرائد في حماية الحجيج القادم من غرب أفريقيا عبر دارفور منذ عهد أجداده وآبائه الأوائل منذ نشأة هذه السلطنة الإسلامية ذات التاريخ والأمجاد والدور الفاعل في أفريقيا، فكأنه أراد بذلك الحفاظ على تقاليد السلطنة وإحياء مراسمها.

ولهذا الأمر دلالته الوجدانية. ففيه تحديد لهوية السلطان الشهيد علي دينار، حيث أراد أن يثبت حقه في الدفاع عن الإسلام وقضاياه وشعائره ومكتسباته التاريخية والثقافية وحماية الخارجين في سبيل الله ابتغاء مرضاته.

ويدل ذلك على أن البواعث الدينية لديه كانت ذات جذور أصيلة. وأن شعوره بالمسؤولية إزاء المسلمين وقضاياهم لم تكن وليدة لحظات ضعفه. كما أن استمساكه بالدين لم يكن ملاذاً اعتصم بهِ حين فقد الحول والطول. كما حاولت الكتابات الغربية وأقلام الاستخبارات العميلة أن تصفه به. وهذا شان إستعمارى قديم حديث معاصر. إذ يمكن أن يتغاضى الغرب عن سوءة الدكتاتوريين وجلادي الشعوب والظلمة إذا أيدوا الإستراتيجية الغربية ونفذوا الإستراتيجية الاستعمارية، ويمكن لهؤلاء الصهيومسيحيين أن يلوثوا ويلطخوا سمعة ابرأ الخلق وأطهرهم إذا وقف ضدهم وكشف دسائسهم. وإذا أردنا البرهنة على هذا الأمر فإن القائمة ستطول والناظر إلىّ أحوال وتاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر يصاب بالغثيان من كثرة هذه النماذج العميلة والخائنة لأوطانها والخارجة على دينها بنعومة ووقوف الغرب بقضه وقضيضه معها ولصالحها. وفي المقابل نجد أن حملاته المسعورة وأكاذيبه الفاضحة وأباطيله الفاجرة تكال ضد كل شريف حر يبتغي الخير والسؤدد لبلاده حيث يصف كل مدافع عن وطنه ودينه وقومه بالإرهابي، وكل خائن عميل جبان بالبطل القومي والقيادي الحر والمدافع عن حقوق الإنسان. وهذه هي الصورة المقلوبة في عصر الانترنت والأقمار الصناعية والفضائيات والصحف الصفراء والإعلام المأجور المأزور.

ويبدو أن دعوة السلطان الشهيد علي دينار للجهاد (1914م-1916م) لم تكن طارئة وإنما كانت أصيلة وكانت حساسيته تجاه الصليبيين الأوربيين المستعمرين مرهفة. ولاشك هم عكس إخوتنا الأقباط الذين عايشوا المسلمين وعايشهم المسلمون قروناً طويلة دون حساسية وإنما تعاملوا مع بعضهم الآخر كأهل بيت واحد دون تفرقة أو عصبية وهم حتى اليوم في حي المسالمة بأم درمان وفي كثير من أحياء أم درمان والخرطوم بشقيه يتعاملون مع إخوتهم المسلمين بالسودان معاملة الأخ لأخيه دون تفرقة دينية وبصورة متفردة يحسدهم عليها أعداؤهم.

وفيما يتصل بالنزاع القائم بين الطرفين القوات الفرنسية بوداي وسلطنة دارفور لا زال السلطان الشهيد علي دينار يعلق آمالاً عريضة على الحلول الدبلوماسية. ولا تزال فرنسا تدعي حقاً لها في كل من دار تاما ودار مساليت وتذهب الحكومة الثنائية البريطانية ووجهة النظر الإنكليزية إلى الاعتراف أولاً بأن دار مساليت ودار تاما هما جزء لا يتجزءان ولا ينفصلان من دارفور ثم المفاوضة[95].

في هذا الوقت أراد السلطان الشهيد علي دينار أن لا يقف مكتوف الأيدي لا سيما أمام التسويف الفرنسي والاعتداءات المتكررة التي لم تتوقف ولو إلى حين رغماً عن هذه المساعي الدبلوماسية. لذا دأب على خلق طابور خامسٍ داخل وداي. فراسل الشيوخ والأعيان في وداي يحثهم على الثورة والتمرد ضد القوات الفرنسية المحتلة. ولضمان نجاح نشاطه السياسي وتأمينه فتح باب علاقات تجارية مع السلطات الفرنسية لخلق مظلة شرعية لنشاطه ولإخفاء أجندته. وشعرت الحكومة الثنائية البريطانية بدقة الموقف خوفاً من أن يفلت زمام الأمر من يدها. وأن تنجح دولة فرنسا في فتح حوار مباشر مع السلطان الشهيد علي دينار مما يبطل مفعول الوجود الإنكليزي في المفاوضات. لذا لامه سلاطين باشا على عدم إخباره بما جرى بقوله: (أن هذه الأخبار وصلت إلينا من حكومة فرنسا ... وإنني أطلب منكم أن تكونوا على الحذر دائما

---

(95) الحاكم العام إلي اللورد كتشنر في 23نوفمبر سنة 1912م (12ذو الحجة سنة 1330هـ)
S.N.A INTELL I/I/3

ولا ترسلوا خطابات إلى جهة حكومة فرنسا. لأن الحكومة هناك تدعي أنكم تراسلون السلاطين هناك بجوابات فيها الكثير من المطاعن والانتقاد على حكومة فرنسا وتحقيرها[96]). إن هذا الخطابْ بمفرداته المنظومة بعناية يؤكد على أن السلطان الشهيد علي دينار بدأ يتحرك بفاعلية واستقلالية تامة وبعيداً عن وصاية الحكومة البريطانية الثنائية وعن رقابة جهاز الاستخبارات الفرنسية وعملائه بغية التأثير على الوطنيين في تشاد للثورة على الوجود الأجنبي في البلاد. وكانت الحكومة الفرنسية عن طريق استخباراتها ظلت ترقب هذا التحرك بحذر وإن لم يملك دليلاً قوياً يؤكد أو ينفي. وبدأت تشعر بخطورته وأثره على وجودها، ولذا حاولت الطلب من الحكومة الثنائية البريطانية في الخرطوم إيقافه عند حده.

- دارفور البديل لدول الخليج في الإستراتيجية الأمريكية:

يبدو أن القوات الفرنسية كانت من جانبها تنتحل الأسباب لتبرير هجماتها على أراضي دارفور. فمن ذلك هجومها غير المبرر على قبيلة الزغاوة الذي أشار إليه السلطان الشهيد علي دينار مبيناً ملابسات ما جري بقوله: (... والسلطان عبد الرحمن مزني بشارة الزغاوة الكباري بالنظر لأنه مرضان مرض شديد عليل الفراش ... فلا يشعر إلا وقد هجموا عليه جنود دولة فرنسا بيوم الاثنين الموافق 22 ذو الحجة سنة 1330هـ . وفي الحين قتلوه وجميع من وجدوه معه لم يفلت منهم أحد وبوقته رجعوا.... أن جنود دولة فرنسا يصيلوا (يهجموا) علينا في كل وقت ويهجموا ويقتلوا رجالنا ثلة بعد ثلة فلا راحة لنا من جهتهم. وعجلوا بما يطمئن البلاد من جهة دولة فرنسا وأن لا أتركونا نموتوا معهم فلا أسفاً علينا إذا متنا في ديننا[97]). كلمات ذات دلالة موضوعية وتاريخية هامة إذ تنم عن رجولة وعن نصاعة مبادئ وقيم، ليت الأحفاد يدرسوا هذه المفردات ويتعاطوا معها بموضوعية وبعقلانية وبواقعية، فدارفور كانت في تاريخها الحديث الناصع ترى أن دورها هو حماية البيضة وحماية الثغور

(96) سلاطين إلي السلطان في 1912/11/25م (في 14ذو الحجة سنة 1330هـ) S.N.A INTELL 7/3/13
(97) السلطان علي دينار إلي سلاطين باشا النمساوي في 1912/12/10م(ذو الحجة سنة 1330هـ)
S.N.A INTELL 7/2/14

لا أن تفتح أبوابها لشذاذ الآفاق ليعبثوا في دارفور القرءان، دارفور السلطان، دارفور الأمجاد، دارفور التاريخ. وليس كما هو الحال الآن مع القيادات السياسية التي فقدت توازنها العقلي والاجتماعي والأخلاقي والموضوعي والسياسي إما طمعاً في دخولها في (كيكة) السلطة أو تخطيطاً لخروجها منها. فاستجابت بغباوة وببلادة تاريخية وبغياب وعي وبفقدان رشد قيادي لأجندة خفية تريد استعادة دورات التاريخ في السودان مرة أخرى في ثوب استعمار استغلالي جديد تحت مسميات جديدة وبأثواب جديدة وبادعاءات جديدة أيضاً نتيجة غفلة من أهل وأبناء دارفور أصحاب المصلحة الحقيقية في استقرار وتنمية ورفاهية دارفور أكثر من غيرهم. لأن من لا يعلم ينبغي أن يعلم بأن دارفور في الإستراتيجية الأمريكية الصهيومسيحية الجديدة هي البديل لدول الخليج التي اتقدت فيها نار الحرب نتيجة حسابات أمريكية خاطئة، ونتيجة معلومات كاذبة وعجزت أمريكا وحلفاؤها عن إطفائها هذا بالإضافة إلى أن مخزون دول الخليج النفطي في طريقه إلى النفاد. ودارفور الحالية تتربع على بحيرة نفط وثروة معدنية هائلة وتجاور إقليم مثلث أوزو من الشمال الغربي وهي مثلث غني باليورانيوم، هذا بالإضافة إلى أن دارفور تحتل موقعاً غنياً بالمياه الجوفية على بُعد عقلة أصبع، وتوجد بها تربة زراعية خصبة، وهي مؤهلة لأن تحل محل دول الخليج بالنسبة لمشروع الهيمنة الأمريكية الصهيونية في المنطقة.

-مشكلة الحدود وبوادر الحرب الأوروبية الأولى :

تعددت الاعتداءات الفرنسية على دياره لذا حاول الاستعانة بقوى أوروبية وعلق عليها آمالاً كبيرة لإنقاذه مما هو فيه. وعلى الصعيد المحلي لم يأل جهدا في القيام بتعبئة شعبية داخل بلاده لمواجهة الموقف بأن أعد جيشه. وفي المجال الإقليمي الخارجي حاول الاتصال بالقيادات الشعبية الوداوية بغية أثارتها وإقناعها لإعلان العصيان والتمرد ضد الحكم الفرنسي في البلاد.

أما سلاطين باشا لازال يكرر دندنته القديمة بأن المساعي الـسلمية الدبلوماسـية ستؤتي ثماراً دانية. بيد أن انشغال الدول الكبرى بقضية الحرب في البلقان بين تركيـا ودول البلقان هو الذي أخر بحث المسألة(98).

ولكن رغما عن هذه الأحداث التي زعم سلاطين باشـا أنهـا شـغلت الـساحة الأوربية، فنالت كل اهتمام الدول الكبرى فإن الاعتداءات الفرنسية على حدود دارفور لم تنقطع لعل آخرها كان على حدود التعايشة أشار إليه السلطان بقوله: (إن فرقة مـن جنود فرنسا هجمت عليهم وأخذت جملة أموالهم ولا نعلم بالأسباب التي جـرت علـى ذلك(99)). الأمر الذي يعني أن فرنسا لا تزال سادرة في غيها وفق إستراتيجية محـددة غايتها إضعاف قوة السلطان الشهيد علي دينار وإثبات حق لها على أرض الواقع فـي دارفور يمكن أن تنال به كسباً وشرعية في المؤتمرات الأوروبية في مواجهة عـدوها اللدود بريطانيا.

وفي الوقت ذاته درجت فرنسا على التلويح بموافقتها على طـرح الأمـر علـى الوسطاء ليكونوا حكماً في الخلاف القائم فيما بينها وبين سـلطنة دارفـور علـى أن لا يكون السلطان الشهيد علي دينار طرفاً في التمثيل الدبلوماسي للمناقـشة(100). ممـا لاشك فيه أن إسقاط السلطان الشهيد علي دينار مـن أن يكـون رقمـاً رئيـسياً فـي المفاوضات هي محاولة القصد منها إسقاط واقعه التاريخي وحقه الطبيعي فـي هـذه المنطقة وهي خطة مرسومية تسير بخطى وئيدة. وهذه المحاولة الفرنسية تنبـئ عـن إستراتيجية أوروبية غايتها تغييب إرادة أصحاب الحق الأصليين عن مناقشة قـضاياهم المصيرية على أن تقوم الدول الأوروبية المحتلة برسم مستقبل هذه البلاد بذات القـدر الذي قامت به من قبل حين قسمت القارة الأفريقية إلى مناطق نفوذ فيما بينها، وغيبت أهل أفريقيا تماماً في مؤتمر برلين سنة 1884-1885م.

(98) سلاطين إلي سلطان في 1913/1/21م (1اصفر سنة 1331هـ) S.N.A. INTELL 7/3/4
(99) السلطان إلي سلاطين في 1912/3/31م (23ربيع الأول سنة 1331هـ) S.N.A. INTELL 7/2/15
(100) استاك إلي الحاكم العام 1مايو سنة 1913م (24جمادي الأولي سنة 1331هـ) S.N.A.INTELL.1/1/3

ولا يخفى أن الموافقة على هذا الاقتراح من قبل الحكومة الثنائية البريطانية يعتبر مخالفاً جملة وتفصيلاً لما قطعته من وعود للسلطان الشهيد، وفيه استبعاد صريح وغير مبرر لصاحب الحق من تقرير مصيره. ولو كانت بريطانيا حريصة على مصلحة البلاد وأهلها لما رضيت بهذا الاقتراح ولكنها كانت تعلم علم اليقين أن حضور السلطان الشهيد علي دينار سيعزز من موقفه وسيوطد نظامه وإرثه التاريخي في دارفور. وقد يجعل الأمر يخرج من السيطرة ولربما كان ذلك اتفاقاً سرياً بين الدولتين المحتلتين.

واقترحت الخارجية البريطانية اللورد كتشنر ليكون ممثلاً لبريطانيا في مائدة المفاوضات[101]. أما أهل البلاد، أهل الحق الأصيل فهم مغيبون عن حق تقرير مصيرهم!! كما أن هناك إصراراً متعمداً على إبعاد العناصر الوطنية من مائدة المفاوضات فيما يتصل بتقرير مصير هذه المنطقة وهو شأن استعماري استغلالي قديم حديث.

وفي مايو 1913م تأكدت الحكومة الثنائية البريطانية من صحة المعلومات التي أوردها السلطان قبل شهرين من أن الفرنسيين قاموا بهجوم على منطقة وقبيلة التعايشة[102]. وكأنهم أرادوا بذلك أن يدخلوا إلى قاعة المناقشة وأن يجلسوا على مائدة المفاوضات وهم في موقف قوة ولهم وجود على الأرض. وبالتالي أرادوا أن يؤكدوا بأن لهم شرعية الأمر الواقع في حالة الوصول إلى تسوية بين الدولتين في تقسيم (كعكة) دارفور وهو أسلوب قديم حديث اتبعته كثير من الحركات المعاصرة وحركات التمرد ضد حكوماتها قبل الجلوس على مائدة المفاوضات.

وفي يونيو سنة 1913م أعد سلاطين باشا مذكرة تفصيلية بشأن النزاع الدارفوري الفرنسي على الحدود بين كل من دارفور ووداي. وبرهن في هذه المذكرة بالبراهين القطعية وبالأدلة التاريخية على تبعية كل من دار مساليت ودار تاما لدارفور. كما ركز على أهم النقاط التي تثبت ذلك الحق التاريخي وحصرها فيما يلي:

(101) المصدر نفسه.

(102) S.I.R. 226/6 may 1913

أولاً: أن الذين حكموا في الفترة ما بين (1874م- 1884م) لا يزالون أحيـــاء ويمكـــن استجوابهم عن طريق الوسطاء في لجنة التحكيم الدولية. وهذه حجة لا تـــستطيع فرنسا استبعادها.

ثانيا: أن جامعي الضرائب من هذه المناطق لا يزالون على قيد الحياة وبالتالي يمكـــن استدعاؤهم واستجوابهم. وهذه في درجة الحجة السابقة في مجال الإثبات لا يمكن لفرنسا رفضها أو عدم التسليم بصحتها.

ثالثا: أن الحرب التي دارت بين وداي ودار تاما كانت بشأن المياه التي على الحـــدود. ولو كانت دار تاما تابعة لوداي لما دارت هذه الحرب المذكورة ولا معنى حينئذ لورود عبارة حدود.

رابعاً: أن هناك نقطة علي الحدود بين دار تاما ووداي يحجز عندها المسافر حتى يأخذ الإذن ذهاباً وإياباً. مما يعني أن دار تاما هي حد لدولة أخرى خارج وداي، وان لا لما كان هناك من معنى لحجز المسافر من الغرب إلى الشرق عند هذه النقطة بالذات دون غيرها. وهي حجة قوية لا تقل درجة عن سابقاتها.

خامسا: قرية (بورو) التي حاول سلطان وداي في الجزء الأخير من القـــرن التاســـع عشر أن يجمع منها الضرائب فدارت بين الفريقين الوداوي والدارفوري حرب من أجل ذلك لتبعيتها لدارفور.

سادسا: تيربيبا والتي أنشئت إلى الغرب من خط الاتصال تيرقا (**Terga**) مـــع وداي اسنغا (**Asunga**) لتحديد أقصى نقطة نحو الشرق لحدود سلطنة وداي[103].

لا تخفي أهمية وقوة هذه النقاط التي برهن بها سلاطين باشا على صحة دعـــواه والتي تثبت تبعية كل من دار تاما والمساليت لدارفور. ومن الوجهة التاريخية تـــشكل حججاً دامغة وبراهين قاطعة. وفى تقديري أن المسالة ليست بهذه الـــسذاجة أو تلـــك البساطة فهي قضية أطماع استعمارية احتلالية في المقام الأول في المنطقة، وبناءً على

(103) مذكرة أعدها سلاطين في 1913/6/30م. S.N.A INTELL I/I/3

دعوى أوروبية باطلة تؤكد على أن أفريقيا هي منطقة خلو وملك مباح للرجل الأبيض يعبث ويمرح فيها كما يشاء، ولذا هجمت عليها القوى الأوروبيـــة هجمـــة الوحـــوش الضارية والأسود الكاسرة كما هي الحال الآن. بيد أن الأفارقة بالرغم من هذه العبـــر التاريخية والمفردات والبينات والمعطيات الجليات حتى اللحظة لم يدركوا أبعاد اللعبـــة الغربية وخبثها وإستراتيجيتها. ونحن في السودان عموماً وفى منطقة دارفور نعاني من غيبوبة وعي تاريخية من حيث التعاطي مع الأحداث والوقائع التاريخية والقراءة الذكية والوعي التاريخي لما كان وما هو كائن وما سيكون فمع الماضي نتعاطى معه بغبـــاء وبلادة ومع الحاضر نتعامل معه بغفلة وعدم مبالاة أما عن المستقبل فهو غيب لا يعنينا التخطيط له أو مجرد التفكير فيه وتحكمنا مقولة خاطئة (أنفق ما في الجيب – يأتيك ما في الغيب) دون تخطيط أو دراسة، ونتعاطي مع الحاضر بعدم مبالاة واكتراث ينهمـــر عليك الغيب كيف ما كان دون استعداد أو تأهب، عقلية غريبة وعجيبـــة ووجـــدانيات أسطورية تشكل الشخصية السودانية والعربية والأفريقية الحاضرة وللخروج من هـــذا الوحل الوراثي المزروع في وجداننا لابد من إجراء عملية جراحية ثقافيـــة ووجدانيـــة فكرية تهز الموروث والمفروس هز مريم للنخلة حتى يتساقط خبث ما ورثناه وننـــتج ثماراً جديدة ونخلق واقعاً جديداً وعقلية جديدة ورؤية جديدة تـــتمكن مـــن أن تـــستثمر الماضي بذكاء ونتعاطى مع الواقع بجرأة وشجاعة وثبـــات ووعـــي ومـــع المـــستقبل بتخطيط وبإستراتيجية ودراسة. ومن جانب آخر أعدت الحكومة الثنائية البريطانية هذه المذكرة بغية تقديمها لمؤتمر الوسطاء. بيد أن القضية بالنسبة لفرنـــسا ظلـــت قـــضية إستراتيجية عسكرية بالدرجة الأولى في المنطقة، وقضية توسع استعماري اســـتغلالي وجوعة عارمة للحصول على مستعمرات لا تردها الأدلـــة ولا البـــراهين المنطقيـــة والأطماع الاستعمارية هي شهوة، والشهوة تغيب العقل وتعطل المنطق فمتـــى كـــان الغربيون عقلانيون في هذا الجانب؟ ومتى كانوا عبر تـــاريخهم الحـــديث والمعاصـــر منطقيون وصادقون مع أنفسهم ومع غيرهم في هذه القضية أو تلك إذا تعارضت مـــع مصالحهم؟ فهذا طرح الديمقراطية، والحقوق المدنية، والمساواة كلها بالونات فارغـــة المحتوى والمدلول حين تتعارض مع مصالح وإستراتيجية الغرب. فهذه الجزائر وتلك

تركيا تقوم فيهما انتخابات حرة ونزيهة بشهادة الغرب. ولكن ما أن تأتي بما لا يتفق مع مزاج الغرب لا يعترف. وهذه فلسطين بحماسها. والقائمة قد تطول!! لأن النهمة الاستغلالية الاستعمارية منطقها القوة ودافعها الأطماع. وما قدمته الحكومة الثنائية البريطانية لم يكن من أجل عيون السلطان الشهيد علي دينار بل من أجل إثبات حق النفوذ لها في هذه المناطق. ولربما هذا ما حدا بها في النهاية إلى أن تتجاهل تمثيله في مفاوضات تقرير مصير بلاده. رغما عن الوعود التي قطعتها على نفسها تجاهه وله.

هذا ودون استحياء أخذت فرنسا في عزو كل الاضطرابات في المنطقة إلى وجود السلطان الشهيد علي دينار. وبدأت تنتحل أسباباً عديدة تبرر بها ضرورة غزو دارفور. وتطلعت إلى اكتساح دارفور وإبعاد السلطان الشهيد علي دينار عن مسرح الأحداث. وقدمت مقترحاً بهذا المعنى للحكومة الثنائية البريطانية للقيام بعمل مشترك في هذا المجال. إلا أن الحكومة الثنائية البريطانية لم تكن مهيأة لذلك، لذا لم تبد موافقتها[104] على الاقتراح الفرنسي، ولربما تخوفت الحكومة البريطانية من هذا الاقتراح لئلا ينسحب عليها فيما قامت به إزاء خديوية مصر فيصبح لفرنسا حق تاريخي وقانوني وشرعي في أجزاء من دارفور بذات الدعوى التي تمكنت بها انجلترا من السودان.

إذن القضية كما سبق فهي ليست قضية إقناع أو حق مشروع بحاجة إلى إثبات بقدر ما هو تغول على حقوق شعوب بأكملها. وكان من قدر السلطان الشهيد علي دينار في هذه الفترة الحرجة أنه قد تولى مسؤولية قيادة المقاومة الوطنية الأولى في بلاده وفي السودان عموماً. هذا في وقت تكالبت فيه القوي الاستعمارية على المنطقة. ورأت أن لا حق لأهل البلاد الأصليين في إدارة بلادهم أو تولي مسؤولياتها. وفي ظل هذا المفهوم فالويل والثبور لمن يقاوم.

مرة أخري حاول السلطان أن يكسر الطوق وأن يجري مفاوضات مباشرة مع القوى الفرنسية المعتدية. فقام بإرسال خطابين في يوم واحد يشكو في أحدهما بقوله:- أن اعتداءات جرت بين قبائل في دارفور، وما أن تغلب فريق حتى وجد طريقه إلى

(104) المخابرات القاهرة في 28/10/1913م S.N.A INTELL I/I/3

دار سلا التي وقعت تحت الحماية الفرنسية فراراً من وجه العدالة. فيأمل أن ترد إليه الأموال والهاربين[105].

ولم يقف الأمر بالنسبة لفرنسا عند حد الاعتداء على حدود سلطان دارفور الغربية وإنما تجاوزته إلى تشجيع عملائها على تجاوز حدوده. فمن هؤلاء بخيت سلطان دار سلا. وأشار السلطان الشهيد علي دينار في خطابه الثاني للقائد الفرنسي إلى أن بخيت سلطان دار سلا قد اعتدى على حدود دارفور وأكد له بأنه سوف لا يعتدي على أحد تحت إدارة وحماية الحكومة الفرنسية ما لم يخطرها لردعه وأن لا فـ: (إني أعامله بمثل فعله أن حصل له مني شيء فلا تلوموني وما تعملوه يفادنا منكم)[106].

وفي مقابل هذا السلوك الحضاري والمطالب العادلة لردع المعتدين وتقويم الخارجين على النظام والقانون قامت القوات الفرنسية بالتوغل مرة أخرى في حدود دارفور. إمعاناً في تنفيذ إستراتيجيتها القاضية بإحراج الحكومة الثنائية البريطانية لاتخاذ خطوة إيجابية إزاء احتلال دارفور عن طريق عمل مشترك بين الدولتين العظميتين دون علم ومعرفة أهل البلاد الأصليين وتقسيم المنطقة بين الطرفين في جلسة مفاوضات شأن الضياع الأفريقية الأخرى التي تم احتلالها والاستيلاء عليها عنوة. ووصلت القوات الفرنسية هذه المرة ودون مقدمات أو إنذار حتى حدود الزغاوة مما أثار حفيظة السلطان الشهيد علي دينار. هذا في الوقت الذي يلح فيه سلاطين باشا على السلطان الشهيد علي دينار بالتحلي بالصبر ويوحي إليه بأن القضية في غاية البساطة إذ يمكن حلها عما قريب. ويؤكد له بأنه قد بسط الأمر برمته وتفاصيله لسعادة الحاكم العام والمندوب السامي البريطاني اللورد كتشنر[107].

ولكن يبدو من خلال المراسلات التي تقدمت الإشارة إليها والصادرة من السلطان الشهيد علي دينار إلى القائد الفرنسي أن السلطان بدأ يفكر جدياً في إجراء المفاوضات

---

(105) السلطان إلي الكولونيل الفرنسي في 1913/4/18م (25 جمادي الأولي سنة 1322 هـ).
S. N. A. INTELL. 7/4/1 .

(106) المصدر نفسه.

(107) سلاطين إلى السلطان في 1913/4/25م (30 جمادي الثانية سنة 1322هـ).
S. N. A. INTELL. 7/4/3 .

المباشرة مع الفرنسيين وفكر في تجاوز السقف الثنائي البريطاني، بعد أن استبان لـــه عدم جدية الحكومة الثنائية البريطانية وتكرار وعودها الكاذبة له، وقدر في قرارة نفسه أن هذه المفاوضات المباشرة قد تكون أجدى حيث رأى أنها أدعى لحسم الأمر. ولربما من ناحية أخرى يمكن القول بأنه قد فقد الثقة في دندنة سلاطين باشا ووعـــوده التـــي لا تعدو عن كونها سراباً بقيعة.

وفي فبراير سنة 1913م سبق أن أغلق السلطان الشهيد علي دينار حـــدوده مـــع وداي تماماً وأوقف تجارته الخارجية معها[108]. الأمر الذي يدل على حدوث تطورات هامة. وإحساس بالغ بالخطر من قبل السلطان الشهيد علي دينار إزاء القوات الفرنسية التي لا هم لها سوى الاعتداء والسلب والنهب.

ربما كان ذلك من الدوافع القوية التي جعلت السلطان يعيد النظر فـــي علاقاتـــه بالقوى الأوربية المحيطة به من الفرنسيين في الغرب والإنجليز في الشرق. وبالتـــالي ألقى بنظره بعيداً عن هذه القوى التي تضمر له العداء، وتتطلع في كـــل لحظـــة إلـــى القضاء عليه، والتي لا يجمعها معه دين ولا أهداف ولا إستراتيجية ولا وطنية. لذا كان من الطبيعي أن يلبي نداء الجهاد الصادر من قيادة السلطنة العثمانية ضد أعداء الإسلام من إنجليز وفرنسيين. هذا إذا علمنا أن الروح الديني والحس الإسلامي كان عميقاً في نفسه. وأن الأثر المهدوي لا يستبعد أن يكون قد ترك بصماته الواضحة على شخصيته ونظرته للأوربيين عموماً من حيث عدم الثقة بهم والركون إليهم. ففقدان الثقـــة الـــدائم فيمن حوله من قوى أوربية وشعوره وإدراكه العام لأبعاد أطماعها في بلاده، وتـــزوده بالروح الاستقلالية، وتشبعه بفيض إيماني عميق بدينه وتراثه، وتسلحه بالدين واعتداده بذاته وبإرثه التاريخي والحضاري يعتبر ذلك كله من أقوى العوامل التي شجعته لتلبية نداء الدعوة الجهادية في العالم الإسلامي وجعلته يقف وحيداً فـــي الـــساحة الأفريقيـــة والعربية والإسلامية في هذه المنطقة ضد الأطماع الأوروبية الاستغلالية. وكان علـــى استعداد كامل للتعاون مع أية قوة إسلامية ناهضة في المنطقة لطرد النفوذ الأجنبي من بلاده ومن بلاد الإسلام.

---

(108) S. I. R. 247/7. Feb. 1915.

- فقاعة تدويل قضية دارفور والمصالح الأمريكية :

لاشك أن هذه الصفحات المشرقات من تاريخ السلطان الشهيد علي دينار وحكمه لدارفور إضافة إلى الأحداث التي شهدتها دارفور خلال تلك الحقبة الهامة من تاريخها ومن تاريخ المنطقة العربية والأفريقية تشكل أرضية صلبة وقاعدة راسخة ومعطى متفرداً يتطلب دراسة وتأملاً من قبل أبناء دارفور وقياداتها الحالية بعيداً عن المؤثرات الخارجية لتشكيل رؤية حاضرة، واستشراف مستقبلي لهذه المنطقة التي احتلت الصدارة عالمياً في الآونة الأخيرة بسرعة الصاروخ مقارنة بغيرها من القضايا المحلية (كمشكلة الجنوب مثلاً) والقضايا الإقليمية. وخلال ثلاثة أشهر فقط ومن غير أي مقدمات منطقية وصلت قضية دارفور إلى مجلس الأمن الدولي، وطرحت باعتبارها قضية عاجلة مما يعني أن هناك أجندة خفية حول هذا التصعيد، وان الدول الكبرى ذات الشأن في نجلس الأمن وذات المصلحة الحقيقية في دارفور بإمكانها وقدراتها ومخزونها هي التي دفعت بهذه القضية بهذه السرعة إلى السطح وللأسف فقد وجدت من أبناء دارفور من يستجيب لهذا الطرح وهذا التصعيد ومبرراته الغريبة بدون وعي. ويتم استقطابه بإستراتيجية وبعقلية غربية تستخدمه إلى حين، وما أن تحقق أهدافها من خلاله حتى ترمي به في مزبلة العملاء. وتعتبره بطاقة محروقة كشأن كثير من العملاء والمغفلين في التاريخ الحديث والمعاصر في دول العالم الثالث. وأن أجيال اليوم بمختلف اتجاهاتها وأعرافها ومواقعها الجغرافية والثقافية والسياسية ينبغي أن تقرأ مفردات هذه المنطقة ذات الأهمية التاريخية والحضارية والثقافية والعرقية بوعي تأريخي يقظ وبحس عقلاني متقد راشد. لأن ما يحدث اليوم من سيناريوهات وأدوار لا يعدو عن كونه صدى لأحداث الأمس. وان أي محاولة اليوم أو غداً أو بعد غدٍ لجر دارفور لحرب أثنية أو عرقية أو حرب تطهير عرقي لا تعدو عن كونها معولاً لهدم أمجاد هذه المنطقة التي تمكنت باقتدار وبفاعلية أن تغدو بوتقة انصهار لمدة خمسة قرون من الزمان نتجت عنها شخصية سودانية متميزة ثقافة ووجوداً وفكراً وروحاً وخلقاً وقيماً وأعرافاً. وأن وصف ما يدور في دارفور الآن بأنه حرب بين عرب

وزنوج هو ضرب من الهرطقة الصهيومسيحية الأمريكية، وقدر من الجنون ومستوى من العمالة المغلفة التي ترمى إلى ضرب السودان في أهم مفاصله التاريخية التي يستمد منها وجوده. وقد ظللت أكرر هذه النغمة في أكثر من طرح وفي أكثر من ندوة ومؤتمر داخلي وخارجي، وفوجئت في يوم 2007/5/2م وأنا استمع إلى إذاعة لندن (BBC) وفي تقرير مطوَل عن الصفحة الأولى لصحيفة (الغارديان) البريطانية الصادرة في ذات اليوم وفي مقال افتتاحي لها تحت عنوان (دارفور) كما أكد المذيع فتحدث عن طبيعة مشكل دارفور الحالي حيث أرجع المصدر الأمر إلى أنه صراع ثقافي ذو طبيعة سياسية أكثر منه عرقي وأثني، ونفى أن يكون الصراع عرقياً بحال من الأحوال كما حاولت بعض الجهات المغرضة سواء من العاقين من أبناء دارفور أو من الجهات الصهيونية والغربية الاستخباراتية التي حاولت عبثاً أن تصف ما يدور في دارفور بأنه صراع عرقي أثني. وهذا ما أكدت في أكثر من مناسبة على عدم إمكانية وجوده في دارفور بالذات، دارفور القرءان، دارفور النفير، دارفور الفزع. ولأن ما ينبغي تأكيده أولاً: أنه لا توجد عرقية خالصة في أفريقيا في طولها وعرضها في شرقها وغربها في شمالها وجنوبها وفي وسطها، فالعرب جاءوا رجالاً بدون نساء فتزاوجوا من أهل البلاد الأصليين وإذا أُخذنا بنسبة مئوية فان الساميين جرت في عروقهم دماء حامية وان الحاميين جرت في عروقهم دماء عربية ويمكن الرجوع إلى كتابنا بهذا الصدد - العلاقات المكية السودانية عبر التاريخ - لاكتشاف حقائق هذه النماذج وأن بروز مفاهيم القومية والعنصرية والعرقية هي مفاهيم مستوردة غربية على ماضينا وتاريخنا وموروثنا الثقافي والديني والروحي والاجتماعي حتى أن الفكر القومي في العالم العربي هو صنيعة صهيومسيحية جاء بها ثلاثة شبان مسيحيين إلى العالم العربي بعد أن تجاوزت أوروبا هذه الفترة ولعل مشكلتنا الأساسية أننا في العالم الإسلامي والعربي انطباعيون انفعاليون استجابيون بسرعة لأي طرح دون وعي، ودون تفكير ورؤية وتمحيص. لأن عقولنا في إجازة إلى أجل غير مسمى منذ أن سلمنا بأننا نحن الأدنى وأن الغرب هو المتقدم وهو نافذة الحضارة. وبالتالي فان الشعور

بعقدة النقص هي التي أفقدتنا عن الفعل الصالح والقول الطيب. وأصبحنا ببغاوات في أحسن أحوالنا نردد كأننا الصدى كالإناء الفارغ لما يدور في الغرب. ومن المعلوم أن الدعوات القومية التي ظهرت في المشرق الإسلامي كان القصد منها الفت في عضد الدولة العثمانية التي ظلت اختلفنا أو اتفقنا حول دورها ووظيفتها ومكانتها تشكل مظلة إسلامية ومأوى يحتمي به أهل الإسلام بغض النظر عن طبيعة الممارسة والغرب والبعد من المنال الإسلامي المرتجى وهدم الحصون من داخلها.

الفصل السادس

العلاقات بين دارفور والحجاز

الفصل السادس

العلاقات بين دارفور والحجاز

إن صلة سلطنة دارفور الإسلامية بأرض الحرمين صلة طبيعية ذات بعد تاريخي وحضاري وديني وروحي في المقام الأول درجت عليها اغلب الممالك الإسلامية الأفريقية والسودانية على وجه الخصوص في العصور الإسلامية الوسيطة والحديثة والمعاصرة. وذلك بسبب وجود الحرمين في هذه البلاد بسبب الحج الركن الخامس من أركان الإسلام والذي يحتل مكاناً خاصاً في قلوب مسلمي شمال وغرب أفريقيا وبلاد السودان[1]. ولوجود مثوى الرسول (ﷺ) بالمدينة المنورة والذي له طعم وأشواق ومذاق خاص عند أهل السودان وغرب أفريقيا عموماً. حتى أن أهلنا الطيبين في السودان من العوام يعتبرون أن من حج ولم يذهب لزيارة قبر الرسول (ﷺ) أن حجه في شيء من النقصان بل يعتبر منهم أن ذلك جفوة لا تليق بإنسان مسلم يذهب إلى تلك الديار المقدسة.

كما أن مرور طريق حجاج غرب أفريقيا عبر السودان الحالي (سودان وادي النيل) عن طريق البحر الأحمر لا سيما بعد قيام الممالك الإسلامية في السودان النيلي والتي كانت بمثابة تعويض فعلي لما فقده المسلمون في الأندلس، ودلالة موضوعية على قدرة أمة الإسلام على الإبداع والإنجاب والاستمرارية في العطاء دون انقطاع. هذا بالإضافة إلى طريق شمال أفريقيا الذي ربط سلطنة دارفور تلقائياً بحركة الحجيج. وبالتالي لقد أضحت سلطنة دارفور منذ انبثاق فجرها تشكل محطة التقاء هامة، ونقطة

[1] Umar AL-Nagar "The Pilgrimage Tradition In West Africa" Khartoum University Press (1972) p. 4- 34.

ارتكاز ضرورية، وبوتقة انصهار عرقي وثقافي وحضاري متفردة. هذه هي دارفور التي يطمع فيها شذاذ الآفاق من الصهيومسيحيين الجدد تحت مظلة دعاوى كاذبة، وبإنفاق أموال خبيثة يستقطب بها ذوو النفوس الخبيثة المريضة بواسطة الاستخبارات العالمية والمنظمات المشبوهة التي ظاهرها الرحمة وباطنها العمالة والخيانة وبيع الضمائر والنفوس.

- **المبحث الأول:-**

مساهمة دارفور الاقتصادية ومسؤوليتها التاريخية إزاء الحرمين الشريفين

ومما لا شك فيه أن الحج كان يمثل نافذة هامة لهذه الممالك الإسلامية في سودان وادي النيل والسودان الغربي بمعناه الواسع حيث ظل يربطها بمنابع الإسلام، وكثيراً ما استقدم وكلاء السلاطين في دارفور العلماء من الحجاز بتكليف من السلاطين أنفسهم والتزم سلاطين دارفور إزاء تلك المسؤولية التاريخية والمكانية التزاماً أدبياً وفعلياً بأداء خدمات سنوية أوجبوها على أنفسهم إزاء الحرمين وسكان وحكام وزوار وخدام الحرمين والتي أضحت جزءاً لا يتجزأ من طقوس وموروث سلطنة دارفور الإسلامية وعملاً سيادياً يقوم به السلطان ويشرف عليه بنفسه طوعاً واختياراً. يعكس ذلك الالتزام الأدبي والديني الذي طوقت سلطنة دارفور به نفسها رسالتان بعث بهما إبراهيم قرض (1873- 1874م) آخر سلاطين دارفور في الفترة الأولى إلى عبد الله شريف مكة ورد في أولاهما:- (من أمير دولة الفور السلطان إبراهيم إلى حضرة .. الشريف عبد الله ... واصل إليكم الحاج إدريس وصحبته ثلاث (ثلاثة) آلاف ريال .. يصل حضرتكم وما باقي يصير بتصريفه)[2]. إن هذا المبلغ بكل المقاييس كان يشكل إعانة كبيرة ودفعاً قوياً للسلطة الزمنية القائمة في مكة وهو التزام أدبي وروحي ظلت دارفور تقوم به إزاء مكة والمدينة، لمدة خمسة قرون من الزمان بانتظام ودون انقطاع

(2) دار الوثائق القومية المصرية د /1/3/104.

بدون منٍ أو أذىً في فترات الشدة وضنك العيش الذي كانت تواجهه بلاد الحرمين قبل أن تتوحد المملكة العربية السعودية في صورتها وشكلها الحالي وتأخذ مكانتها الحالية، وقبل اكتشاف البترول وصيرورة تلك البلاد إلى ما صارت إليه من غنىً ورفاه. فقد كان سكان الجزيرة العربية في الماضي خلال القرن الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين يغتربون في السودان. وينتظرون منتجات السودان ووفوده ومحمله الشريف بفارق الصبر. ولا شك أن ما كانت تقوم به سلطنة دارفور إزاء الحرمين يعتبر مساهمة كبيرة وذات اثر بالغ. وكانت تعتبره واجب أخوة ودين وجوار وبالتالي فإن ذلك يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك بأنه كان للسودان الحالي يد طولى على بلاد الحرمين لمدة تزيد على الخمسة قرون من الزمان. وأن هذه السلطنات (سنار وتقلي ودارفور) كانت داعماً اقتصادياً قوياً ودائماً لبلاد الحرمين دون انقطاع ولنظامها السياسي وزوار مسجديها وفقرائها من المواطنين.

ولم يقتصر دعم دارفور لبلاد الحرمين وسكانها وعمارها على المال وإنما تعداه إلى الرجال حيث ورد في رسالة أخرى لإبراهيم قرض بعث بها إلى شريف مكة (قد أرسلنا الحاج إدريس صحبة المذكورين. ست أغوات - متوجه للحرمين معه صرة لمكة واغوات لخدمة البيت، وصرة لمدينة الرسول ومعها أغوات لخدمة الحرم الشريف)[3].

من هنا يتضح أن دارفور كانت مصدراً هاماً للأغوات أي العنصر البشري الذي كان يقوم بوظيفة السدانة للحرمين الشريفين. وكانت تقوم بواجب الإنفاق عليهم بعد وصولهم لأرض الحرمين وقيامهم بواجب السدانة. وهذا قدر من الالتزام الأدبي الطوعي الذاتي الذي كان يقوم به سلاطين دارفور طوعاً واختياراً تعبيراً عن رابطة العقيدة القوية التي تربطهم بالبيت الحرام والمسجد النبوي الشريف محور أشواق أهل السودان. ويشكل هذا الجهد تاريخاً ناصعاً لدارفور ينبغي أن يكتب بمداد من ذهب. وحق لدارفور وأهلها أن يفتخروا بهذا التاريخ المجيد. وأن يرتقوا الآن إلى مستوى هذه

[3] دار الوثائق القومية المصرية ج / 1/3/104.

المكانة التاريخية والحضارية السامقة لا أن يتقاتلوا من أجل تحقيــق ذواتهــم الفانيـــة و الكسب الرخيص.

• **المبحث الثاني :-**

الســلطان الــشهيد علـــى دينـــار ودوره في الـــسقاية والإطعـــام في الحرمين الشريفين

وفى الوقت ذاته فقد شاركت دارفور بهذا الجهد المادي السنوي في رفع مــستوى الفرد الاقتصادي من السكان في كل من مكة والمدينة. لقد حدث هذا الانجاز بواســطة إرسال صرة الحرمين سنوياً وبانتظام ودون انقطاع لإنفاقها على الفقراء فــي هــاتين العاصمتين الإسلاميتين المقدستين. وبذا تكون دارفور بجدارة وبسخاء قد حققــت مــا أمكنها من أقدار التكافل الاجتماعي والاهتمام بأمر المسلمين. ولعل الوثيقة التالية تلقي الضوء على ما مر ذكره حيث ورد فيها: (من أمير دولـــة فـــور الـــسلطان إبـــراهيم المعتصم بالله تعالى أمين إلى حضرة المتسلم كبير الأغوات خادم الحـــرم المـــدني ... واصل إليكم ألف ريال وباقي، الصرة لكم تفريقها على يد الحاج إدريس)[4]. إن كان هذا الأمر قد يحدث في الماضي البعيد فان هذا الخطاب قد صدر مثيله في الربع الأول من القرن العشرين من قبل السلطان الشهيد علي دينار آخر سلاطين دارفور وأحد أعمـــدة المقاومة الوطنية الإسلامية بالسودان في العقدين الأوليين من القرن العشرين الميلادي. كما يدل ذلك على أن سلاطين دارفور كانوا يعتبرون ذلك التزاماً أخلاقياً وأدبيـــاً إزاء الحرمين وسلطانها وإزاء ضيوف الرحمن وهو من باب السقاية والإطعام.

غني عن القول أن هذا الارتباط بمنابع الدولة الإسلامية ربما كان يمثـــل مـــذاقاً خاصاً ويحتل أهمية عالية في نفس السلطان الشهيد على دينار. حيث كان يحس بخطر ماثل من التغول المسيحي على الدين الإسلامي، يستشف ذلـــك مـــن مراســـلاته مـــع السنوسي عن طبيعة هذا الخطر حيث أكد في إحداها أن أهل الـــسودان الغربـــي قـــد

---

(4) المصدر السابق.

اعتنقوا المسيحية[5]. أما أهل السودان الشرقي فقد اتبعوا النصارى ورد ذلك في عبارته التالية:- (والأعيان منهم صاروا يخاطبونا ويرغبوا منا أن نتبع النصارى قصدهم يضلونا)[6].

ولا يغفل أن اهتمام السلطان الشهيد على دينار بالحجاز ناتج عن إدراكه لدور الحكومة المصرية السابقة في القضاء على ملك آبائه بواسطة جيوش وكيلها الزبير ود رحمة. ولما لم يكن منذ البداية مطمئناً إلى استمرارية التعامل التجاري المعهود بين دارفور ومصر عن طريق درب الأربعين لأنه كان مدركاً لخطورة الوجود البريطاني بمصر وسيطرته على مقاليد الأمور بصورة مباشرة أو غير مباشرة كان من الطبيعي أن يبحث عن منافذ تجارية جديدة لبلده التي تعول كثيراً في اقتصادها على التصدير والاستيراد.

وقد رأينا أن تقاربه مع السنوسي كان يحمل في طياته هذه الأهداف الاقتصادية البحتة إلى جانب الروابط الأخرى. وربما كان يأمل أن تكسو حركة قوافل الحج محاولاته لاستيراد السلاح قناعاً دينياً يحميها من رقابة الحكم الثنائي البريطاني الذي كان ينظر إلى تلك المحاولات بعين الشك والريبة. وأخيراً يجب أن لا ننسى أن حرص السلطان على المحمل كان وراءه مقصد الدعاية للسلطنة الوليدة والتعريف بها وكسب الشرعية لها من مختلف القوى الإسلامية، ولكي يؤكد للعالم الإسلامي أن حكمه هو امتداد طبيعي لسلطنة دارفور ذات المساهمات المحلية والإقليمية المشهودة. ولكي يقر مبدأ إرسال المحمل الشريف وينتزع اعترافاً ثنائياً بريطانياً بذلك قدم له بمقدمة فحواها: (بغاية الوفا إذ كانت المدة الماضية السابقة زمن المتقدمين آباءنا سلاطين دارفور لهم عوايد وشروط وحدود معلومة وهدايا تقدم لوالى مصره ومحمل يرسل لبيت الله الحرام ويؤذن لنا بإرسال هدية بيت الله الحرام في كل عام)[7]. إن مساعدة مصر ومساعدة بلاد الحرمين وسلطانها في إدارتها كان تقليداً وقدراً دارفورياً وسودانياً

---

(5) المصدر السابق.

(6) السلطان إلى احمد الشريف في 1916/1/28م (23 ربيع الأول سنة 1334هـ) D. S. A. Box 129/2

(7) ونجت إلى السلطان أول مايو سنة 1901م (محرم سنة 1319هـ) S.N.A.INTELL. 1/1/2

صيلاً موروثاً والتزاماً اقتضته المروءة من قبل سلاطين دار فور وسنار وتقلي. وهو التزام ذاتي دافعه ديني أخوى في المقام الأول مما يوحي بسعة أفق سلاطين دارفور والسودانيين الشرفاء ومدى تفوقهم على ذواتهم فيما مضى عكس ما يجري الآن على الساحة الدارفورية والسودانية عموماً من ضيق أفق، ومحدودية أهداف، وذاتية رؤية، وقصور نظر، لدى كل التنظيمات التي تتولى النظر وإدارة الأمر في دارفور سواء أكانت في المعارضة أم في الحكومة حيث وقعت كلها أسيرة نظرة حزبية وعرقية نتنة، فأرادت تشويه جمال تاريخ يعج بالإنجاز والإبداع والإقدام والابتكار وفعل الخير، حيث اختزلت كل ذلك التاريخ الناصع والإرث الحضاري الفاقع في جملة أهداف وضيعة غايتها تحقيق الذات الانطوائية ذات النزعة الضيقة والميول العرقية البهيمية لأن الإنسان كريم يكرم بانتمائه وعطائه الفكري والاجتماعي والديني والحضاري لا العرقي ولا الأثني.

أبدى السلطان الشهيد علي دينار رغبة أكيدة في الارتباط بأرض الحرمين حيث طلب من الحكومة الثنائية البريطانية تيسير الطريق وحمايتها لقافلة الحج الدارفوري. حتى يتسنى له إرسال المحمل الذي اعتاد أسلافه على إرساله سنوياً إلى كل من مكة والمدينة. وأجابه الحاكم العام بأنه على استعداد لتسهيل ما يمكن لبلوغ المحمل محله[8]. وبالطبع لا يستطيع الحاكم أن يرفض رفضاً صريحاً رغماً عن أنفه لعلمه بأن ذلك يمكن أن يؤلب عليه أهل السودان لاسيما في بلد ما زالت رائحة الثورة المهدوية فيه تزكم أنوفهم وما أحدثه الحاكم الحالي من جراحات وما أساله من دماء طاهرة بسبب ذلك لا زال ماثلاً في الأذهان، وأن أهل السودان عموماً لم يرضخوا للمستعمر إلا تحت قهر الحديد والنار.

وعلى صعيد آخر لئلا يثير السلطان الشهيد علي دينار شكوكاً حول الأهداف المستكنة للمحمل أكد للحكومة الثنائية البريطانية في خطاب سابق أن المحمل هو ـسال هدية بيت الله الحرام. هذا بعد أن قرر أن سلطنة دارفور هي سلطنة عريقة

[8] السلطان إلى السردار في 1900/11م (9 رمضان سنة 1318هـ) S.N.A.INTELL. 7/1/2

ذات أمجاد ضاربة في شعاب الزمن. وذات صلات خارجية قديمة. وهو يبغي من ذلك إتباع نهج سلفه ثم يردف قائلاَ: (.. ويؤذن لنا بإرسال هدية بيت الله الحرام)[9].

وهدية بيت الله الحرام هي ما يعرف بصرة الحرمين التي اعتاد ســلاطين هــذه البلاد إرسالها إلى كل من مكة والمدينة بغرض تفريقها على فقــراء الحــرمين. هــذا بالإضافة إلى الكسوة وأموال أخرى ترسل إلى القائمين بأمر الحرمين لتصريف شؤون بلادهم وجزءاً آخر يوزع على الحجاج.

وبعد حصوله على الموافقة بتسهيل إجراءات المحمل حيــث لا منفــذ إلا عبــر أراضى السودان الشرقي وهى منطقة واقعة تحت نفــوذ وســيطرة الحكــم الثنــائي البريطاني. بدأ يعد العدة لاستئناف ما انقطع من سيرة أسلافه من إرسال للمحمل الذي بحق يعتبر مظاهرة إسلامية، واحتفالاً عظيماً وتعظيماً لشعيرة مــن شــعائر الاســلام وأركانه الخمسة، ومظهراً من مظاهر القدرة السياسية والاقتصادية وتعبيراً عن التدين المكين لهذه السلطنة العريقة.

وكان السلطان الشهيد علي دينار مثل غيره من مئات ملايــين المــسلمين الــذين يتطلعون إلى رؤية بيت الله الحرام ويتشوقون إلى زيارة مدينة المصطفى عليه الصلاة والسلام. والأخير هو شوق سوداني متين نابع من حب خاص للرسول صلى الله عليه وسلم لدى أهل السودان النيلي تعبر عنه أشعارهم العامة والفصيحة وأمثالهم ومأثوراتهم المنقولة في الأدب الشعبي فيما يسمى بأدب المدائح وتعبر عنه مناسباتهم المخصــصة لهذا الجانب على مستوى العامة والخاصة. وعبر السلطان الشهيد علي دينار عن هــذا الشوق في خطاب بعث به إلى شريف مكة في سنة 1321هــ، ســنة 1902م مبــدياً رغبة أكيدة في زيارة الأراضي المقدسة، ويذكر أن من فضل الله عليه أن أعاده إلــى عرش آبائه وأجداده وهي لفتة بارعة مقصودة للتأكيد على انه لم يكن منبتاً أو حــديث عهد بالسلطة أو مستجد نعمة، لأن حديث العهد بالسلطة أو بالمال ومستجدهما لا يحسن استخدامهما كما نرى الآن في كثير من الأنظمة الحديثة والمعاصرة. لذا أكد الــسلطان

[9] السلطان إلى نسردار في 9 شوال سنة 1318م (12 يناير سنة 1901م) S.N.A.INTELL. 7/1/2

الشهيد علي دينار على تلك الحقيقة بأنه وريث مجد تليد ودولة لها مكانتهـا المحليـة والإقليمية دولة لها تقاليدها وأعرافها وإرثها الحضاري والثقافي. وهـو سـليل أسـرة عريقة في الحكم غير منبتة الأصل مستجدة النعمة حديثة العهد بالحكم. وبعث برفقـة ذلك الوفد الدارفوري السلطاني بألفي ريال مجيدي، ألف منها يوزع فـي مكـة علـى الفقراء وخدم البيت الحرام. والألف الآخر يقسم في المدينة على نفس الأساس[10]. كرم فياض وإيثار وتضحية ظلت سلطنة دارفور وسلطنة سنار ومملكة تقلي مـوئلاً لهـذه المآثر. بيد أن ذلك بعيد كل البعد عن ممارسات النهب المسلح الآن في دارفور وقتـل الأبرياء واستعداء القوى الأجنبية على هذه المنطقة التي جسدت طرازاً متميـزاً مـن حيث العطاء والمبادرة إلى فعل الخيرات في يوم من الأيام ومن حيث البنية الـسياسية والاجتماعية والدينية، بينما أمست الآن لقمة تمضغها كل أجهزة الإعـلام المغرضـة، وجيفة تتصارع عليها ثعالب وكلاب وخنافس وعقارب وبنات آوى العالم الغربي دون استثناء. وأبناء دارفور ومفكروها وسياسيوها الآن في غيبوبة الوعي السياسي والفكري والاجتماعي غير قادرين على تحمل المسؤولية التاريخية لإنقاذ هذا الإرث الحـضاري والثقافي والاجتماعي والأخلاقي والديني والسياسي بشجاعة وجرأة وإقدام من بـراثن الهجمة الغربية الصهيومسيحية التي تستهدف في المقـام الأول البـشر قبـل الحجـر لتحطيمه وسلخه من ماضيه وخلق صورة شائهة منه يمكن توجيهها حسب ما تقتـضيه إستراتيجية الغرب الصهيومسيحي في هذه المنطقة القاضية بالهيمنة على حجر دارفور بديلاً عن دول الخليج واستثماره في ظل غيبوبة أهله ومفكريه.

يبدو أن هذه الرغبة المكينة لدى السلطان الشهيد علي دينار حـال دون تحقيقهـا خوفه من أن يورط نفسه بمقابلة مسؤولي الحكومة الذين لا يؤمن جـانبهم. وعكـس لشريف مكة في هذا الخطاب شعوره بالنعمة التي منحها الله إياه بإعادته إلـى عـرش آبائه وأجداده.

---

[10] على دينار إلي شريف مكة فى 1321هـ (1902م) S.N.A.INTELL. 2/3/12

وفى العام التالي وصله خطاب شكر على إرسال محمل تلك السنة من قبل أمير المدينة يثنى فيه على حماسه الديني[11].

- **المبحث الثالث:-**

السلطان الشهيد علي دينار و محاربة البغاء في السودان

وإمعاناً من السلطان في اتجاهه الإسلامي الأصيل حاول القضاء على الدعارة حتى في حدود الحكومة الثنائية البريطانية. وذلك بإرسال مبعوثين من أجل دارفور لإحضار كل الداعرات في البلاد على طول البلاد وعرضها بواسطة إغرائهن بالزواج أو بوسائل أخرى. وبعد إحضارهن إلى الفاشر فمن تابت منهن ورضيت بالزواج الشرعي عفى عنها ومن لم ترض قضى عليها بالرجم[12]. يا ترى أليست هذه وحدها تكفيه فخراً؟ اين ذلك من فساد من تولوا السلطة في العصر الحديث والمعاصر ممن تولوا بأنفسهم هتك الأعراض وإفساد بنات حواء من أعراض الآخرين، بدلاً من أن ينيروا ويندبوا أنفسهم لحمايتهن فأصبحوا الأسود الضارية دون وازع راتعين فيهن. يحدث ذلك من السلطان الشهيد علي دينار في وقت يثير فيه خصومه اتهامات باطلة ضده منافية لهذا التوجه، وتلقفها تلاميذ الاستعمار ونشروها باستراتيجية. وهذه هي دارفور وهؤلاء هم أهلها، وهذا هو سلطانها درة السودان الحديث والمعاصر رضي الناس ام أبوا.

ولا يخفى أن ذلك الإجراء غير المسبوق من السلطان الشهيد علي دينار ذي البعد الاستراتيجي من الناحية الأخلاقية والتربوية والتأهيلية للأمة فيه مطعن على الحكم الثنائي البريطاني والسلوك الأوروبي الأخلاقي الذي يسمح بممارسة البغاء في ظله ويشجعه ويرخصه ويوفر كشفاً صحيحاً أسبوعياً لمن تمارس البغاء على رؤوس الأشهاد. هذا ما رأيناه في ستينيات القرن العشرين بعد ذهاب الاستعمار ويومها كنا في المرحلة المتوسطة الأمر الذي يشكل بقعة سوداء على رؤوس كل من تولى السلطة بعد

(11) S.I.R. 108/3 1ST AUGUST 1903.
(12) S.I.R. 108/3/12 Lst AUGUST 1903.

ذهاب الخواجات في بلادنا. ومن المعلوم أن البغاء والفساد الأخلاقي هو مـــن أقـــوى الأسلحة الشيطانية التي تمكن بها الغرب من تحطيم حصون الأمة المسلمة من الداخل. وهو من أنجع وسائله للسيطرة على مقدرات الأمة المسلمة. والآن بدأ هـــذا المـــدخل الخبيث عن طريق الانترنت والمواقع الإباحية منها والفضائيات والمحطات الإباحيـــة التي تعرض ما يندي له الجبين. والقصد من ذلك القضاء على ثروة الأمة الشبابية لأن الشباب هم ذخر الأمة. ومن أراد أن يقرأ مستقبل أمة فلينظر إلى اهتمامـــات شـــبابها وأبنائها التربوية والأخلاقية ومستوى سيادة قيم العدل فيها. ومـــن البـــديهي أيـــضا أن الحكم الثنائي البريطاني لا يستطيع أن يقف في وجه السلطان الشهيد علي دينار فيمـــا يتصل بأمر البغاء. لاسيما في بلد لا يزال اثر الثورة المهدوية فيه قوى بيد أنه لا يخفى أن الاستعمار من أهدافه الإستراتيجية هو تدمير الجانب الأخلاقي في الأمة. وانتـــشار الدعارة هو إحدى هذه الوسائل الناجعة التي عن طريقها يمكن للاستعمار قديمه وحديثه أن يبدد طاقة المجتمع ويهدد كرامته. وهو نهـــج ماســـوني قـــديم حـــديث إذ أن كـــل الانهيارات الأخلاقية والقضاء على رجولة كثير من القيادات الـــسياسية والاجتماعيـــة والفكرية هو عمل مخطط. كما أن اختراق كل الجدر الأخلاقية في المجتمـــع المـــسلم هو هدف استعماري ذو أبعاد إستراتيجية. وللأسف أن معظم أشباه الرجال مـــن هـــذه القيادات بمستوياتها المختلفة هي التي تبوأت المناصب بعد خروج الاســـتعمار فكانـــت أردأ خلف لأخبث سلف وقادت الأمة إلى البوار والهلاك وتـــستخدم المـــرأة وجـــسدها كسلعة رخيصة لخدمة هذه الإستراتيجية.

إن هذا الإجراء العملي الذي اتخذه السلطان الشهيد علي دينـــار بـــصدد تطهيـــر المجتمع المسلم السوداني وتنقيته من شوائب الفساد يعتبر مشروعاً استراتيجياً متقاطعاً مع المشروع الصهيومسيحي في بلاد المسلمين، متجاوزاً مفهوم حدود بلاده وإقليميتـــه أمر له دلالته وأبعاده من حيث شمول النظرة الإسلامية التي تمتع بها الـــسلطان علـــي دينار، ومن حيث الشعور بالواجب. وتدل اتجاهاته تلك على قراءته الذكية لمعطيـــات الواقع في محاولة جادة لإبطال المشاريع الاســـتغلالية الاســـتعمارية فـــي المنطقـــة.

وبذلك أثبت أنه أذكى من كل القيادات السياسية الآن التي تتسابق وتتبارى في إنفاذ المشاريع الغربية في السودان وفي أفريقيا وفي العالم العربي بدلاً عن إسقاطها والعمل على إفشالها.

ومنذ أن بدأ السلطان في إرسال المحمل سنوياً إلى الحرمين الشريفين لم يتأخر سنة واحدة. وأصبح يعين أميراً للمحمل كل سنة ويطلب من الحكومة الثنائية البريطانية تسهيل إجراءاته حتى يبحر من سواكن حيث يقول سنة 1321هـ: (إني قد وجهت الأفكار بإرسال الوقف للحرمين الشريفين وقد تجهز، والآن قادماً لأرض الحجاز المعين من ملوكنا المكرم صالح على ... فغاية الأمل ... يقوموا بواجبات سفره بكافة من معه وتحرروا له لمديرون المحطات بربر ولغاية سواكن .... ولا يأخذون منهم أجرة في ذهابهم وإيابهم)[13].

وحفاظاً على حسن العلاقة معه قامت الحكومة الثنائية البريطانية ظاهرياً مراعاة لشعوره بكل التسهيلات اللازمة للمحمل. وبالفعل قد عاد المحمل (ومن معه من المعنيين بالسلام)[14].

• **المبحث الرابع:-**

المحمل الدارفوري ودوره في إحياء النشاط الاقتصادي بين دارفور والحجاز

ولم يقتصر دور المحمل على الصرة والأوقاف التي تسدى إلى الحرمين بقدر ما كان يرمى من ورائه إلى أن يقوم بنشاط تجارى وتبادل اقتصادي يعتبر اتجاهاً أصيلاً في سياسة السلطان الشهيد علي دينار الخارجية. حيث أن تعدد المصادر والموارد من الأهداف الرئيسية في سياسة السلطان الشهيد. وهي سياسة اقتصادية رشيدة لأن البلد الذي يرهن اقتصاده لناتج نقدي واحد أو يتعامل اقتصادياً وتجارياً مع جهة واحدة يرهن

---

(13) على دينار إلى سلاطين في 6 رجب سنة 1321هـ (1903/10/6م) S.N.A. INTELL. 7/1/5

(14) على دينار إلى سلاطين في 1604/9/20م (27/جمادى الآخرة سنة 1322هـ) S.N.A.INTELL. 7/1/6

لها إرادته هو في مهب الريح. وتحت قناع المحمل ولكي يحمي تجارته الخارجية مـــن وطأة ضرائب الحكومة حين مرورها عبر أراضيها. لذا طلب من الحكومـــة الثنائيـــة البريطانية إعفاءه وطالبها بأن لا تفرض ضرائب على صادراته. وأن تسمح، له بحرية التجارة سواء في داخل أراضي الحكومة أو خارجها. وأن يترك تقدير الربح والخسارة والمكاسب الاقتصادية لقادة المحمل بقوله: (لنا أحد عشر قنطار سن فيل ونصف قنطار سن فيل وسبعة عشر مربوع ريش نعام وثلاثين نعام أسود وأربعة وثلاثين رطل ريش ريده مرسوله منا للحجاز ... تعطوهم تصريح بعدم تعرض أحد إليهم .... أن جماعتنا أن وجدوا أثمان السن والريش متحسنة بأم درمان ورغبوا مباعهـــا امنعـــوا صـــاحب الدخولية (الضرائب أو الجمارك) بحيث لا يأخذ منهم شيئاً .... وإن لم يوافقهم الـــثمن وتوجهوا بها للحجاز أعطوهم تصريح بعدم تعرض إليهم).[15] إن المحمل الـــدارفورى كان يمثل سفارة ذات تمثيل ضخم، سفارة بكل معانيها الثقافيـــة والروحيـــة والفكريـــة والاجتماعية والتربوية والإعلامية والسياسية والعسكرية والاقتصادية.

وتعدى دور المحمل النشاط الروحي والثقافي الكائن بنقل العادات والتقاليد والقـــيم وتبادل الآراء والمعارف إلى النشاط الاقتصادي الذي يقتضي تبادلاً تجاريـــاً واســـعاً. ثم النشاط العسكري الذي استدعي استجلاب الأسلحة وتوفير احتياجات السلطنة من هذا الجانب. فكان المحمل عبارة عن بعثة دينية وعلمية وتجارية وعـــسكرية واقتـــصادية ولعل ما يأتي من نصوص يلقي الضوء على هذه الحقائق حيث يطلب الـــسلطان مـــن الحكومة الثنائية البريطانية التسهيل للشيخ محمد ســـيماوي[*] قائـــد المحمـــل بقولـــه: (أن المحمل الشريف تعين من طرفنا ومرسول للحجاز برفقه مرسولنا محمـــد الـــشيخ سيماوي، ومن معه من الفقهاء وأولادنا وغيرهم لرغبتنا في سرعة تـــوجههم نرغـــب حال وصولهم الخرطوم سفروهم بوقتهم بالسكة حديد ويتحرر سواكن يـــركبهم علـــي

---

(15) علي دينار إلي مفتش عموم السودان في 1906/9/18م (18 شعبان سنة 1324هـ) S.N.A. Intell 7/1/8

(*) هو والد الشيخ علي محمد سيماوي شيخ معهد ام درمان الاوسط في فترة الستينيات من القرن الماضي حينما كنا طلاباً بالمعهد يومئذ وهو والد لاعب الكرة المشهور ومنزله الذي توجد به أسرته بالعرضة بأم درمان شرق سوق العرضة القديم وغرب مستشفى عوض حسين الحالي.

الوابور لجدة ولا يأخرهم)[16]. المحمل الدارفوري هو بعثة ثقافية على مستوىً عال حيث أشار السلطان الشهيد علي دينار إلى أن قيادة المحمل تحت إمرة الشيخ محمد سيماوي وبصحبته عدد من الفقهاء.

كما أن إشارة المحمل الشريف تحمل أبعاد القداسة للمقصود وهو البيت الحرام حتى سمي به القاصدون. ويلاحظ أن المحمل قد تضمن سفارة كاملة بشتى تخصصاتها من مسئول عن المحمل ومبعوث تجاري وبعثه توعية وإرشاد.

- **المبحث الخامس :-**

المحمل الشريف الدارفوري و الدور العسكري

أما النص التالي فيلقي الضوء على الجانب العسكري للمحمل حيث يقول السلطان الشهيد علي دينار (في المرة الأولى العرب البدو إن تعرضوا جماعتنا بطريق المدينة وضايقوهم ولأجل ما صار منهم أعطينا جماعتنا أسلحة نارية متوجهين بها لأجل حفظ نفوسهم .... وأيضا أعطوا مرسولنا محمد الشيخ سيماوي أمر كافي تأذنوه فيه بمشتري الأشياء التي تليق بنا ويكون من آلات السلطنة ويجدها هناك يشترى بها ويحضرها إلينا ولا يتعرض له فيها أحد بكافة جهات الحكومة).[17]

- **المبحث السادس :-**

تردي الأوضاع الأمنية والاقتصادية بالحجاز وإغاثة دارفور السنوية

النص السابق يلقي الضوء على الحالة الأمنية التي كانت تسود الحجاز والضنك وتردي الأوضاع الأمنية في تلك الديار. ويحكي عن الحالة التي كانت تسود هذه المنطقة قبل هيمنة الحكومة السعودية على منطقة الحرمين الشريفين وما جاورها، كما

(16) السلطان إلي السردار في 1906/9/8م (18 شعبان سنة 1324هـ) S.N.A INTELL 7/I/8
(17) علي دينار إلي سلاطين في 1906/9/8م (18 شعبان سنة 1324هـ).

يلقي هذا الخطاب الضوء على الدور المنوط بالمحمل الشريف لأداء دوره كاملاً بأن يقوم بحماية أفراده من بدو الجزيرة العربية قطاع الطريق الذين درجوا على نهب كل ما تحمله قوافل الحجيج وزوار البيت العتيق. وهي حالة أشبه ما تكون بحالة مجموعات النهب المسلح الآن في دارفور وفي شرق السودان في عهد المشير جعفر نميري الرئيس الأسبق جماعة (الشفتة) الأحباش الذين كانوا يهددون الطريق العام وحياة المواطنين بين بورتسودان وكسلا. ومما لا ريب فيه أن محمـلاً في عدديـة وأهمية محمل دارفور لابد أن يكون كامل الإعداد والعتاد. وذلك مما اقتضى السلطان أن يسلح أفراد محمله لضمان أداء المهمة الموكلة إليهم وللإيفاء بالالتزامات التي أوجبتها السلطنة في عهده على نفسها سيراً على نهج أسلافه. ولقد كان محمل دارفور ينوف على المائتين والخمسين شخصا[18]. مما يدل على عظم الجهد المبذول لأعداده من حيث النظام والإنفاق ووسائل النقل وتكاليف الزاد والحفاظ على سلامة أفراده، ولعبت الحكومة الثنائية البريطانية حفاظاً على حسن الجوار دوراً هاماً في مجال التسهيلات المطلوبة. حيث ذكر المفتش العام سلاطين باشا في خطاب للسلطان الشهيد علي دينار ما نصه: (أن رسولكم محمد الشيخ سيماوي أمير المحمل ومن معه من الفقهاء والمشايخ قد وصل وقابل سعادة أفندم السردار والحاكم العام وشاهد المحمل وكامل المعدات التي أرسلتموها .... وقد كتبت للحكومة بالخرطوم لمصلحة السكة حديد بأن يرحلوا الشيخ سيماوي ورجالكم .... إلي سواكن. أما السفر من سواكن إلي جده بحراً والحجاز ... أن الوابورات التي تنقل الركاب لا علاقة لها بالحكومة بل هي ملكاً لتجار وشركات أجنبية).[19]

---

[18] S.I.R 149/2. 4th. Nov .1906 .

[19] سلاطين إلي السلطان في 1906/12/3م S.N.A INTELL 7/3/7

• **المبحث السابع:-**

السلطان الشهيد علي دينار وتعدد مصادر استيراد السلاح لتقوية ترسانته

كان السلطان الشهيد علي دينار بعد شعوره بموقف الحكومة الثنائية البريطانية الحذر تجاه تزويده بما يحتاجه من سلاح قد ازداد حرصه على تعدد مصادر استيراد السلاح. ويبدو أن طلب الإذن الذي أشار إليه بحمل السلاح لحماية المحمل لم يكن صادراً عن غير قصد. بل إن الهدف من ذلك كله التمويه وجعل الحكومة تغفل جانب تفتيش الأسلحة. إلا أنها كانت حذرة تجاه علاقات السلطان الشهيد علي دينار بالحرمين الشريفين. وقامت بضبط كميات من الأسلحة تم استيرادها من أرض الحرمين الشريفين برفقة المحمل ويشير السلطان علي دينار في خطاب احتج فيه على إجراءات الحكومة السابقة ويفند مبررات الحكومة بقوله: (أن أتباعنا رفقاء المحمل المكي عادوا من الحجاز وأنهم أحضروا معهم عددا من الأسلحة النارية والجبباخين بدون معلومية الحكومة ... والحال عندنا أننا عند إرسال المحمل الشريف من هنا أخبرنا سعادتكم بمقدار الأثني قنطار سن فيل والريش الذي بيد المحمل، ولوثوقنا بالحكومة وثقتها بنا وكوننا حالة واحدة معها، وبالنظر أن عربان البدو قطاع طريق الحرمين الشريفين أمرنا أمناء المحمل أن يشتروا الأسلحة النارية من خالص حقنا ليحفظوا بها أنفسهم).[20]

هذا الخطاب تبدو فيه نعومة الخطاب الدبلوماسي. ويعكس مدى ذكاء السلطان الشهيد علي دينار وقدرته على المراوغة السياسية وإدارة اللعبة السياسية حسب مقتضى الحال وانه كان يعد نفسه لليوم الأسود ولكن بنفس طويل وبمدارة مدروسة، كما يقرر الخطاب السابق دور المحمل العسكري في تسليح السلطنة وتوفير احتياجاتها العاجلة من الأسلحة من ارض الحرمين الشريفين. ولم تكن الحكومة الثنائية البريطانية بدورها

[20] السلطان إلي سلاطين في 1907/9/23م (16 رمضان سنة 1325هـ) S.N.A. INTELL 7/I/9

غافلة عن هذا الدور. لذا لا غرابة أن بدأت من غير سابق إنذار بتفتيش المحمل بعـــد عودته من رحلة الحج ومصادرة الأسلحة المستوردة التي كانت بحوزة القادمين حتـــى تضيق الخناق على موارد السلطان الشهيد علي دينار الخارجية.وتكون الحكومة الثنائية البريطانية بهذا الإجراء الاحترازي قد أبطلت مفعول كثير من المحاولات الدارفوريـــة الرامية إلى تقوية سلطانها وترسيخ أقدامها وتمكين استقلالها.

وقام السلطان الشهيد علي دينار من جانبه بجهد ملحوظ بغية تخلـــيص الأســـلحة المصادرة والتي استجلبت من الحجاز. وتحت ضغط المطالبة وإلحاحها وافق المفـــتش العام سلاطين باشا النمساوي على إطلاقها[21]. إذن كانت المصادرة هي محاولة مـــن الحكومة الثنائية البريطانية لإشعار السلطان بأنه تحـــت المجهـــر والمراقبـــة التامـــة وأن تحركاته مرصودة. وينبغي عليه ألا يكرر تلك المحاولة أو ذات الأســـلوب مـــرة أخرى. وبذا تكون الرسالة قد وصلت إلى السلطان الشهيد علي دينار بـــصورة أكثـــر وضوحاً وجلاء بهذا الأسلوب الثنائي البريطاني المباشر.

يؤكد ما مضى أن دور المحمل كان أوسع مضموناً وأكبر وظيفة من أداء مجرد الفريضة وإنما كان يقوم بأدوار مزدوجة في آن واحد منهـــا رفـــع مـــستوى الحالـــة الاقتصادية لأهل الحجاز، وتحقيق قيمة التكافل الاجتماعي بمفهومها الذي يتجاوز حدود الإقليمية الضيقة والوطنية البغيضة إلى ميدان الإسلام الأرحب. هذه الأدوار كان يـــتم انجازها بإرسال صرة الحرمين. هذا بالإضافة إلى ما كان للمحمل من دور عـــسكري يلعبه بإتقان سبقت الإشارة إليه.

وشعر السلطان الشهيد علي دينار بتضييق الخناق عليه من قبل الحكومة الثنائيـــة البريطانية ومماطلتها لـــه في إمداده بما يحتاجه من عتاد وسلاح. ولم يكن تفكيره في فتح منافذ أخرى لاستيراد السلاح أمراً مقصوداً لذاته. بقدر ما دعتـــه إليـــه الحاجـــة والتفكير المستقبلي الجاد في توفير احتياجات سلطنته الحربية وخلق علاقات سياســـية ينتزع بها اعتراف القوى الإسلامية المحيطة. ويؤكد بها استقلال بلاده تماماً سواء من

---

(21) سلاطين إلي السلطان فى 1908/12/17م (15 محرم سنة 1326هـ) S.N.A.INTELL.7/3/9

الحكم الثنائي البريطاني أو غيره من القوى الاستعمارية الاستغلالية الأخرى التي بدأت تتمدد على حدوده الغربية، لأنه أصبح في فوهة نارين أحلاهما مر وبين فكي كماشة، الاستعمار الألماني والفرنسي في الغرب والإنجليزي في الشرق.

وفى سنة 1327هـ أنفذ السلطان الشهيد علي دينار المحمل الذي أصبح يعـرف في الدوائر الثنائية البريطانية (بالمحمل الشريف)[22]. إن هذا اللقب بهذا الشكل أضحى يضفي على المحمل هيبة ومكانة أراد بها السلطان الشهيد علي دينار أن يحمي تجارته الخارجية في ظلها. ويعكس هذا الاهتمام الدارفورى بالمحمل الشريف الذي يعتبر بحق بعثة دبلوماسية تقوم بدور هام في مجال العلاقات الدارفورية الحجازية.

وبلغت عددية المحمل سنة 1327هـ مائـة وخمسة وثلاثـون حاجـاً تحـت قيادة الشيخ محمد سيماوى. ووصل الخرطوم فـي 1909/11/15م. وسـواكن فـي 11/30/ 1909م[23].

• المبحث الثامن :-

المحمل الشريف الدارفوري و دوره الدبلوماسي

ويبدو أن علاقات السلطان الشهيد علي دينار الخارجية بالحجاز تجاوزت حـدود إنعاش الحالة الاقتصادية لكلا البلدين وتحقيق التكافل الاجتماعي في الحجاز إلى مائـدة النقاش والمفاوضة المباشرة مع الحسين بن على حول موقفه من تركيا العثمانية الأمر الذي حدا بالأخير أن يكتفي بالعبارة التالية في رده: (جناب صاحب دارفور الأعز علي دينار سلمه الله .... وصل كتابك ولولا حشمة حامله الشيخ محمد لم نجيب عليه وأمـا ما ذكر تحرر)[24]. هذا الكلام المقتضب وحدته غير المعهودة تعكس حقيقة مؤداها أن شريف مكة كان متورطاً في علاقته مع الحلفاء حتى النخاع، وأنه كان مخدوعاً حـال

---

[22] السلطان إلي سلاطين فى 1907/7/10م. S.N.A.INTELL. 7/1/ 9

[23] S.I.R. 184/ 4- 5,. Nov. 1909 .

[24] الحسين بن على إلي السلطان فى 1909/12/7م (25 ذو الحجة سنة 1327هـ)
S.N.A. INTELL. 2/3/12 .

كثير من القيادات العربية التي وقعت يومئذ في شباك المخطط العربي الأوروبي، تلك القيادات التي لا تعي عبر التاريخ فيما مضى وحالياً ولا تتعاطى مــع الواقــع بــذكاء ولا تملك المؤهل لاستشراف المستقبل بشفاهية. والآن ما يجرى في دارفور هو فصل من فصول الغباء السياسي والقراءة غير الذكية وغير الواعيــة لمفــردات الماضــي ومعطيات الحاضر وفق رؤية إستراتيجية واضحة المعالم بينة القسمات. وليت الشريف (شريف مكة) استيقظ يومئذ من غفوته وسباته العميق واستجاب لنداء العقل والعقيــدة والوطن الكبير والأمة والضمير وانحاز إلى معسكر السلطنة الإسلامية. ولكنه لم يفعل وانجرف مع تيار الكثرة الكاثرة والأغلبية المغفلة وظن أن خلف السراب مــاءً. شــأن كثير من قيادات العرب التي سقطت يومئذٍ في شراك خطط الغــرب وشــباكه شــأن ما حدث للقيادات الحالية في وقوعها في براثن الافتراء الصهيوأمريكي خلال حربــي أفغانستان والعراق. وفي قضية السودان الحالية قضية الساعة قضية دارفور حيث نجد أن الأحزاب السياسية في المعارضة الآن تتبارى في إرضاء أمريكا. ومن المعلوم أن أمريكا كلما تم لها التنازل عن بند قفزت إلى بند آخــر وفــق إســتراتيجية معلومــة، والمخطط الأمريكي هو مخطط مدروس يهدف إلى تقسيم السودان إلى أربعة أجــزاء أو خمسة أجزاء كما سبق وأن أشرنا إلى تلك الحقيقة المرة في أكثر من إصدارة. ولكن للأسف أن السياسيين سواء في السلطة أو في المعارضة السودانية لا يقرأون وإن قرأوا لا يفهمون. حيث أكدنا أن السودان هو مشروع دولة عظمى وغن اختطــف بعــضهم الفكرة وكأنه أتى بجديد مصرحاً بذلك في صحافة يوم 2007/5/29م. وهــذا الأمــر حقيقة بالنظر إلى إمكانات السودان ومدخراته التي فوق الأرض والتي تحــت الأرض وإنسانه المتميز عطاءً وتفكيراً لو وجد قيادة سياسية نزيهة ويقظة قادرة على العطاء.

هذه المحاولة الدارفورية غير المسبوقة هي في الواقع كانت ترمــي إلــى حــث للشريف بالتزام الجماعة ووحدة الصف الإسلامي بمراجعة علاقاتــه مــع الــسلطان العثماني – العاهل الأكبر للمسلمين آنذاك. وكان الهدف من كل ذلــك الوقــوف أمــام تحديات الغرب المسيحي الصهيوني في ديار المسلمين. مما يوحي بأن السلطان الشهيد

على دينار بكل المقاييس كان أكثر وعياً وذكاء من القيادات المعاصرة علـــى مـــستوى السودان بل على مستوى العالم العربي وهو أذكى من قيادات اليوم سواء في الخرطوم أو في دارفور أو في فنادق العـــالم أو حانـــات أوروبـــا. أو فـــي أنديـــة الماســـونية الصهيومسيحية مقابل دريهمات معدودات ودولارات تدفع بليل ويأخذها الرخيـــصيون ممن باعوا ضمائرهم وأوطانهم وإرثهم وقومهم لمخطط الغرب دون وعي وإدراك.

• **المبحث التاسع :-**

السلطان الشهيد علي دينار ودوره الإقليمي

ويبدو أن تحركات السلطان الشهيد على دينار قد تجاوزت حدود مملكتـــه. هـــذه التحركات لا يمكن بحال وبأي منطق أن تنسب أبدا إلى أطماع شخصية بقدر ما تعبـــر عن وعي عميق وقراءة صحيحة وتعطٍ متقدم مع الواقع. بل هي قد تجاوزت دون شك تلك الآفاق المحدودة الصبغة. وفى الواقع فان تلك السياسة في مجملها ترتفع بالسلطان الشهيد على دينار البطل القومي والإقليمي من حاكم محلى صـــغير متـــسلط - كمـــا تصوره مخابرات الحكم الثنائي البريطاني في بقية أنحاء السودان من خـــلال مخطـــط دسائس الاغتيال السياسي الشخصي- إلى طليعة زعماء العالم الإسلامي الذين أدركـــوا بوعي وبذكاء دون غيرهم ومنذ بدايات القرن العشرين طبيعة ما يتعرض له الإســـلام والمسلمون والوطن والمواطنون من أخطار من جراء التوغـــل الأوربـــي والتحـــرك الصهيومسيحي. فأهابوا بالمسلمين بضم صفوفهم والوقوف أمام ما يتهددهم من أخطار. وبينما كان اغلب الدعاة من أولئك النفر من بين رجال الفكر كالأفغاني ومحمد عبـــده أو رجال الحرب كعرابي ومحمود سامي البارودي، فان السلطان الشهيد علـــي دينـــار ينفرد عنهم بأنه سلطان سليل سلاطين ووريث مجد سلطنة تليدة. ومن هذا الجانب فلـــم يسبقه سوى محمد احمد المهدي وخليفته الذين تجاوز اهتمام دعوتهما حدود الـــسودان. ودعيا سائر المسلمين إلى الهبة الكبرى أمام فساد الحكم التركي واستخدما بذكاء ادعاء المهدية في استنهاض همم الجماهير واستثمرا الإرث الصوفي في هذا الجانب.

• المبحث العاشر :-

المحمـــل الـــشريف الـــدارفوري ودوره الاقتـــصادي والثقـــافي والاجتماعي في الحجاز

نلاحظ بعد مكاتبة السلطان الشهيد علي دينار لشريف مكة حاثاً إياه على الانحياز إلى صف الجماعة المسلمة والانضواء تحت راية السلطنة العثمانية بدلاً من الانحيـــاز إلى صف الحلفاء الصهيومسيحيين الذين لا يُؤمن لهم جانب، والـــذين لا عهـــد لهـــم ولا ذمة وقيام شريف مكة بالرد عليه بأسلوب يفتقد إلى أدنى بروتوكولات الدبلوماسية والحنكة والأدب السياسي فقد توقف إرسال المحمل بعدئذ لأكثر من عامين. ربما كـــان ذلك لسوء العلاقة الدارفورية الحجازية نتيجة لسوء التفاهم الذي تعكسه العبارة السابقة الصادرة عن شريف مكة دون اعتبار منه لعمق العلاقة التاريخية التي تربط السلطتين الزمنيتين في كل من دارفور والحجاز. أو لربما نتج ذلك عن سوء الحالة الاقتـــصادية في دارفور نسبة لظروف الحرب الدارفورية الفرنسية التي اســـتنزفت جهـــد الـــبلاد وطاقتها وأنهكت اقتصادها. وقد يكون السبب غير هذا أو ذاك حيث لا تكشف المصادر بوضوح وجلاء النقاب عن ذلك بتفصيل. وما مضى من استنتاج لا يعدو عـــن كونـــه استنطاقاً واستخلاصاً بل استقراء على وثيقة تالية تبينه. ويطلب السلطان الشهيد علـــي دينار من الحكومة الثنائية البريطانية تسهيل مهمة المحمل الشريف وتهيئـــة الظـــروف أثناء عبوره[25].

وبالفعل وصل المحمل الشريف تحت إمارة الشيخ محمد سيماوى إلى الخرطـــوم وتوجه من ثم إلى سواكن[26].

وظلت العلاقات الدارفورية الحجازية قائمة على أساس التبادل التجاري والثقافي. وشكلت دارفور لفترة طويلة من الزمان مصدراً اقتصادياً هامـــاً للحجـــاز. وأضـــحى

---

[25] السلطان إلى سلاطين 1631/8/9م (15 شوال سنة 1331هـ) S.N.A.INTELL. 7/2/15

[26] سلاطين إلي السلطان فى 1913/10/16م S.N.A.INTELL. 7/3/14

الحجاز بدوره مورداً هاماً لتزويد دارفور بالسلاح. وكانت هذه العلاقة بين دارفور والحجاز علاقة متميزة وعلى قدر من المتانة وثق عراها الرابط العقدي. ولعل ما مضى يمكن إدراكه في ضوء المعطيات التالية:- حيث كان المحمل الشريف يشكل وفد دارفور السنوي المنتظم لأداء الشعيرة الإسلامية سنوياً تحت إمرة يختارها السلطان بنفسه. ويوكل أمرها إلى أكثر الناس ثقة عنده واحتراماً لدى أعضاء الوفد. وفى الوقت ذاته كان هذا المحمل الشريف يمثل دفعة اقتصادية هامة للحجاز بما يحمل من بضائع وهدايا ومبالغ لرفع المستوى الفردي والرسمي في الحجاز كما تقدم.

ولئلا تقف الحكومة الثنائية البريطانية تارة أخرى حجر عثرة في وجه سياسته العسكرية الرامية إلى بناء ترسانته الحربية. طلب السلطان الشهيد علي دينار من الحكومة الثنائية البريطانية السماح لرسوله بشراء أسلحة وجبخانة من جدة[27]. هذا الطلب يعكس توجهاً جديداً فبعد أن كان القصد من شراء السلاح هو لحماية القافلة من بدو الحجاز أصبح الطلب يأتي في صورة مباشرة وغير مبررة.

هذا الخطاب بدوره يلقي الضوء على دور العلاقة الدارفورية الحجازية في تزويد سلطنته بالسلاح اللازم. وبذا أصبح الحجاز منفذاً جديداً عله يعوض مماطلة الحكومة الثنائية البريطانية في إمداده بما يحتاجه. وتعكس تلك المحاولات المتكررة التي لا تعرف اليأس بُعد نظر السلطان الشهيد علي دينار ورؤيته المستقبلية ومدى قدرته على الإمساك بكل خيوط لعبة العلاقات بيده في آن واحد لبلوغ أهدافه وغاياته.

ويبدو أن العلاقة الدارفورية الحجازية قد شهدت تحسناً ملحوظاً خلال هذه الفترة. حيث أن وجود هدايا متبادلة بين الطرفين تؤكد على ذلك[28]. وهذه السياسة من قبل السلطان الشهيد علي دينار تؤكد على مرونته وأنه لم يكن أحادياً في توجهه السياسي إذ لم تقتصر الألوان عنده على أبيض وأسود شأن كثير من الأنظمة الشمولية أو ذات الحزب الواحد من قبائل البعثيين والاشتراكيين والطائفيين والعلمانيين والإسلاميين

(27) السلطان إلي سلاطين فى 1914/4/23م (27 جمادى الأولى سنة1332هـ) S.N.A.INTELL.7/4/1
(28) على دينار إلى مدير المخابرات فى 1914/11/25م (11/ محرم سنة 1333هـ) S.N.A.INTELL 2/3/13

الجدد تلك المجموعات التي تنظر بعين واحدة. إذ ينبغي على القيادة السياسية الواعيـة أن تملك القدرة على التعاطي مع الواقع بواقعية وإيجابية وان تعالج الموضوع الواحـد بأكثر من عين وزاوية، دون تفصيل سابق للمواقف. والـسياسي النـاجح هـو الـذي يتصرف في حدود الممكن بما يمكن لصالح أمنه ووطنه بعيداً عن مصالحه الشخصية.

ولقد كان للسلطان الشهيد علي دينار صلة قوية بالأغوات ونفوذ قوي بينهم. وكان دوره بارزاً في تهدئتهم في لحظات ثورتهم على شرف مكة أو شريف المدينة المنورة حيث يلاحظ انه في سنة 1333هـ قام بإرسال خمسة خطابات إلى مـستلم الحـرمين الشريفين والأغوات يطلب فيها من الأغوات الانصياع التام و الإخلاص فـي خدمـة الحرم الشريف[29].

كما يبدو أن الصلة بين الأغوات وسلاطين دارفور صلة قديمة حيث سبق أن أكد السلطان إبراهيم قرض على هذه الحقيقة. وقام السلطان إبراهيم قرض آخر سـلاطين دارفور قبل سقوط السلطنة سنة (1874م) بإرسال مجموعة من الأغوات لخدمة كـل من الحرم المكي والمدني[30].

وكان السلطان الشهيد علي دينار من جانب آخر يشعر بوجـوب الإنفـاق علـى هؤلاء الأغوات. وفى الوقت ذاته كانوا في مكة والمدينـة سـلطة وشـعباً وحجاجـاً ينتظرون محمله بفارق الصبر. وقد تستغرب الأجيال الشابة الآن من السعوديين ممـن نشأوا في ظل النعيم بعد استخراج البترول من هذا الكلام بيد أن الكبار مـن الـشيوخ من ساكني جزيرة العرب في الحجاز ونجد وفي جنوب المملكـة العربيـة الـسعودية أو في اليمن يحكون القصص والحكاوي النادرة والطريفة عن تلـك الأيـام الخـوالي بصدق وكيف أن السودان كان للكثيرين منهم مهجراً بقصد التجارة وتحصيل الأرزاق وان السودان كان بقرةً حلوباً بسخاء دون منٍ أو أذى. انبعاثاً من هذا المنطلق الأوحـد الأمثل قام السلطان الشهيد علي دينار سنة 1333هـ بالاعتذار اللطيف إلـى الـشيخ

[29] السلطان إلي الشيخ عبيد الحمدى فى 1914/11/25م (11محرم سنة 1333هـ) S.N.A.INTELL. 2/3/13.

[30] دار الوثائق القومية المصرية 1/3/104.

عبيد الحمدى من أولاد الشيخ بخيت مقوم المسجد النبوي عن تأخير إرسال المحمل وصرة الحرمين مشيراً إلى سوء الحالة الاقتصادية في بلاده وشحها ويبدي اهتمامه وقلقه لما يدور في بلاد الحرمين من حركات وفتن ويعد بأنه سيرسل (ما يجبر خاطركم ويشرح صدوركم عند حضور محملنا)[31].

هذا الخطاب ذو أهمية بالغة في مجال العلاقات الحجازية الدارفورية حيث يكشف النقاب عن طبيعة هذه العلاقة كما انه يعطي قراءة اقتصادية صحيحة لمنطقة الحجاز في الربع الأول من القرن العشرين التي كانت تنتظر محمل دارفور بفارق الصبر. وقد استنكر أحد الأساتذة المناقشين لبحثنا قبل أكثر من عشرين سنة عن سياسة دارفور الخارجية وهو من السعوديين النجديين وممن نشأوا في كنف النظام السعودي الحالي بعد استخراج البترول بسنوات عديدة وتمتع المملكة العربية السعودية بوضع إقتصادى مميز. استنكر وردد هذه العبارة التي أوردناها في بحثنا يومئذٍ بهذه الكيفية متعجباً ومستنكراً قائلاً: كيف ينتظر أهل الحجاز محمل دارفور بفارق الصبر؟ وهذا ما أكدته الوثائق وهي أصدق برهان وحجة تاريخية على الإطلاق ولكنه مقدور في تقديري. ذلك لأنه قد تفتحت عيناه على دولة بترولية لم تنعم في الواقع بما نعمت به إلا بعد عقد الستينات في القرن العشرين ولكنها كانت قبلِ ذلك دولة فقيرة يغترب أبناؤها في السودان ويضربون في الأرض في طلب المعاش وجلب الضروري من المعاش. وفى ذات الوقت يلقي هذا الخطاب الضوء على سياسة السلطان علي دينار الخارجية. ولم يكن السلطان يومها على وفاق مع السياسة العربية القاضية بالخروج على الدولة العثمانية. إذ كان يعتبرها رمزاً إسلامياً لابد من وجوده. وفى الوقت نفسه لم يكن غافلاً عن حركة الأشراف في مكة والمدينة. ولم يخف قلقه واهتمامه الزائد بما يدور في هذه الديار من صراع واضطرابات وقلاقل. الأمر الذي يلقي الضوء على بعد نظره وعمق تفكيره لأنه لم يكن على وفاق مع السياسة الأجنبية في البلاد الإسلامية. ولعله كان ينظر إلى الأمر من باب أهون الشرين لأن الاستعمار مهما اختلفت وجهات النظر

---

[31] على دينار إلي الشيخ عبيد الحمدى فى 1914/11/25م (11 محرم سنة 1333هـ).
S.N.A.INTELL.2/3/13 .

حوله قديماً وحديثاً فهو شر محض لا ينخدع بأطروحاته إلا مغفل متخلف عقلياً وغبي أبله ولا ينجرف وراء وعوده إلا متبلد الحس السياسي، قصير النظر أو عميل خبيـث كما هو الحال الآن على مستوى العالم الإسلامي والعربي الأفريقي. وبقراءة سـريعة لخارطة العالم الإسلامي نرى بقعاً سوداء يجسدها كثير من هؤلاء السياسيين والمفكرين والقادة الذين شكلوا أقدار شؤم وأضحوا نذر انحطاط لهذه الشعوب وتلكم الأمم فكـانوا كالغربان حيث قادوا أممهم وشعوبهم إلى حتفها بظلفها دون وعـي أو رشـد قاصـد. وأي قارئ حصيف لمفردات التاريخ الحديث والمعاصر يدرك صوابية توجه الـسلطان الشهيد علي دينار لأنه مهما كان سوء النظام القائم على أكتاف أبناء الملة والوطن لهو أهون شراً من الاحتلال فمما لا شك فيه أن نظام صدام حسين في العراق لم يكن جيداً ولا قريباً من ذلك. فكان نظاماً فردياً استبدادياً يجسد نظام الحزب الواحد ونظام الحكم الشمولي الذي يضيق ذرعاً بالآخر وبرأيه. وقد قام بقتل كثير مـن معرضـيه ظلمـاً وعدواناً ولكن بالرغم من ذلك فإن الأرواح التي أزهقت بعد مجيء النظام الأمريكـي الصهيومسيحي والتي تزهق يومياً عشرة أضعاف ما حدث في عهد صدام حسين.

ففي الشمال أقام السلطان الشهيد علي دينار علاقة طيبة مـع القـوى الإسـلامية الوطنية ضد الاحتلال الأجنبي. وفي بلاده كان يعد العدة للانفـلات مـن قيـد ربقـة السيطرة الأجنبية البريطانية. وفي الحجاز كان يحث القوى الوطنية علـى الانـصياع للقيادة المحلية. ولعله بذلك أراد أن يفتح حواراً مفتوحاً مع هذه القوى الوطنيـة إلا أن ذلك لم يأت ثماره كما تقدمت إشارة الحسين بن علي في عدم رده على السلطان الشهيد علي دينار. لأنه كان قد تورط مسبقاً ولطخ يديه بالتعاون مع الحلفاء فأصبح تخليـصه من قبضتهم شبه مستحيل كما هو الحال الآن مع القوى الإقليمية والمحلية التي وقعـت في ربقة فك القوى العظمى فأضحى أمامها حل واحد ألا وهو الانصياع المطلق لمـن دفعوا لها بليل أو في غرف مظلمة علـى حـساب أوطانهـا وشـعوبها وضـمائرها وموروثها الروحي والأخلاقي. فقام هؤلاء الخونة المرتزقة مـن القيـادات العربيـة والإسلامية والأفريقية بتسليم المخلصين من أبناء أمـتهم لهـؤلاء الغـربيين الـذين لا يرقبون إلاً ولا ذمة في مسلم أو وطني غيور، وأضحوا شرطة للقوى العظمى فـي

بلادهم ويقومون بدور الجلادين لشعوبهم لمصلحة المشروع الصهيوني الأمريكي والغربي في بلادهم مقابل بقائهم في سدة الحكم فباعوا ضمائرهم ووطنيتهم ومصلحة بلادهم مقابل دريهمات معدودة فبئس الثمن وبئس القابض وبئس الدافع والمتآمر على أمتنا وموروثاتنا الحضارية والدينية والأخلاقية والسلوكية. وقام السلطان الشهيد علي دينار بإرسال خطاب بنفس المعنى إلى مستلم الحرم المدني وشيخ الأغوات محمد سرور يشكرهما فيه على وصول الهدايا المرسلة مع الشيخ محمد سيماوى. ويعتذر له عن عدم إرسال المبالغ السنوية لانعدام النقد ببلاده. هذا بالإضافة إلى عدم أمن الطريق وقيام الفتن والحركات (والشواشر) و إن شاء الله ما دمنا على قيد الحياة يصلكم منا ما يجبر خاطركم ويشرح صدوركم)[32].

• **المبحث الحادي عشر:-**

المحمل الدارفوري يهدد المشروع البريطاني في المنطقة

بدأت الحكومة الثنائية البريطانية تشعر بقوة الرابطة الدارفورية الحجازية وأدركت خطورة الدور الدارفورى في الحجاز. ولم تغفل أثر ذلك على السياسة الاستعمارية في البلاد العربية على وجه العموم والسودانية على وجه الخصوص وهذا ما يوضحه نص الفقرة التالية الواردة في تقرير المخابرات البريطانية:

أما السلطان فقد اتخذ من المحمل ذريعة للاتصال بالقوى الإسلامية في المنطقة وأراد بناء سياج وطني في وجه القوى الاستعمارية. فبدأ يكتب خطاباته إلى الأغوات وشريف مكة بغية إثارتهم وتوحيد جهودهم وانحيازهم إلى القوى التركية التي تمثل الإسلام وتحمى بيضته. وانطلاقاً من خطورة هذا الموقف بدأت المخابرات الثنائية تنسج خططها القاضية بتفتيش المحمل في سواكن تفتيشاً دقيقاً. ومن ذلك خطاب أرسله نائب مدير المخابرات إلى المفتش بسواكن يفيده بأن وفد علي دينار قادم إلى سواكن وعلى حسب تعليمات الحاكم العام يطلب التسهيلات لهم مع تفتيشهم تفتيشاً دقيقاً وغير

(32) السلطان إلى مستلم الحرم النبوي وشيخ الأغوات سنة 1332هـ S.N.A.INTELL. 2/3/13

ملفت لانتباههم وخداعهم بأن التفتيش جمركي فقط[33]. بهذا يمكن القول بأن الحكومـــة الثنائية البريطانية كانت تلعب مع السلطان الشهيد علي دينار لعبة القط مع الفأر.

ولم يكن إحساس الحكومة الثنائية البريطانية بهذا الخطر كاذبـــاً كمـــا لـــم تكـــن الاستنتاجات السابقة ظنية. الأمر الذي يكشف النقاب عن سوء التفاهم الذي حدث بـــين السلطان علي دينار والشريف حسين بن علي في عبارته السابقة والتي لم تزدنا تفصيلاً على كلماتها المقتضبة وعلى ضوئها تم إغلاق باب الحوار بين الطرفين لفتـــرة مـــن الزمن. ففي 1915/5/30م، ورد خطاب من المفتش بسواكن يفيد بأنه قد عثـــر علـــى خطابات من على دينار ونداء يحث فيه المسلمين على الجهاد في سبيل الله بالدم والمال ويدعو فيه إلي تأييد السلطان التركي. ومن ضمن هذه الخطابات خطاب موجـــه إلـــى محمد سرور أغا وآخر إلى شريف مكة إضافة إلى النداء المذكور[34].

كل ذلك يبين أن دور السلطان الشهيد علي دينار كان فاعلاً لاسيما في علاقته مع الحجاز. وكانت سياسته إيجابية إلى أبعد الحدود. وقد تولى في تلك الفترة الحرجة من تاريخ العالم الإسلامي والعربي والأفريقي عبء المسؤولية التاريخية الواقعـــة علـــي عاتقة والمتمثلة في الدعوة إلى وحدة الصف المسلم في المنطقة. وندب نفسه بجـــدارة إلى تسوية الخلافات بين أبناء الأمة الإسلامية وتشجيعهم لطرح الخلافات ونبذ الفرقـــة والالتفاف حول قيادة إسلامية واحدة. وشكل ذلك السعي الحثيث مـــن قبـــل الـــسلطان الشهيد علي دينار لبلوغ هذه الغاية شطراً كبيراً من سياسته الخارجية. ففي السودان فقد اتصل بالشيوخ والأعيان والقيادات الإسلامية داخل الأراضي الثنائية البريطانية بغيـــة توحيد جهودهم وإثارتهم ضد الحكم الأجنبي البريطاني في البلاد. أما في الحجاز فقـــد قام بمجهودات كبيرة لتوحيد الأطراف المختلفة ذات الـــوزن والثقـــل الـــسياسي فيهـــا للوقوف بجانب الخلافة الإسلامية. هذا رغماً عما اعتور السلطنة العثمانية من ضـــعف وسوء إدارة. إلا أنها كانت تمثل رمزاً للوحدة الإسلامية في نظره.

[33] نائب مدير المخابرات إلى مفتش سواكن فى 1915/5/26م 16/ شعبان سنة 1333هـ
S.N.A.INTELL. 2/3/13

[34] مفتش سواكن إلي نائب مدير المخابرات فى 1915/5/30م S.N.A.INTELL. 2/3/13

ومما لا شك فيه أن هذه السياسة بأبعادها تلك ظلت تشكل خطراً جسيماً على القوى الاستعمارية بمختلف مدارسها ومسمياتها في المنطقة الإسلامية بأثرها. لذا لا عجب أن عملت على وأد هذه الجهود في مهدها وسارعت إلى كفكفة أطرافها وحسر آثارها الإيجابية. الأمر الذي يؤكد على أن سياسة السلطان الشهيد على دينار واتصالاته الخارجية بدت تشكل خطراً على السياسة البريطانية في المنطقة وعلى موقف الحلفاء في الحرب الأوروبية الأولى (1914-1918م).

وبدأت الحكومة الثنائية البريطانية من جانبها تجند عقليات مخابراتها لوأد هذا الاتجاه بعد إدراكها لخطورته وأبعاده. فبدأت أولاً بإجراء تحقيقات صارمة مع رسل السلطان ومبعوثيه. وأضحت ثانياً تفتش قوافله الذاهبة والآيبة[35].

- **المبحث الثاني عشر:-**

المحمل الدارفوري وتنسيق المواقف لخوض الحرب لصالح المشروع الإسلامي في المنطقة

إن هذه السياسة الثنائية البريطانية آتت ثمارها العاجلة لاسيما إذا علمنا أن الجانبين الدارفورى والحجازي أدركا خطورة الموقف فألغيا من الاعتبار الرسائل الكتابية. واستخدما بدلاً من ذلك الرسائل الشفاهية. وبدأت المخابرات الثنائية البريطانية تتخذ كافة التدابير للقضاء على سياسة السلطان القاضية بالإتصال بالقوى الوطنية الإسلامية في المنطقة وإثارتها ضد السيطرة الاستعمارية على مقدرات وثروات الأمة الإسلامية. وحثها على الوقوف بجانب رمز الوحدة الإسلامية تركيا العثمانية.

لذا قامت الحكومة الثنائية البريطانية بالتحقيق مع الحاج على كنجارا الذي كان يصحب مجموعة الأغوات - وهم الخصيان الذين يعملون في الحرمين - من الفاشر إلى المدينة. وتم حبسه رهن التحقيق بعد رجوعه من الحجاز وتم حبسه بسجن بورتسودان وهو يحمل رسالة شفهية إلى السلطان الشهيد على دينار من قبل متسلم

[35] السكرتير الخاص إلي نائب مدير المخابرات فى 1915/12/20م S.N.A. INTELL. 2/3/13

الحرم النبوي الشريف[36]. يبرز هذا السلوك ذكاء ودهاء السلطان الشهيد على دينـــار ومدى قدرته على تجاوز العقبات والتعاطي مع الواقع بفاعلية.

هذه الإشارة السابقة بتفاصيلها تؤكد أن دارفور كانت مصدراً هاماً للأغوات وأن السلطان الشهيد علي دينار سار على نهج سلفه بتزويد الحرمين الشريفين بخدامه. ولقد ظلت مفاتيح التأثير علي هذا الوجود المعتبـــر مـــن الأغـــوات بـــالحرمين الـــشريفين بيد سلاطين دارفور دون غيرهم فحاول السلطان الشهيد على دينار استثمار هذا الجانب لصالح المشروع الإسلامي الكبير مقابل إبطال المـــشروع الاســـتعماري الاســـتغلالي في المنطقة.

وتوضح أيضا أن السلطان الشهيد علي دينار لم يأل جهداً فـــي الاســـتفادة مـــن علاقاته الخارجية بالحجاز. ولم يقتصر جهده القاضي بتأليب كل القوى ضد المخطـــط الاحتلالي الاستعماري في المنطقة على حـــدود بـــلاده أو أراضـــي الحكـــم الثنـــائي البريطاني. وإنما بذل قصارى جهده لكسب الأشراف إلـــى صـــف القـــوى التركيـــة الإسلامية. وحاول أن يستفيد من صلاته الطيبة بالأغوات بغية التأثير على أصـــحاب القرار السياسي في الحجاز. بيدُ أن الأمر كما يبدو كان أكبر من مجهوداته المحـــدودة. فقد وقع معظم هؤلاء القادة في العالم الإسلامي – إلا من رحم الله وهم قليل - في ربقة المخطط الأوربي دون وعي بعض منهم بعمالة ورغبة وآخر بجبن ورهبة وثالث بغفلة وغباء، وبالتالي فان السلطان الشهيد علي دينار مهما يكن من أمر فهو أذكى من كـــان ببلاده يومئذ. بل أذكى وأكثر وعياً من كثير من قيادات دارفور والسودان ممن يدعون الثقافة والمعرفة من خريجي مؤسسات لندن وباريس وواشنطن الأكاديمية بـــل يفـــوق كثيراً من قيادات المنطقة العربية والإسلامية والأفريقية الحالية.

وكان الحجاز من جانب آخر يمثل نقطة التقاء لمستشاريه مع رجـــالات الـــبلاط التركي. الأمر الذي سمح له بتبادل وجهات النظر معهم. بهذا لم تكن طـــرابلس هـــي

[36] نائب مدير المخابرات إلي السكرتير الخاص فى 1915/12/20م (8 ربيع الأول سنة 1334هـ)
S.N.A. INTELL. 2/3/13

الوسيط الوحيد لتقوية علاقاته بالأتراك وإنما كانت مكة بمؤتمرها الجامع الذي يؤمه الناس من كل حدب وصوب فرصة مناسبة للالتقاء بالعثمانيين[37].

لقد أرهبت سياسة السلطان الشهيد علي دينار الخارجية واتصالاته المباشرة بالحجاز القوى الإنكليزية في المنطقة. ولوحظ أن السلطان الشهيد علي دينار دائماً كان لا يبعث على رأس وفد بلاده إلى الحجاز أي شخص سوى مستشاره الخاص الشيخ محمد سيماوى. الأمر الذي له دلالته السياسية ومغزاه الموضوعي من حيث محتوى تبادل الرسائل الكتابية والشفهية التي لا يوثق بشخص آخر لإيصالها واخذ ردها سوى هذا المستشار القدير والشيخ الوقور. وقد وردت إشارة الحسين بن علي صريحة لإيضاح هذا الأمر. حيث أجبرته هيبة وسمت الشيخ علي محمد سيماوي مبعوث السلطان الرسمي ورئيس المحمل الشريف أن يقوم بالرد المقتضب السالف.

ويبدو أن الشيخ محمد سيماوى كان ممثلاً دبلوماسياً بارعاً وسفيراً ممتازاً. وفي الوقت ذاته كان يتمتع بمكانة علمية مرموقة الأمر الذي أهله لأن يكون المبعوث الخاص والدائم للحجاز. وأصبح أهلاً لثقة الطرفين. لقد أخاف ذلك السلطات البريطانية في الحكم الثنائي البريطاني. وخشيت من تردد هذا الشخص على الحجاز دون أن تتمكن مخابراتها من الحصول منه على معلومات تتعلق بطبيعة العلاقات الدارفورية الحجازية طيلة فترة توليه السفارة بين البلدين[38].

وكان السلطان الشهيد علي دينار يتمتع بالمعية أهلته لاختيار عناصر مقتدرة مناسبة لإدارات معينة، أعطاها ثقته فلم تأل جهداً في خدمته والقيام بأدوارها على أحسن وجه.وهذه صفة قيادية هامة قليل ما هم من يمتلكونها وهي موهبة توفر الجهد والمال والوقت أعني وضع الرجل المناسب في المكان المناسب.

كانت هناك صلة وثيقة بين سياسة السلطان الشهيد علي دينار الخارجية وإرساله المحمل للحرمين الشريفين وما يدور في الرقعة الإسلامية على وجه العموم. حيث

---

(37) S.I.R.290/5 march 1916

(38) الحاكم العام إلي اللورد كتشنر ووزارة الحربية فى 1916/4/24م D.S.A. BOX.128/5

يقول في خطاب بعث به إلى السلطان محمد رشاد العثماني: (لقد اعتدنا على إرسال المحمل سنوياً إلى الحرمين الشريفين هدية لخدمة الحرمين الشريفين. ولقد درجنا على النصح والتعليمات لرأس المحمل أن يقوم بالاتصال بكم في الحج ولكن الإنكليز درجوا على تعيين جواسيس يراقبون تحركات رأس المحمل ذهاباً وإياباً. ومنذ سنة 1318هـ اعتدنا على إرسال المحمل سنوياً أو كل سنتين في بعض الأحيان من غير انقطاع)[39].

ما ورد من إشارة في هذا الخطاب عله يفسر انقطاع المحمل لمدة سنتين في أيام الشريف الحسين بن على – ربما لسوء الأحوال الاقتصادية أو التشدد من قبل الحكومة الثنائية البريطانية في تفتيش المحمل ذهاباً وإياباً.

- **المبحث الثالث عشر :-**

الوظائف الحيوية للمحمل الشريف الدارفوري

ويبرز الخطاب السابق دور المحمل والصلة الوثيقة بينه وبين السياسة العثمانية في المنطقة. فلم يكن الوفد الدارفوري المكون للمحمل مهمته أداء الفريضة فحسب بقدر ما كان منوطاً به أدواراً أخرى منها **أولاً**: أداء أموال لتوزيعها على فقراء العاصمتين المقدستين، **ثانيها**: إيصال صرة الحرمين الشريفين إلى شريفي مكة والمدينة لتصريف أمورهما. **ثالثها**: أداء أموال إلى متسلم الحرم الشريف النبوي والمكي توزع على الأغوات. **رابعها**: إجراء مفاوضات سياسية مع شريفي مكة والمدينة لتنسيق المواقف وتوحيد وجهات النظر بصدد الحرب الأوروبية الأولى ومدى إمكانية الانحياز إلى تركيا بدلاً من الانحياز إلى القوى الأوروبية الغادرة. **خامسها**: الالتقاء برجالات البلاط العثماني وإن أمكن الخليفة العثماني نفسه لتبادل وجهات النظر حول مستقبل المنطقة وتدارس الأخطار المحيطة بديار الإسلام من وجهة النظر الإسلامية واتخاذ التدابير الكفيلة لدرئها.

---

(39) السلطان على دينار إلى السلطان العثمانى محمد رشاد 1916/4/1م (8 جمادى 1335هـ)
D.S.A. Box. 128L5.

• **المبحث الرابع عشر :-**

السلطان الشهيد علي دينار و محاولة التأثير على السلطة الزمنية بالحجاز

وكان السلطان الشهيد علي دينار يشعر بأنه مسئول عن القيام بهذا الدور نيابة عن الدولة العثمانية. لذا كانت محاولته للتأثير على القوى صاحبة القرار في الحجاز. بيد أن القوى الأجنبية كانت محيطة به إحاطة السوار بالمعصم فعملت جاهدة على وأد كل جهوده الرامية إلى الاتصال بالقوى الإسلامية في المنطقة. وإبطال مفعول إثارتها ضد الوجود الاستعماري في البلاد.

ولقد أدركت القوى الاستعمارية المعادية للسياسة العثمانية والمناهضة لها دور القوى الوطنية ذات الميول الإسلامية الواضحة. وأدركت أن من أبعاد السياسة العثمانية وحدة الأمة الإسلامية وقهرها للعدو الجاثم على صدر بعض البلاد الإسلامية. وفى الوقت ذاته فإن السياسة الاستعمارية لم تسقط من حسابها التأثير على اتجاهات بعض القوى الوطنية في البلاد العربية لاسيما الحجاز.

ولإدراك السلطان الشهيد علي دينار لخطورة الموقف وشعوره بأهمية الوحدة الإسلامية لذا ما أن أعلن الحرب ضد الوجود الإنكليزي في البلاد حتى أعلن انحيازه التام للجانب العثماني وقام بالاتصال بالحجاز عن طريق الرسائل الكتابية والشفهية. بيد أن هذه الاتصالات لم تؤت ثمارها لأن اللعبة الاستعمارية في المنطقة كانت بحاجة إلى جهود وطاقات وإمكانات أكبر متضافرة. وكان مجهوده محاطاً بتدابير محكمة ومدروسة، علماً بأن طاقاته محدودة، وإمكانات بلاده موثقة بحدود بلاده. لاسيما وأن القوى الوطنية في الحجاز كان قد تم استيعابها واستقطابها من قبل القوى الاستعمارية في المنطقة. لذا لا غرابة أن فكر الحاكم العام في إقصاء السلطان الشهيد علي دينار في حالة استسلامه إلى مكة. هذا بعد ورود أخبار بأنه قد عزم على الاستسلام. وذكر الحاكم العام في معرض حديثه أنه مشغول خلال هذا الأثناء بإشعال نار التمرد في

الجزيرة العربية ضد العثمانيين على شكل ثورة يكون رأسها شريف مكة وقد نجح الحاكم البريطاني في ذلك[40]. ولعل هذه الإشارة من قبل الحاكم العام في السودان في تلك الفترة الحرجة من تاريخ أمتنا العربية والأفريقية والإسلامية تلقي الضوء على بعض أسرار اللعبة الانكليزية الكبرى في المنطقة العربية والأفريقية، وكيف أن كثيراً من القيادات والزعامات العربية والإسلامية كانت دون المستوى من حيث التفكير والتخطيط وأنها قد وقعت فريسة سهلة في شباك الخطط الاستعمارية بدون وعي وإرادة منها. وان شعار اليقظة العربية كان ستاراً لسوأة الاستعمار الاستغلالي لهذه البلاد وتلك الشعوب وتجييراً للحقائق وتزويراً للتاريخ وما أشبه اليوم بالبارحة وليت القادة والمفكرون وحملة الأقلام يستيقظون من سباتهم وغيبة وعيهم. يبدو أن القضية كانت قضية تسابق على العاصمة المقدسة قبلة المسلمين. وتدل سياسة السلطان الشهيد علي دينار الخارجية تجاه الحجاز على بعد نظره ووعيه وإدراكه لمعطيات فترته. حيث اتجهت أنظاره إلى هذه الديار ومنذ فترة مبكرة بغية كسبها إلى جانب الصف الإسلامي. بيد أن جهوده لم تنل حظها من النجاح لمحدودية إمكاناته ووقوع منافذ اتصاله تحت سيطرة الحكم الثنائي البريطاني. ويكشف خطاب ونجت باشا السابق وإشارته هذه إلى أن الحركة العربية أو الثورة العربية الكبرى أو سمّها النكسة العربية الكبرى والتي قدر لها أن يكون على رأسها شريف مكة قد تمت بإيعاز من القوى الاستعمارية في المنطقة. وأنها حققت أهدافاً استعمارية أكثر منها أهدافاً وطنية وقومية أصيلة بخروجها على الدولة العثمانية وتمردها على طاعة الخلافة. وهذا الخطاب بدوره يلقي الضوء على وطنية السلطان الشهيد وأصالة تفكيره ونزاهة صلاته الخارجية.

وإشارة الحاكم العام بقوله: (وقد نجحنا في ذلك)[41]. أي في إثارة شريف مكة ضد الوجود العثماني ترينا إلى أي حد كان للإدارة البريطانية دور فيما جرى بين شريف مكة والدولة العثمانية. وأن تخطيط ما سمي زوراً وبهتاناً بالثورة العربية

---

(40) الحاكم العام إلي كالى فى 1916/6/13م D.S.A.BOX.129/6

(41) المصدر السابق.

أو اليقظة العربية لم يكن محلياً وإنما نسجت خيوطه في الخارج. وتم استيراد المواصفات والأشكال والكيفيات. وقام بتنفيذها وتحقيق أقدارها أبناء المنطقة. ولذا قررت السلطات البريطانية إبعاد السلطان الشهيد على دينار في حالة استسلامه إلى (مكة التي ستكون تحت قيادة رجل لا يميل إلى الأتراك- لان تلك القيادة- ستضعه في حجمه وان لا فسأرسله إلى مالطة أو عدن أو أي مكان آخر)[42].

هذا هو قرار الحاكم العام البريطاني الذي يمثل السلطات البريطانية في الحكم الثنائي البريطاني في السودان. وكان هو الذي يقوم بدور فاعل في الثورة العربية. وافتخر بنجاحه في إشعالها في الجزيرة العربية بعد فشل جهود السلطان الشهيد على دينار في تحقيق أهداف وحدة القوى الوطنية الإسلامية ذات الارتباط العقدي. إذن كان السلطان الشهيد على دينار بطلاً إسلامياً وقيادة إقليمية أكثر منها قيادة محلية ينحسر دورها في حدود دارفور. وكان يتطلع إلى لعب دور إسلامي يتجاوز حدود الوطنية الفارغة والعرقية النتنة إلى رحاب العالم الإسلامي ونصرته في كفاحه ضد الوجود الاستعماري في أنحاء الرقعة الإسلامية.



(42) المصدر السابق.

الفصل السابع

العلاقات بين دارفور والدولة العثمانية ومصر

الفصـــل السابـــع

العلاقات بين دارفور والدولة العثمانية ومصر

سبق القول بأن سلطنة دارفور هي ضمن سلسلة السلطنات والممالـــك الإســـلامية التي انتظمت وسط أفريقيا. وقد احتفظت باستقلالها بيد أنها لم تلغ من اعتبارها الرباط الإسلامي بدولة الخلافة. حيث بادلت هذه السلطنة دار الخلافة الود وكانت لها صلات حميمة مع كل من الخديوية بمصر والسلطنة العثمانية بتركيا. وهذه الصلات لا تعـــدو عن كونها التزام أدبي. وشعور بواجب التعاون والتكافل.

وهناك وثيقة عبارة عن خطاب بعث به آخر سلاطين دارفور إبراهيم قـــــرض (1873-1874) إلى الخديوي جاء فيه: (من أمير مملكة دارفور السلطان إبراهيم ... إلى الخديوي الأعظم ... يكن بعلمكم الزكي أنه قد توفى والدنا محبكم السلطان حـــسين ألزمنا الله وإياكم الصبر ... وكان هو لـــه مودة مع الحـــضرة الخديويـــة ... وصـــل لطرف الحضرة الكريمة الحاج حمزة وأخيه محمود سر تجار دارفور الـــذي تـــشرف بالأعتاب الخديوية حين أرسله الوالد وصحبتهم جوابات و وصايات)[1]. هذا الخطـــاب يكشف عن أفق العلاقات الدارفورية الخارجية وأن ســـقفها كـــان عاليـــاً وأن صـــلتها بالخلافة العثمانية ومصر كانت علاقة ندية وود واحترام متبادل.

امتدت فترة حكم السلطان حسين ما بين (1839 – 1870م) وتفصح هذه الوثيقـــة عن العلاقة الحميمة القائمة بين سلطنة دارفور والخديوية في مصر بعد أن عدلت عن غزو دارفور. وكلمات السلطان محمد الفضل الساخنة التي يؤكد فيهـــا بـــأن ســـلطنة

[1] دار الوثائق القومية المصرية 1/3/104.

ارفور هي سلطنة إسلامية ذات تاريخ وروابط حميمة بالسلطات الزمنية في كل أنحاء العالم الإسلامي. وبالتالي لا يوجد أدنى مبرر لغزوها في عقر دارها من قبل قوى إسلامية صديقة.

بدأت بعدئذ العلاقة على ما كانت عليه وأصبح هناك مبعوثون ورسائل وأعمال تجارية وهدايا تتم بين البلدين. وحفاظاً على عمق هذه العلاقة قام السلطان إبراهيم قرض بمواصلة المسيرة حيث بعث بخطاب بهذا المعنى جاء فيه: (وصل من أمير دارفور للحضرة الخديوية عشرون سناً من سن الفيل وزنها قنطار وعشرة)[2].

يوضح ذلك أن دارفور قد تمتعت باستقلالها بيد أنها لم تهمل الرباط الفكري والثقافي بمصر. وفي الوقت ذاته لم تغفل عن توثيق علاقاتها بدولة الخلافة التي كانت رمزاً للوحدة الإسلامية. وسبق أن رأينا إنها لم تتجاهل أيضاً الرباط الديني بقبلة المسلمين وبمسجد الرسول (ص). إن هذا الرباط بالحرمين يجسد شوقاً سودانياً خاصاً، ويؤكد على أن دارفور لم تخرج عن هذا الإطار السوداني العام المتمثل في حب الرسول صلى الله عليه وسلم.

ومن هذا المنطلق فإن علاقة دارفور بتركيا العثمانية هي علاقة طبيعية ومنطقية اقتضتها وحدة العقيدة والثقافة. بيد أنها لم تصل إلى حد التبعية المطلقة أو الذوبان المطلق في رقعة الدولة العثمانية والخضوع التام لها. وإنما تمتعت دارفور بالسيادة على حدودها واستقلال سيادتها عن أي وجود سياسي ولكنها في ذات الوقت فتحت أبواب التعاون بينها وبين جيرانها وظلت دار فور محافظة على هذا الاستقلال بيد أن الخديوية المصرية نتيجة لأطماع ذاتية ورغبة قوية في الاستيلاء على دارفور التي استعصت على الغزو أكثر من مرة أخيراً وجدت بغيتها في طموح قدير أوعزت إليه بالقيام بذلك الدور. وبحكم الظروف الراهنة للسلطنة ولضعف إمكانياتها العسكرية استطاع الزبير باشا ود رحمة أن يقضي على آخر سلاطين دارفور إبراهيم قرض بن السلطان حسين في منواشي في 25 أكتوبر سنة 1875م. بيد أن هذا السقوط

[2] المصدر السابق.

الظاهري للنظام السياسي والإداري في دارفور لم يلن القناة الدارفورية. إذ كان أهـل دارفور بالرغم من سقوط النظام السياسي يتمتعون بوجود تنظيم دارفوري قدير تمتـع بنظام فريد ودقيق. الأمر الذي جعلهم يحافظون على وجود سلاطين لهم فـي الظـل طوال العهد التركي في السودان والعهد المهدوي. لقد صمد هذا التنظـيم الـدارفوري وهو يحمل راية المقاومة ويبدي تحدياً للسلطات الزمنية لأكثر مـن ثلاثـة وعـشرين عاماً. وظل أهل دارفور يناهضون كل أنواع الحكم الأجنبي في دارفور أياً كان اتجاهه أو لونه[3]. مما يعني أن هذه المنطقة ظلت عنيدة في الانصياع للمركزية وشرسة فـي مواجهة التواجد الأجنبي بالبلاد عكس ما يحدث الآن. حيث نلاحـظ أن بعـضاً مـن القيادات الدارفورية تطالب اليوم بتدخل دولي في قضية دارفور الأمر الـذي يعكـس مفارقة عجيبة. حيث لاحظنا ولاحظ كل عاقل متبـصر بـأحوال العـصر الحـديث والمعاصر ما جرى في أفغانستان والعراق وكوسوفو والصومال. إذ لم يصحب التدخل الأجنبي سلام وأمن في البلاد التي دخلها الغربيون بحال من الأحوال وإنما كانت نتيجة ذلك التواجد الأجنبي تحت أي مسمى من المسميات أو شكل من الأشكال تدمير البنيـة الأخلاقية التحتية للأمة والاقتصادية والسياسية والاجتماعية. وأي تواجد أجنبي تحـت أي اسم من الأسماء فهو قدر من أقدار الاحتلال. وحتى الأمريكـان الـذين يـسمون تواجدهم في العراق ليس احتلالاً عادوا بأنفسهم يطلقون على ذلك التواجد احتلالاً. وهذا ما صرح به الرئيس الأسبق جيمي كارتر للإذاعة البريطانية القسم العربي في شـهر مايو سنة 2007م.

وتوج أهل دارفور كفاحهم بتربيع السلطان الشهيد علي دينار على العرش وتمكن من استعادة الحقوق الدارفورية المسلوبة ولم يتجاهل العلاقة الدارفورية العثمانية. وبدا منه هذا الاتجاه لأنه كان يعتبره إحياء لمراسم السلطنة الدارفورية الإسلامية وعاداتهـا وتقاليدها بغية إحياء تراث اندثر وكانت محاولته تلك هي مد جسر من العلاقات الأزلية قد إنهار بسبب الأطماع الفردية وسوء التفاهم.

(3) أنظر الفصل الأول من هذا الكتاب.

ويؤكد السلطان الشهيد على دينار في أوائل أيام حكمه هذه الحقيقة بقوله: (بغاية الوفاء إذا كانت المدة الماضية السابقة زمن المتقدمين آباؤنا سلاطين دارفور لهم عوائد وشروط وحدود معلومة وهدايا تقدم لوالي مصر ومحمل يرسل لبيت الله الحرام)[4].

- **المبحث الأول:-**

العلاقة الدارفورية التركية (العثمانية)

العلاقة القائمة بين دارفور ومصر وتركيا والحجاز هي ليست علاقة تبعية وإنما هي علاقة ودية. تقوم على أساس الندية ولكن تحكمها نصوص وروح التعاون والتكاتف والتآخي والمناصرة الدينية. وفي هذه الأثناء دارت تكهنات في الأوساط الثنائية البريطانية حول علاقة السلطان الشهيد علي دينار بتركيا. لا سيما بعد انطلاقة السلطان الشهيد علي دينار ومحاولاته المستمرة للاتصال بكل القوى الوطنية الإسلامية في المنطقة. وقد تناولت الصحافة المصرية ذلك حيث جاء في جريدة مصر ما يلي: بأن السلطان الشهيد علي دينار: (قد أرسل وفداً إلى القسطنطينية بواسطة طرابلس وهذا الوفد يحمل معه هدايا للسلطان العثماني في تركيا. ولربما يهدف السلطان علي دينار من ذلك إلى فتح علاقة معه. كما يدل ذلك على وفاء المسلمين وطاعتهم لسلطان الإسلام وان تباعدت ديارهم. ويقال إن الهدف من هذه الزيارة هو إعلان خضوع دارفور للسلطنة العثمانية إلا أن العثمانيين في الوقت الراهن يعون دورهم وقوتهم تماماً. وإن كانت حتى الآن لم تبدر من السلطان علي دينار بادرة تدل على انه تخلى عن ولائه للحكومة الثنائية على الإطلاق حيث أن الهدايا والضريبة السنوية لا تزال بينه وبين الحكومة).

هذه الإشارة المبكرة وتلك الاستقراءات لا تخلو من حقائق. صحيح أن السلطان الشهيد علي دينار كان يهدف إلى انتزاع اعتراف بوجوده كقوة مستقلة ذات كيان من قبل كل القوى الإسلامية ذات الوزن السياسي في المنطقة. أما إعلان خضوع دارفور

---

[4] السلطان إلى السردار في نوفمبر 1900م الموافق 29 رمضان 1318هـ S. N. A. INTELL 7/1/2

للدولة العثمانية فهذا أمر بعيد. واستباق للأحداث وقراءة خاطئة للمعطيـــات. وتـــدرك حقيقته باستقراء الكفاح الدارفوري من أجل استعادة السلطنة ودور الـــسلطان الـــشهيد علي دينار في استرداد حق أبناء جلدته في الاستقلال. لأن هـــؤلاء الـــسلاطين كـــانوا يدركون جيداً بأن قيام أو استعادة سلطتهم هو واجب تاريخي ووطني وأن التفريط فيـــه بالتبعية لأي جهة يعنى خيانة القضية. وبالتالي يستحيل أن تتنازل سلطنة دارفور التي عرفت عبر تاريخها الحافل المجيد باستقلالها التام عن مكتسباتها التاريخية، ويـــستحيل أن يتنازل السلطان الشهيد علي دينار بهذه السرعة وبهذه الـــسذاجة والبـــساطة عـــن منجزاته التي كلفته الروح والدم والتضحية والصبر والعزم وقوة الإرادة. ولكن فيمـــا يبدو أن هذا التحليل الصوفي الفج نـــاتج عـــن غيـــاب المعلومـــة الـــصحيحة التـــي تشكل المدخل للموضوع والتناول المتزن، فكانت النتيجة بهذه الصورة غير المعقولـــة وغير المقبولة.

ولكن من جانب آخر يمكن القول بأن هذه العلاقة المبكـــرة تـــدل علـــى الوفـــاء الإسلامي تجاه رمز الوحدة الإسلامية في العـــالم الإســـلامي. ويـــدل إرســـال الوفـــد الدارفوري عن طريق طرابلس على بعد نظر السلطان الشهيد علـــي دينـــار ووعيـــه السياسي. فلم يقم بإرسال ذلك عن طريق الخديوية في مصر لأنه كان أدرى بالظروف السياسية الراهنة التي تعيشها مصر. إذ كان يدرك أن الخديوية كانت كرهاً واقعة تحت سيطرة النفوذ الإنجليزي، لذا أراد أن يحيط علاقته بالسلطنة العثمانية (تركيا) بقدر من السرية لئلا يفسد ذلك عليه علاقته القائمة مع الحكم الثنائي البريطاني الذي يعتبره قدراً من أقداره الراهنة ووضعاً استثنائياً لابد من التعاطي معه بحـــذر. وفـــي ذات الوقـــت لا يريد أن يرهن إرادته وحركته لهذا القدر المحتل. فبدأ يستخدم كل المعطيات وكـــل الممكنات لتجاوز ما وجد نفسه فيه من إحاطة أجنبية وقوة معادية لوجـــوده ولتاريخـــه ولإرثه الحضاري وحقه في أن يعيش حراً مستقلاً فقام بمحاولة جادة لكسر طوق هـــذه العزلة، لذا لا غرابة أن قام بالاتصال بإخوانه المسلمين في كل مـــن ليبيـــا والدولـــة العثمانية بغية التعاون. لاسيما في دولة السلطنة المغلوبة على أمرها يومئذ مـــن أجـــل

توحيد الرؤى واتخاذ موقف موحد على صعيد السياسة الدولية. فـــي محاولـــة جـــادة لإبطال المشروع الاستغلالي الاستعماري في المنطقة الإسلامية والأفريقية.

وكانت دارفور رغماً عن هذه الروح الاستقلالية على استعداد لمؤازرة المـــسلمين في أنحاء العالم الإسلامي، وسباقة إلى التعاون والتـــآزر مـــع كـــل القـــوى الوطنيـــة الإسلامية، كل ذلك على أن لا يقضي على استقلاليتها وشخصيتها الاعتبارية.

وفي الوقت الذي فتح فيه السلطان الشهيد علي دينار صفحة علاقات خارجية مـــع الدولة العثمانية لم يقدم على إشعار الحكم الثنائي البريطاني بتغيير أحوالـــه أو تبـــدلها تجاهه. وذلك ليمكن لنفسه ويعيد ثقة الآخرين فيه في إدارة بلاده ومقدرتـــه الإداريـــة والسياسية وليعيد للأذهان مجد أجداده وآبائه.

ولعل ما يؤكد ارتباط دارفور الوثيق بالسلطنة العثمانية استخدامها للعملة العثمانية بدلاً عن استخدام العملة البريطانية أو الثنائية تأكيداً على اســـتقلالية ســـلطنة دارفـــور وحريتها في اختيار العملة والنشاط الاقتصادي الذي يروق لها. وهي تشير في الوقـــت ذاته إلى قدر من التأثير الثقافي والاقتصادي مما لا يغفل دورهما في مجال العلاقـــات السياسية. ويتبين ذلك من النص التالي الذي جاء فيه علي لسان السلطان الشهيد علـــي دينار: (أنه بعث بألفي ريال مجيدي ... ألف منها يوزع في مكة ... والألـــف الآخـــر يقسم في المدينة)[5].

وعلي صعيد آخر أراد السلطان الشهيد علي دينار أن يمد جسراً مـــن العلاقـــات الودية والحميمة مع الخديوية في مصر وسعى إلى ذلك بواسطة صديقه القديم سلاطين باشا مفتش عموم السودان. وقد حاول سلاطين باشا أن يحقـــق لقـــاءً بـــين الخـــديوي والسلطان. فقام السلطان الشهيد علي دينار بشكره على هـــذه المحـــاولات. ولتطبيـــع العلاقة بين النظامين طلب السلطان علي دينار من سلاطين باشا أن يقترح لـــه نـــوع الهدية التي يمكن تقديمها للخديوي حيث لم يسبق له التعامل معه من قبل[6].

(5) السلطان علي دينار إلي شريف مكة 1321هـ 1902م S. N. A. INTELL 2/3/12

(6) علي دينار إلي سلاطين في 1909/7/10م الموافق 20 جمادي الأخرة سنة 1327هـ S. N. A.INTEL 7/1/11

هذه فيما يبدو أول مبادرة صلة جدية بين السلطان الشهيد علـــي دينـــار وعبـــاس حلمي خديوي مصر. وتقدم أن صلات السلطان الشهيد علي دينار بتركيا سابقة بسنين عديدة على علاقاته بالخديوية. فلربما أن وقوع الخديوية تحت نفوذ السيطرة الإنجليزية هو الذي أخر حدوث هذه العلاقة منذ فترة مبكرة في حكم السلطان الشهيد علي دينار، وأضعف من الصلات المباشرة بينهما.

ومرة أخرى لا ننسى أن الخديوية هي التي أزالت سلطنة دارفور الأولى على يد الزبير باشا ود رحمة. فمن البديهي أن يكون السلطان متحفظاً بعض الشيء في علاقاته معها. لا سيما وهو يدرك أن الخديوية نفسها تستمد شرعيتها مـــن الخليفـــة العثمـــاني ظاهرياً بالرغم من وقوعها الفعلي تحت هيمنة النفوذ البريطاني. فمن الطبيعـــي إذاً أن يداري الأصل قبل الفرع. وأن يحصل على اعتراف صريح من الـــسلطنة العثمانيـــة لترسيخ أقدامه وإضفاء شرعية دولية على حكمه. وبالتالي يكون قد تفادى بصورة غير مباشرة الواقع الثنائي البريطاني في السودان إلى أفق أرحب وأوسع.

- **المبحث الثاني:-**

السلطان الشهيد علي دينار وعلاقته بالدولة العثمانية

وعلى وجه العموم فإن علاقة السلطان الشهيد علي دينار الخارجية بتركيا تميزت بأبعاد وآثار يمكن أن تلقي الضوء على طبيعة هذه العلاقة. فهي علاقـــة عميقـــة لهـــا جذورها ولها أبعادها السياسية. والعلاقة الدارفورية العثمانية التركية لم تكـــن علاقـــة منبتة برزت فجأةً وبحكم ظروف الحرب الأوربية الأولى وحاجة تركيا العثمانية إلـــى مناصرة كل القوى الإسلامية في المنطقة. أو تحت وطأة الظروف السياسية للـــسلطان الشهيد علي دينار. فمن الناحية التاريخية فإن تسمية عبد الرحمن الرشيد الجد الرابـــع لكل من السلطان الشهيد علي دينار ومقبولة والدة عبد الرحمن المهدي جـــد الـــصادق المهدي ووالد أحمد المهدي جاءت من السلطان العثماني بتركيا لما اشـــتهر بـــه هـــذا السلطان الدارفوري من علم وعدل وتقوى. وقد حكم في الفتـــرة 1787- 1802م[7]. وجاء هذا اللقب لصلة سلطنته الوثيقة بدولة السلطنة العثمانية لعدة قرون خلت.

---

[7] أنظر الفصل الثاني من هذا الكتاب S. I. R. 184/4 4TH NOV. 1909

• المبحث الثالث:-

السلطان الشهيد علي دينار والدعوة الدائمة للسلطان العثماني على المنبر كل جمعة

أما بالنسبة للسلطان الشهيد علي دينار فان ما ورد في سجلات المخابرات الثنائية البريطانية ومنذ فترة مبكرة ينفي كل المزاعم السابقة التي حاولـت بهـا المخـابرات البريطانية تشويه سمعة السلطان الشهيد علي دينار وسياسته الخارجية فيما بعد باعتبار أن سياسته إزاء الدولة العثمانية كانت اضطرارية اقتضتها ظروف عزلتـه وموقـف الحكومة الثنائية البريطانية. مما لا شك فيه أن موقف السلطان الشهيد على دينار إزاء الدولة العثمانية هو موقف أصيل ذو أبعاد تاريخية وموروث حضاري لم تملـه عليـه الظروف فحسب. ولعل ما أثبته الشيخ محمد سيماوي يلقي الضوء على عمق العلاقـة الدارفورية العثمانية وأبعادها السياسية والدينية والثقافية حينما سئل عن التأثير التركي العثماني في دارفور لا سيما بعد التغيير في موقف تركيا العثمانية الأخير. فذكر مـن العادة أن كل يوم جمعة جرت العادة والتقاليد المرعية في سلطنة دارفـور فـي عهـد السلطان الشهيد علي دينار أن يدعي لسلطان تركيا العثماني على المنبر بالاسم ويـتم التأمين بصورة جماعية على هذا الدعاء. وبهذه الكيفية فقد فتح السلطان بـلاده ومنـذ اليوم الأول للأثر العثماني ولم يقف حجر عثرة في وجه أي جهد عثماني إيجابي فاعل في بلاده. وبالتالي يكون قد انحاز ومنذ توليه السلطة في دارفور طوعاً واختياراً ودون إجبار من أحد إلى جانب السلطنة العثمانية باعتبارها رمز وحـدة المـسلمين. ولعـل الدعوة المتكررة للخليفة العثماني كل يوم جمعة على المنبر تدل علـى وجـود تقليـد دارفورى متين وأصيل في ذات الوقت. ويؤكد ذلك على قوة الربـاط العفـوي بـين الدولتين عبر التاريخ. ومما لا شك فيه أن لهذه الـسياسة البريطانيـة ذات الأهـداف الإستراتيجية الواضحة أثر في تشويه سمعته من قبل المخابرات الثنائيـة البريطانيـة وتفسر اتجاه إسدال الستار على الجوانب المشرقة والطيبة في فترة حكمـه والتركيـز على الجوانب السالبة في فترة حكمه. وهذا هو شأن الغرب قديماً وحديثاً بصدد مواقفه

الثابتة وإزاء كل نزيه ووطني غيور على بلاده ودينه ووطنه، ولقــد درج الغربيــون وخلفاؤهم الأمريكيون على أن يقلبوا الحق باطلاً والباطل حقاً، وأن يجعلوا من الجبان الرعديد شجاعاً ومن الخائن المخنث بطلاً ومفكراً وأكاديمياً مبرّزاً وسياســياً متفــرداً وقيادياً لا يشق له غبار، ومن العميل عديم الضمير وطنياً مخلصاً والعكــس صــحيح. ولعل ما يدور على ألسنة الكثيرين ممن استهوتهم الدعاية الثنائية البريطانيــة بــأجهزة مخابراتها المقتدرة بشأن السلطان الشهيد وتاريخه وممارساته هو كذب وافتراء محض الأمر الذي ترك بصماته على الخلفية الثقافية تجاه السلطان الشهيد علي دينــار لــدى الكثيرين من المغفلين والعامة ممن لم يطلعوا على سجل حياته أو يتعرفوا على أدواره الإيجابية في المجال الوطني والإسلامي على وجه العموم. ولعل هــذا الحكــم يطــال الكثير مما كتب عن الرموز الوطنية الشجاعة التي تمتعت بنصاعة التاريخ، وصــلابة المواقف، وقوة الرأي، إزاء الوجود الأجنبي في البلاد. فحاولت أقــلام الاســتخبارات الأجنبية تشويه سمعتهم ووصمهم بكل منقصة مع أن الواقع كان خلاف ذلــك. وفــي المقابل حاولت من رفع شأن أضدادهم ممن كانوا خونة وعملاء وجواسيس. فأغــدقت عليهم النعم والأنوال ومنحتهم الأراضي والأملاك في قلب العاصمة المثلثة لا لــشيء سوى أن ذلك العطاء السخي هو مدفوع مقدم لما أسدوه للسلطة الأجنبية من خدمات لا تقدر بثمن. وهذا هو شأن الاحتلال قديماً وحديثاً. وبحلول نذر الحرب الأوربية الأولى كان السلطان الشهيد علي دينار على علم تام بما يدور وكان موقفه متوطنــاً. وبــدأت الحكومة الثنائية البريطانية تشكك في نواياه إلا أنها لم تملك أدلة قاطعة تكشف اللثــام عن سياسته الخارجية ومواقفه المتوقعة. هذا وكان السلطان الشهيد علي دينــار علــى إطلاع تام بما يدور على الجبهة التركية العثمانية وخططها وتحركاتها. وزود بواسطة القيادة السنوسية بليبيا بأخبار وخطط العثمانيين. وعلم من مصادر مقربة من القيــادتين ومطلعة أن السلطان محمد رشاد السلطان العثماني والزعيم السنوسي قد انعقدت معاهدة بينهما على محاربة الإنجليز لا سيما في السلوم[8].

[8] محمد عبد الرحيم الحاج صالح إلي السلطان، 1914/10/7م S. N. A. INTEL 2/3/12

لا شك أن أخباراً على هذا القدر مما يرفع الروح المعنوية لدى السلطان الـشهيد علي دينار ويدعوه للوقوف بشراسة لمناهضة الحكم الإنجليزي المصري فـي الـبلاد. والعمل الدؤوب على كسر شوكته في السودان. كل ذلك كان يحدث في وقت لم تتوفر فيه وسائل الاتصال الحديثة مما يوحي بالإصرار والعزم في التواصـل مـع الدولـة العثمانية والقوى الإسلامية ذات التوجه التحرري في المنطقة.

• **المبحث الرابع:-**

اهتمام الدولة العثمانية بالسلطان الشهيد علي دينار

وفي الوقت ذاته لم تهمل الدولة العثمانية دوره الطليعي ولم تغفل علاقاته السابقة. فقد أرسل أنفر باشا وزير الحربية التركية خطاباً ضافياً اشتمل علـى اسـتنفار عـام للمسلمين ودعوة خاصة للسلطان الشهيد علي دينار لمحاربة الحكم الثنائي البريطـاني في البلاد. وبدأ الخطاب بإسباغ الصفات التبجيلية على السلطان الشهيد علـي دينـار. وعرض الخطاب في ثنايـاه لـشرحٍ وافٍ لبدايـة الحـرب بـين الدولـة العثمانيـة والإمبراطورية الروسية على حدود البحر الأسود. وأكد أن الروس هم الـذين بـدأوا بالاعتداء. لأن المعلوم أن الدولة الروسية القيصرية كان لها سعي دعوب للوصول إلى المياه الدفينة على حساب أملاك الدولة العثمانية. وبالتالي كـان لزامـاً علـى الدولـة العثمانية الدفاع عن حدودها وأراضيها وأن تقف في وجه الاعتـداء الروسـي بقـوة وبصلابة. لذلك ذكر أنفر باشا بأن العثمانيين تمكنوا من رد الجنـود الـروس علـى أعقابهم. وشرح لـه طبيعة الاتفاق القائم بين الألمان والنمسا والدولة العثمانية مـشيداً بانتصارات الألمان على الفرنسيين. واستثار في السلطان الشهيد علي دينـار الـروح الدينية والنخوة الوطنية ووجوب الخروج على الكفار فيما يليه من منـاطق وسـحقهم وإبعادهم من العالم الإسلامي، الذي يجب أن يهب هبة رجل واحد في وجـه الوجـود الاحتلالي الأوروبي، وينتهز هذه الفرصة التي قد لا تتوفر لـه مرة ثانية في التخلص من نير الاستعباد والذل والاستعمار والخضوع لأعداء الله ورسوله. وذكر له في ذات الخطاب إمعاناً في الشرح ورفعاً لروحه المعنوية، بأن جنود الدولة العثمانية وهم مئات

الألوف يتقدمون في تلك الفترة إلى قنال السويس. وقد حاول الإنجليز التقدم إلينا ولكن أسود العرب البواسل ردوهم. وسرد عدداً من الآيات والأحاديث الداعمة لنداء السلطان العثماني باستنهاض الهمم والتحريض على قتال الأعداء وطلب منه في نهاية الخطاب أن يكون عاقلاً كما هو متوقع. وان يعمل جهده في القـضاء علـى الحكـم الثنـائي البريطاني في السودان. وأشار إلى أنه قد أرسل خطاباً آخر إلى السيد أحمد الـشريف السنوسي مع أخيه البمباشي نوري بك يحوي ذات المـضمون وخـتم ذلـك بقولـه: (وأرسلت لك خطابي هذا مع جعفر بك وذلك بعد صدور الفتوى من المشيخة الإسلامية أو هيئة الإفتاء وتوجيهها النداء إلى كل المسلمين في العالم الإسـلامي ونـدائها لهـم ومطالبتها لهم بالاتحاد والاستجابة لنداء الجهاد)[9].

بذا تكون الدولة العثمانية قد بذلت جهداً موفوراً لوضع السلطان الشهيد علي دينار في الصورة ووفرت له المعلومة الصحيحة وملكته الحقيقة كما ينبغي الأمر الذي يؤكد على انه كان رقماً هاماً استحق كل هذا التنوير وهذا الإسهاب المطوّل في اطلاعه على أدق التفاصيل. وتم الاتصال معه على مستوى عال في الدولة العثمانية. وزود بتفاصيل الوضع الراهن وأعطى إجابة قاطعة لكل التساؤلات المطروحة حول الدولة العثمانيـة وموقفها واتفاقاتها. وهى مسائل غاية في الدقة والأهمُية والخطورة وتمليك المعلومـة الصحيحة جزء من الاعتراف بكينونة المخاطب وقدره ومكانته ودوره.

واحتوى الخطاب قدراً من الإغراء بإشعار السلطان الشهيد علي دينـار أن هـذه الفرصة السانحة التي قد لا تتكرر إذا ما أراد التخلص من ربقة القيـود الاسـتعمارية المحيطة به. والإشارة التي أوردها أنفر باشا وزير الحربية العثمانية والتي مـضمونها أن الألوف من جنود الدولة العثمانية قادمون إلى قناة السويس لا تعدو عن كونها إغراء وقد تكون من باب الحرب النفسية لرفع روح السلطان الشهيد المعنوية وإرباك خطـط الدول الأوروبية المعادية في المنطقة حال تسريب هذه المعلومات إليها عـن طريـق عملاء المخابرات الموجودين في الفاشر عاصمة دارفور يومئـذ، وفـي ذات الوقـت

[9] أنفر باشا إلي السلطان في 3 فبراير سنة 1915م الموافق 18 ربيع الأول3 133هـ
D. S. A. Box. 129/2

تكشف هذه الإشارة النقاب عن نوايا وخطط عثمانية مستقبلية. ومما لا شـــك فيــه أن تحرك السلطان ودوره في شل حركة الإنجليز من الأمور التي قد تــساعد حلــف مـــا يسمى بدول الوسط (تركيا وألمانيا وحلفائهما).

ومن هذه الناحية فإن الاهتمام به قد يكون أمراً اقتضته المصلحة. وكانت التلبيــة سريعة وإيجابية من قبل السلطان الشهيد علي دينار الذي كان يتوق أبداً ويتطلـــع إلـــى الإنعتاق من ربقة التبعية الاسمية للحكومة الثنائية البريطانية. ومـــن أهدافـــه تحقيـــق الحرية والاستقلال. ومما يعطي المسألة بعداً إسلامياً هو إرفاق صـــورة مـــن فتـــوى المشيخة الإسلامية الأمر الذي أولاه السلطان عناية فائقة وتقديراً خاصـــاً وحـــاول أن يستثمره ويوظفه لأبعد حد في استنهاض الهمم واستفزاز الروح الـــديني لـــدى أهـــل السودان. لاشك أن هذا العمل الذي قام به السلطان العثماني إزاء السلطان الشهيد على دينار يشير إلى مدى أهمية الأخير وما يمكن أن يلعبه مـــن دور فـــي هـــذه القـــضية المصيرية. ووفقاً لذلك أصدر السلطان الشهيد علي دينار البيان السابق ذكـــره داعيـــاً الأمة السودانية بمختلف قطاعاتها واتجاهاتها وأعرافها إلى نبذ الفرقة والاعتصام بأمر الدين والخروج غضبةً لله وجهاداً في سبيله بغية إخراج الكفرة أعداء الله ورسوله مـــن ديار المسلمين عموماً ومن السودان على وجه الخصوص. وفي الواقع لم يكـــن بيانـــه محلياً وإنما كان ذا صبغة عالمية موجهاً إلى جميع المسلمين بغض النظر عن وطنيتهم أو جنسياتهم أو ألوانهم مهيباً بهم للالتفاف في وقت الشدة حول القيادة الإسلامية ورمز الوحدة الخليفة العثماني.

- **المبحث الخامس:-**

الـــسلطان الـــشهيد علـــي دينـــار وإعـــلان الخـــروج علـــى الحكـــم البريطاني

يلاحظ المدقق في تاريخ تلك الفترة الحرجة من تاريخ الأمة السودانية خـــصوصاً والأمة العربية والإسلامية والأفريقية عموماً، أن قلة من القيادات الوطنيـــة والقوميـــة

والفكرية هي التي استوعبت الدرس وسبرت أغوار الإستراتيجية الأوروبية في المنطقة العربية والأفريقية والإسلامية علماً بأن الكثرة الكاثرة هي التي تبلد حسها وضعف أداؤها وشلت قدراتها وكانت مثبطة للهمم مقعدة للأمة عن السير في طريق الاستقلال والتحرر ورغماً عن هذه المواقف المخزية إزاء قضايا الأمة الحيوية ووقوف تلك القيادات في صف الوجود الأجنبي في البلاد إلا أنها أصبحت فيما بعد وبقدرة قادر وبتخطيط وإستراتيجية بعيدة المدى من قبل الاستعمار الأوروبي هي الزعامات والقيادات الوطنية المعتمدة وأسدل ستارٌ من الظلام المتعمد على المقاومة الحرة الشريفة في المنطقة. وقد جبن أحفادها حتى ساروا بوعي أو بغير وعي في ركاب الأجندة الغربية في بلدانهم. وعليه نلاحظ أن ما تلى من أحداث كان نتاجاً طبيعياً فبمجرد وصول أنباء الحرب الأوربية الأولى إلى السودان ودارفور على وجه الخصوص ونشوب الحرب بين تركيا العثمانية وبريطانيا. أبدى السلطان انحيازه التام وميله نحو الأتراك العثمانيين علناً. واتخذ موقفاً عدائياً سافراً من الحكم الثنائي البريطاني في السودان في أبريل سنة 1915م. وأعلن حينئذ فض ما بينه وبين الحكومة الثنائية البريطانية من معاهدات واتفاقيات. وأفصح صراحة عن انضمامه رسمياً إلى الأتراك العثمانيين الذين كانوا على صلة وثيقة به دون مواربة أو استحياء[10] .

ولم تكن صلات السلطان الشهيد علي دينار بتركيا تتم عبر قناة واحدة وإنما درج على تعدد القنوات التي عن طريقها يستطيع الاتصال بدولة الخلافة العثمانية. فحين حاولت الحكومة الثنائية البريطانية أن تضيق الخناق على طريق القوافل المتجهة إلى طرابلس كان هو بدوره قد اتجه إلى منفذ آخر وهو طريق الشرق تحميه مظلة المحمل الشريف. بيد أن الحكم الثنائي البريطاني كان له بالمرصاد حيث بدأ في تفتيش المحمل تفتيشاً دقيقاً بغية محاولة العثور على خطاب مرسل إلى أحد المسئولين الأتراك[11].

[10] Sir Reginald Wingate : op.cit.pp.103-176

[11] نائب مدير المخابرات إلى مفتش سواكن في 1915/5/19م(16 شعبان 1333هـ) S.N.A.intell.3/13

وترجم السلطان الشهيد علي دينار خلال هذه الفترة السياسة العثمانية ترجمة صادقة مصدراً بياناً ضافياً ونداءً حماسياً على غرار النداء العثماني يحث فيه المسلمين قاطبة ويهيب بهم أن يجاهدوا في سبيل الله بالدم والمال. ودعا فيه الكافة إلى وحدة الصف الوطني والمسلم والتزام خط الجماعة بتأييد السلطان العثماني في حربه ضد الحلفاء. وقام بإرسال نسخة من هذا البيان مع خطاب آخر إلى أحمد الشريف السنوسي وآخر إلى شريف مكة بغية كسبهما إلى جانب الصف العثماني في جهاده المقدس ضد الكفار أعداء الله وأعداء رسوله[12]. وأولته الدولة العثمانية عناية واهتماماً خاصاً حيث بعث إليه السلطان العثماني ميدالية وهدايا في شكل سيف وسرج ومدفع مزخرف ومسدس ونظارات حقل. وتم إطلاعه على مجريات الأمور أولاً بأول ليكون على دراية تامة بالأوضاع[13]. كما تم اطلاعه على أحوال الجبهة السنوسية في الشمال [14].

• **المبحث السادس:-**

السلطان الشهيد علي دينار في قلب الأحداث في الحرب الأوروبية الأولى

ولعل هذا يعكس أن دارفور وسلطتها السياسية أضحت في قلب الحدث وغدت أحد اللاعبين الرئيسيين على مستوى السودان، ولم تقف على الرصيف متفرجة وإنما كانت فاعلة وبإيجابية منقطعة النظير ومثلت وجه السودان المشرق في وقت قل فيه الشجعان وتوارت فيه كثير من القيادات الوطنية والسودانية والإقليمية عن الأنظار خوفاً من بطش الحلفاء ومداراة لهم وطمعاً في دراهمهم البخسة.

لم يكن تحرك السلطان الشهيد علي دينار عشوائياً وإنما كان مبنياً على حسابات دقيقة وفقاً للمعلومات التي تيسرت له يومئذ في وضع كوضعه ومنطقة كمنطقته وإمكانات كإمكاناته. وإدراكاً منه بالواقع وشعوراً بالواجب وأداءً للأمانة ووفاء بحق

(12) مفتش سواكن إلى نائب مدير المخابرات في 1915/5/30م(20 شعبان سنة 1333هـ) S.N.A.intell.3/1

(13) نوري بك أخ وزير الحربية إلى السلطان علي دينار 1915/8/14م D.S.A.BOX.128/3

(14) نفس المرجع.

الدين عليه كان انحيازه غير المشروط إلى معسكر السلطنة العثمانية طبيعياً. لـــذا لـــم يتوان في الرد على أنور باشا صهر الخليفة ووزير الحربية العثماني بقوله: (من حيث إنتشاب الحرب ولحد تحرير مكاتبتكم ... قد وجهنا أفكارنا كلية وجزئية نحو قتال مـــا يلينا من طائفة الذين كفروا عملاً بقول الله تعالى: يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة .... إننا منذ إنتشاب الحرب بين جلالة سلطان الإســـلام وبين الأعداء الكفار الفساق الإنكليز وفرنسا وما يليهم. فمن وقته قطعت ما بيني وبين الزعماء الملعونين من العلايق الودية وجاهرتهم بالعداوة وأعلنتهم بالحرب، واستعديت بقدر ما يستطعني من القوة غيرة في دين الله.ومن وقتئذ ملتفت لورود المخـــابرة مـــن جهة سلطان الإسلام ليفهمني كلمة الموافقة على القيام للجهاد في سبيل الله .... فبادرت قبل ذلك بإرسال مكاتبات لجلالته رأساً ومكاتبات إلى السيد احمد الشريف السنوسي بما فيه الكفاية للموافقة .... وذلك فهو لما تحقق لدينا أن الجهاد في هـــذا الزمـــان صـــار فرض عين على كافة المسلمين المنتشرين في الأرض)[15]. كلمات يمكـــن أن تكتـــب بمداد من ذهب لو قالها أي زعيم آخر من العملاء الذين صنعهم الاستعمار على عينـــه بصيغة غير هذه الصيغة الجهادية الماثلة ذات البعد الديني ولو قالها في موقـــع آخـــر لصالح الإستراتيجية الأوروبية في المنطقة لهللت له أجهزة الإعلام الأوروبية ولحملت كلماته الأثير ولسار بها الركبان ولعدوه واحداً من مشاهير وعظماء التاريخ في العـــالم العربي والأفريقي والإسلامي.

- **المبحث السابع:-**

الـــسلطان الـــشهيد علـــي دينـــار وإعـــلان الجهـــاد علـــى الـــذين يلـــونه

وفى الوقت ذاته لم يكن السلطان عجولاً أو مستعجلاً إنما هدف إلى تنسيق الحركة وأداء الدور المنوط به بانتظار المخابرة وإضاءة النور الخضر. وورود عبارة الانتظار

[15] السلطان إلى وزير الحربية العثمانى ووكيل القمندان الأعظم فى(1334هـ) (1915م) S.N.A. Intel 2/3/12

توحي بالتزام تبعية قيادة حربية واحدة. ولعله أراد بذلك أن تتحمــل تركيــا العثمانيــة دورها كاملاً في المسؤولية التاريخية تجاهه وهو على استعداد للقيام بالدور المنوط به حتى لا يصبح منعزلاً فيسهل استئصاله. والمسالة الثانية هي ضمان وحــدة الخطــة. ولا يغفل المرء تباعد المسافات واستحالة المتابعة التفصيلية في مثل هذه الظروف التي قد تنجح فيها اللامركزية. مما يعني انه كان على وعــي وذكــاء وقــراءة صــحيحة لمفردات ومعطيات المرحلة. ولقد حمل السلطان لواء المبادرة لوحدة الــصف المــسلم والوطني بالسودان وليبيا. وأن اتصالاته بالسنوسي يمكن أن تفسر في ضــوء ذلــك. ويمكن أن تصب في خانة توحيد الجهود وتقوية الجبهة الداخلية، والخروج من إطــار المحلية إلى رحاب الماعون الإسلامي الكبير لتلعب دار فور دورها التاريخي بعيداً عن الأثنية والعرقية والجهوية التي تحاول الآن جهات كثيرة تدعي الانتماء إلــى دارفــور وثقافة دارفور وأصالة دارفور وأهل دارفور وهي في الواقع والحقيقة جاهلة بدارفور وتاريخها وإرثها الحضاري والسياسي والاجتماعي، تحاول أن تؤطرها وأن تحــشرها في زاوية وجحر الأثنية والعرقية النتنة وأن تضطرها إلى محجرهــا الــضيق الــذي يعزلها عن ماض تليد وموروث خالد. كل ذلك من أجل مآرب شخــصية ومــصالح ذاتية. أو علي حسب ما يورده عامة السفهاء (يا فيها يا أطفيها). وبالتــالي يمكــن أن نقول أن السياسة في السودان هي ضرب من (الصعلكة المستترة). فالحزبي أياً كــان انتماؤه ووضعه ومدرسته وطائفته أو محدثاً علمانياً أو إســلامياً اشــتراكياً أو ملحــداً شرقياً أم غربياً حينما يكون خارج إطار الحكومة يفلح في النقــد والتنظيــر والطــرح الموضوعي وتفلح القيادات والأحزاب السياسية بمدارسها المختلفة واتجاهاتها المتنوعة أن تقدم كل منافق عليم وخطيب مفوّه معتوه لخداع الجماهير المتطلعة للحق والفــضيلة وكسب كل مغفل نافع، وما أن يركب صهوة أدنى سلطة حتى يصم أذنيــه، ويغمــض عينيه عن الحق وأهله ويلجم لسانه عن قول الحق ونصرته والوقوف بجانبــه. وهــذا شأنهم جميعاً في السودان طائفيين أو علمانيين بشتى قبائلهم من موسكو إلي واشــنطن أو إسلاميين بشتى مسمياتهم وألوان طيفهم من إسلام آباد إلى طنجة.

ولم يخف السلطان الشهيد علي دينار مشاعره الصادقة والدافئة حتى نحـو أحـد أصدقائه حينما حاول الأخير التأثير عليه لاتخاذ قرار يقضى بانحيازه إلى دول الحلفاء (بريطانيا – فرنسا وحلفائهما). وأشار السلطان الشهيد علي دينار في رده عليه إلى أنه قد علم من خطاب المذكور أخبار الحرب الدائرة بين سلطان الإسلام وبـين بريطانيـا ويؤنبه على رغبته في أن ينتصر المسيحيون على المسلمين. ويختم السلطان خطابـه بأن يسال الله أن يجعل الدائرة على المسيحيين وأن ينتصر الإسلام أهله[16]. هذا تعبير صادق عن مشاعر إسلامية حميمة وعاطفة دينية عميقة، وانتماء حقيقي غيـر زائـف الأمر الذي يجافى ما يدور في دارفور الآن من حيث البداية ومن حيث الأهداف، ومن حيث الوعي والتعاطي مع الواقع بمسؤولية وعقلانية. فدارفور الماضي كانت محـور الأحداث على المستوى الإقليمي والعالمي من حيث طموحاتها وأهدافها ومـن حيـث نظامها السياسي وموروثها الحضاري. والآن يحاول أحفاد هؤلاء الأماجد أن يحشروها في جحر ضب من العرقية والجهوية وحب الذات والكسب الرخيص بأن يجنوا أمـوالاً على حساب تاريخها الناصع وماضيها المجيد وتراثها الفريد. وحاول نوري بـك مـن جانب آخر أن يزود السلطان الشهيد علي دينار بكميات من الأسلحة من بنادق وذخيرة كافية. الأمر الذي يشد من أزره ويقوي من عزيمته حيث أرسلت إليه الأسلحة من ليبيا وفقاً لتعليمات أحمد الشريف السنوسي بعد تأكده من علاقته الطيبـة مـع السنوسيين الموجودين في الفاشر[17].

- **المبحث الثامن:-**

السلطان الشهيد علـي دينـار وخيبـة الأمـل في القيـادات الوطنيـة والزعامات الطائفية

وشعر السلطان الشهيد على دينار بخطورة الموقـف وعـدم تجـاوب الأعيـان والمشايخ وتأثرهم بالدعاية الإنكليزية في البلاد فأرسل خطاباً إلى السلطان محمد رشاد مطلعاً إياه على الأحوال الجارية في البلاد حيث يقول: (فبدى أن النـصارى الإنكليـز

(16) السلطان إلى عبد المسيح الأنطاكى فى 1915/10/26م (17 ذو الحجة سنة 1333هـ) S.N.A.intell.4/10

(17) كلايتون إلى الحاكم العام فى 1915/12/25م D.S.A.BOX.131/6

بعدما ملكوا السودان جميع المسلمين بشرق السودان العلماء والفقهاء ومشايخ الطـــرق وغيرهم ارتدوا وصاروا على ملة النصارى واتبعوهم في أقوالهم وأفعالهم وخرجـــوا عن دين الإسلام وأعيانهم صاروا يكاتبونا ويثنوا على دولة الإنكليـــز ويمـــدحوها .... وردت لنا بالجرائد شهادات من أعيان السودان وأهالي النواحي مـــادحين فيهـــا دولـــة الإنكليز بتمويهات مكذوبة. وقد بلغنا أن جلالتكم أعلنتوا الحرب مع أعداء الدين الكلاب الإنكليز وفرنسا والطليان وكافة النصارى. فالله سبحانه وتعالى هو المسئول أن ينصر دينه ويؤيده ... ويعلى كلمة الحق في عموم أقطار الدنيا)[18] .

هذا الخطاب يلقي الضوء على علاقة السلطان الشهيد على دينار بالحكم الثنـــائي البريطاني منذ الوهلة الأولى. فهو يرى أن الحكم الثنائي البريطاني عبارة عن سيطرة الإنجليز وهي سيطرة ذات وجه مسيحي في السودان. وإشارته إلى أن الأعيان والعلماء ومشائخ الطرق قد ارتدوا ربما أراد بذلك السير علي الميرغني وعبد الرحمن المهـــدي والشريف يوسف الهندي في ركاب الحكم الثنائي البريطاني. وترينا هذه الكلمات التـــي وردت بهذا الشأن مدى غيظه من سلوكهم غير الـــسوي وإتبـــاعهم لأعدائـــه الكفـــار وممالأتهم للنصارى ضد المسلمين. لاسيما بعد ورود شهاداتهم التـــي تـــوحي بعدالـــة وصلاحية الحكم النصراني في البلاد. ومعلوم انه لا يحق لأي مسلم موادة الكفار بـــأي كيفية وتحت أي مسمى مادااموا قد أعلنوا الحرب ضد إخوانه في الدين وضـــد الدولـــة التي تحمي بيضة الإسلام. وذلك بعد أن تعين فقهاً الجهـــاد ضـــد الحكـــم الانجليـــزي وأعوانه سواء أكانوا في السودان أو فـــي أفريقيـــا عمومـــاً او فـــي العـــالم العربـــي والإسلامي. وقد وردت بذلك آيات محكمة في سورة المائـــدة: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** [51] **فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى اللّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُواْ عَلَى مَا أَسَرُّواْ فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ** [52]) هذه الآيـــات بـــدلالالتها الواضـــحة

---

[18] السلطان على دينار إلى السلطان محمد رشاد 1915/12/25م(23 ربيع الأول سنة 1333هـ).
S.N.A. INTEL/3/12 .

وبمعناها ومراميها تشكل مرتكزاً قوياً للسلطان الشهيد على دينار في دعواه واتهامــه للذين يسيرون في ركاب الحلفاء من الزعماء المحليين الذين انحازوا للصف الكافر ضد تركيا العثمانية دولة السلطنة الإسلامية وحامية بيضة الإسلام.

وكان السلطان الشهيد علي دينار موقناً في قرارة نفسه بأن ما جاء من قبل هؤلاء الأعيان والخطابات التي أرسلوها له بغية إقناعه للانحياز للإنكليز هي لا تعــدو فــي مجملها عن كونها تمويهات مكذوبة وقع فريستها هؤلاء الشيوخ والفقهاء والأعيــان – ممن قعدت بهم الهمم وقصرت نظرتهم عن الشمول. ومن جانــب آخــر فقــد أحــاط السلطان الشهيد علي دينار رسائله إلى السلطان العثماني بقدر من السرية البالغة. هــذا لضمان وصول خطاباته والحصول على ردها حيث قام بإرسال خطاب عــن طريــق أحمد الشريف بواسطة مبعوث خاص من قبله. وطلب مــن الــسيد أحمــد الــشريف السنوسي كتمان أمر هذه الرسالة حتى وصول الرد من تركيــا العثمانيــة وإعطائــه لمبعوث السلطان الشهيد علي دينار الخاص.[19]

- **المبحث التاسع:-**

السلطان الشهيد علي دينار ومراسلات الدولة العثمانية في فترة الحرب الأوروبية الأولى

وفى الخطاب ذاته والذي تمت الإشارة إليه في المبحث الثــامن ذكــر الــسلطان الشهيد علي دينار بأن رسالته للسلطان محمد رشاد تتضمن أموراً في غايــة الأهميــة والخطورة. وآثر تزويد مبعوثه بها ليبلغها لأحمد الشريف السنوسي شفاهة لئلا يتعرض مبعوثه لتفتيش من قبل استخبارات الحكومة الثنائية البريطانية يعثر فيه على مكتــوب. ويشير في ذات الخطاب إلى تشديد الرقابة من قبل الإنجليز أعداء الله ورسوله. ويأمل كتمان السر والتصرف بحكمة[20].

---

[19] السلطان إلى احمد الشريف فى 1915/12/25م (23 ربيع الأول سنة 1334هـ) S.N.A.INTELL .3/12

[20] السلطان إلى احمد الشريف فى 1915/12/25م (23 ربيع الأول سنة 1334هـ)
S.N.A. INTEL/3/12 D.S.A.BOX.129/7.

فيما يبدو انه أراد أن يحيط خطابه ذلك بالسرية لما تضمنه من معلومات في غاية الخطورة والأهمية وهى كشف الخطط الاستعمارية الاحتلالية في السودان التي اقتضت استقطاب كبار رجالات القبائل والمشائخ والعلماء. ووصل بهم الحد إلى أن يـــصدروا بيانات يدعون فيها كل أهل السودان إلى الانضواء تحت راية الإنجليـــز والفرنـــسيين أعداء الله. وأن الله تعالى لابد أن يحقق نصره. وإعلان الجهاد في مثل هذه الظـــروف كفيل بتحقيق هذه الغاية. وأرفق مع ذلك الخطاب بعض البيانـــات والمطبوعـــات فـــي جريدة السودان والتي تثبت صدق مقولته.وليطلع السلطان محمد رشـــاد علـــى حقيقـــة الأوضاع في السودان[21]. من خلال ما مضى يتضح مدى قراءة السلطان الشهيد على دينار لمعطيات الواقع قراءة موضوعية ومنطقية تتسق وسلامة فكرة وتناسق ذاته وأنه كان متفوقاً على زمانه وذاته تحليلاً وموضوعاً وقراءة وذكاء. فالإسلام فكر واع رشيد والتزام سديد ودعوة إلهية راشدة ومنهاج غاية في الوضوح ليس جلباباً يلبس ويخلـــع وفقاً لمقتضى الحال كما فعل غيره ممن فعل في السودان من بعده وفى خارج السودان وليس لحىً تسدل أو مسابح تطقطق أو عمائم تلبس وإنما هو منهاج حياة وتشريع أمـــة وعدالة سماء ودماثة خلق وميزان عدل ونور سماء.

- **المبحث العاشر :-**

مبررات خروج السلطان الشهيد علي دينار وقيادته المقاومة الوطنية الأولى

فمنطلق السلطان الشهيد على دينار في حربه وخروجـــه علـــى الحكـــم الثنـــائي البريطاني في البلاد مؤسس **أولاً**: على قناعة ذاتية لحمتها وسداها عدم مولاة الأعـــداء من الكفار. وقد تواترت النصوص الشرعية الدالة على هذه المعاني. **ثانياً**: أن الكفـــار قاموا بالاعتداء على بلاده ولابد من ردهم بالقوة. وهذه من الحالات التي يتعين فيهـــا الجهاد من وجهة نظره وهذا هو عين الصواب شرعاً حيث وردت طائفة مـــن آيـــات القرآن وأحاديث المصطفى (ص) بهذا المعنى. ومما لا شك فيه أن هذه من الحـــالات

---

(21) على دينار إلى السلطان محمد رشاد فى 1615/12/25م.
S.N.A. INTEL/3/12. See also .- D.S.A. Box 129/7.

التي يتعين فيها الجهاد وينتقل من فرض الكفاية إلي فرض العين حسب ما هو مقــرر في كتب الفقه الاسلامي.

ولعل هذه القناعة التامة بأهداف التحرك وشرعية الموقف العثماني جعلتاه يراسل الأعيان بغية إقناعهم وإغرائهم بنقل أخبار الجبهة العثمانية والسنوسية إليهم ففي خطاب بعث به إلى الشريف يوسف الهندي ذكر له فيــه أن الــسلطان محمــد رشــاد وأولاد السنوسي قد قتلوا عدداً كبيراً من الأعداء. وأنهم قد أرسلوا إليه تحت إشراف قيس كريم وآخرين ألفين وأربعمائة بندقية وأربعمائة صندوق[22]. تلك محاولة جــادة مــن قبــل السلطان لإغراء هؤلاء الزعماء وتحفيزهم للنهوض ضد الحكــم الثنــائي البريطــاني إلا أنهم كانوا أضعف من أن يحركوا ساكناً أو يقتلوا نبابةً وكما جاء في المثل الــسائر الذي هو قطعة من بيت شعر:- ما لجرح بميت إيلام.

وفى يناير سنة 1916م. فض السلطان ما بينه وبين الحكم الثنائي البريطاني تماماً وأعلن عداوته له. وقد قصد من ذلك إرهاب الحكم الثنائي البريطاني وإشــعاره بــأن موقفه الحالي قد اتخذه نتيجة سياسة عثمانية دارفورية موحدة[23]. وتوالــت خطاباتــه النارية بعدئذ مؤكدة موقفه السابق وميله إلى سلطان تركيــا العثمــاني والــدفاع عــن الأهداف التي وضعها سلطان تركيا العثماني نصب عينيه.[24] وتأصيلاً لهذا الدور فقد أرسل خطاباً إلى نائب السلطان العثماني والقائد العام. في هذا الخطاب يذكر الــسلطان الشهيد علي دينار أن سبب إثارته للحرب ضد قيادة الحكــم الثنــائي البريطــاني فــي السودان هو الاستجابة الفورية لنداء الدّولة العثمانية وتنفيذاً لأمر الله بمحاربــة الــذين يلونه من الكفار. حيث أضفى بذلك بعداً جديداً على موقفه القومي والوطني والرجولي بتأكيده بأنه لا يوجد مسلمون متمسكون بدينهم الحق لا علماء ولا أشراف. وكأنه بذلك يعرض بمن ينتمون إلى الأشراف من أمثال الشريف يوسف الهندي وعلي الميرغنــي وعبد الرحمن المهدي الذين يقطنون الخرطوم ويعيشون في كنف النظام البريطاني في

[22] على دينار إلى السلطان محمد رشاد فى 1915/12/25م S.N.A. INTEL/4/10

[23] السلطان إلى مفتش وحاكم ردفان 3/يناير سنة 1916م S.N. A. INTEL /4/10.

[24] تقارير المخابرات S.I.R . 259/4 - 5 .Feb. .1916

دعة عيش وراحة بال، ولم يحركوا ساكناً خوفاً من بطش الانجليز بهم، وغيرهم مـــن الناس الذين يقطنون دارفور الذين لا يحتمون بمن يحكم أو كيف يحكم. إن هذا الخطاب بمفرداته الآنفة الذكر يوحي بأنه قد يئس مـــن هـــؤلاء الـــشيوخ وأولئـــك الزعمـــاء والأشراف. وأنهم كانوا في حقيقة الأمر دون الدور المنوط بهم تاريخياً فـــي مقاومـــة المحتل الغاصب، بل أصبحوا بوعي أو دون وعي وبرغبة أو برهبـــة أبواقـــاً وأدوات استعمارية أوروبية كما هو شأن الأحفاد الآن على مستوى دارفور أو علـــى مـــستوى السودان عموماً. وظل السلطان الشهيد علي دينار في كل مناسبة تتسنى ينتهز الفرصة السانحة ليؤكد على أصالة موقفه، وموروث سلطنته، إذ يعرف نفـــسه ودولتـــه بأنهـــا سلطنة قامت منذ القديم وضعفت بمرور الأيام ويصف أسرته بأنها أسرة عباسية تنتمي إلى بيت الرسول (ص). ولعله بذلك يشير إلى أنهم ينتمون إلى دولة ابن حسن كـــردم كما جاء في بعض أشجار النسب السودانية ويلتفون مع القبائل العربية الـــسودانية أي المجموعة الجعلية في أصولها. أو أنه من نسل احمد المعقور الهلالي. وأشار إلى أنـــه لا يملك في الوقت الراهن سلاحاً ولا ذخيرة كما هو الحال بالنسبة إلى الدولة العثمانية التي تملك العتاد والرجال بيد أن دارفور تملك ارادةً ورجالاً وخيلاً وإيماناً بالله وحـــده واعتماداً عليه وثقة به.[25] إشارة إلى أنه يملك قوة معنوية وكافة الأســـباب الممكنـــة للنصر ويؤكد بأنه على استعداد لبذل أقصى ما يمكن في سبيل دينه وعقيدته متى مـــا توفرت لديه قوة مادية أكبر وعتاد أوفر.

• المبحث الحادي عشر :-

بريطانيا وتشويه سمعة السلطان الشهيد علي دينار

وشعر الحكم الثنائي البريطاني بخطورة الموقف إذا ما نجحت مساعي الـــسلطان الشهيد علي دينار في المنطقة فاقتضاه ذلك إجراء تجهيزات وترتيبات عاليـــة. وشـــن

---

[25] السلطان على دينار إلى انقر باشا بواسطة حسين عارف فى 12 مارس سنة 1916م (8 جمادى الأولى سنة 1334هـ). D.S.A.BOX. 129/3

على السلطان الشهيد حملة إعلامية قويه منظمة بغية تشويه سمعته ووصمه بالخيانـــة وإلى ذلك يشير القائد الانجليزي (كالى) بقوله: (إن على دينار قد استلم خطابات مـــن الأتراك والألمان تعزز من موقفه وتشجعه على الخـــروج علـــى الحكومـــة الثنائيـــة البريطانية. وقصد أولئك من هذا هو شغل الحكومة الإنجليزية وجيشها حتى لا يرســـل إلى جبهة أخرى. أما بالنسبة إلى السلطان الشهيد على دينار فانه قد أصبح ضحية لهذا المخطط ليواجه مصيره المحتوم. وأضاف قائلاً بأن السلطان رجـــل غيـــر متحـــضر وجاهل غير مهذب وقد أصبح مغروراً ومعتزاً بأمجاده مخدوعاً بمن حوله)[26].

لقد أراد الحكم الثنائي البريطاني بهذه الكلمات الفجة، وبهذه الأوصاف الوضيعة، أن يشوه سمعة السلطان الشهيد علي دينار وقلب ظهر المجن لـــه ظهراً علـــى عقـــب وهذا شأن أوروبي وغربي قديم حديث فما دمت خادماً لمصالحهم فأنت بطل الأبطال، ويوم أن تتمرد أو تبدي قدراً من التبرم والتضجر فأنت أسوأ من مشى على البـــسيطة دون تحفظ. ولعل هذه الكلمات الصادرة عن الحاكم العام وزمرته تعبر عن مدى الغيظ والحنق الذي يعتمل في نفس القيادة الثنائية الانجليزية تجاه وقوف السلطان الشهيد علي دينار في صف الجماعة المسلمة وعدم موالاته للكفرة والنصارى. وكان الغرض مـــن هذا الخطاب هو تهدئة الأحوال بعد ظهور بوادر التمرد بين قطـــاع الجـــيش الثنـــائي الإنجليزي المصري في الجبهة الغربية. وحاول بعض من الضباط المصريين الغيورين على أوطانهم ودينهم الاتصال بالسلطان الشهيد علي دينار والتنسيق معه رغمـــاً عـــن إرادة قياداتهم العميلة كما أشار إلى ذلك (كالى) في خطابه[27]. الأمر الـــذي يعنـــي أن السلطان الشهيد علي دينار لم يكن كما وصفه (كالي) بعدم التحضر والتهذيب لأنه لـــو كان كذلك لما كان جاذباً لتلكم العناصر التي انحازت إلى قيادته والى صفه ضد الوجود الأجنبي في كل من مصر والسودان ولو كان كذلك لما انحاز إليـــه ضـــباط متقفـــون وواعون قدموا من بلد متحضر ولم يكونوا على ذلك القدر مـــن الـــسذاجة والبـــساطة لينقادوا إلى رجل جاهل وغير متحضر وغير مهذب على حـــد تعبيـــر هـــذا القائـــد الانجليزي الأفاك.

[26] كالى إلى جميع الضباط وقيادة الهنود فى 191/3/13 D.S.A.BOX.127/8
[27] المصدر السابق.

ولربما يفسر ذلك الموقف البطولي والوطني للسلطان الشهيد علي دينار وصـــف (كالي) للسلطان بأنه غير متحضر وجاهل إلى غير ذلك من ألفاظ السب والشتم التـــي قصد منها تزهيد الناس في إتباعه وهو أسلوب سياسي رخيص قديم حـــديث تنتهجـــه الحكومات والأحزاب والجماعات ضد من يرفع عقيرته عليها أو من ينـــسلخ عليهـــا. والآلة الغربية الإعلامية الحالية تتبع هذا الأسلوب بعلمية ومنهجية دقيقة لحرق أوراق كل من لا يقف ومصالح الغرب في خندق واحد .. وقد أتت هـــذه الـــسياسة الثنائيـــة البريطانية ثمارها حين وقع الناس نتيجة المناهج الدراسية التي وضعها المستعمر وردد أصداءها تلاميذه من أنصاف المثقفين والأكاديميين ضحية للدعاية الإنكليزيـــة حيـــث حجبت الإدارة البريطانية في السودان بوعي وبتخطيط مدروس أدوار السلطان الشهيد علي دينار المشرقة وبطولاته الإيجابية عن الأمة وعن أجيالها الصاعدة التي أضـــحت تردد المقولات الغربية بغباء. مما جعل الناس وحتى الباحثين لا يعرفون عنـــه كثيـــر شيء سوى ما كتبه بعض الباحثين الغربيين وإن كان ذاك الذي كتـــب لا يخلـــو مـــن تحليلات مغرضة وتجيير للحقائق وتزوير للوقائع وهي في كثير من جوانبها لـــصالح أمة الكاتب[28]. والآن نحن ندرك ونرى ونسمع ما تقوم به الآلة الإعلاميـــة الغربيـــة والأمريكية في مجال قلب الحقائق من حيث جعل الحق باطلاً، والباطل حقاً، والجبـــان بطلاً والبطل جباناً وخائناً والمدافع عن وطنه وبلده إرهابياً والبائع لبلـــده والإرهـــابي الغادر بطلاً قومياً، والجاهل البليد مفكراً والمفكر الحر الذي لا يشق له غبار منبـــوذاً، الأمر الذي يقتضي مراجعة شاملة من قبل عقول وأقلام حرة لتاريخنا وفقـــاً لوثـــائق وتحليل موضوعي ومنطقي بعيداً عن المؤثرات الخارجية فتاريخ أي بلد كـــان، فـــإن أدرى الناس به هم أهل البلد المخلصين النجباء لا العملاء والمغفلين ولا الأجانب الذين حوروا وبدلوا وفق أهوائهم كثيراً من الحقائق التاريخية واجبـــروا الجيـــل الأول مـــن الباحثين في بلادنا من الذين تلقوا التعليم على أيديهم وفي مؤسساتهم على تبني آرائهـــم وإرضائهم حتى يتمكنوا من الحصول منهم على شهادات عليا من جامعـــات الغـــرب، وينبغي ألا نغتر بحرية البحث والتفكير وحيدة المناهج التي غدت أكذوبة وبالونة فارغة

(28) انظر A.B. THEOBALD. OP.CIT

لا تنطلي إلا على كل مغفل نافع أو عميل مبـــاع فـــي ســـوق النخاســـة الماســـونية الصهيومسيحية في المؤسسات الأكاديمية الغربية أو الشرقية عموماً. فلكلِ ثمن مدفوع سياسياً أم أخلاقياً أم دينياً .

• **المبحث الثاني عشر:-**

نجاح السلطان الشهيد علي دينار في إقناع عدد من القيادات العسكرية المصرية في الانضمام إليه

يبدو واضحاً من خلال الوقائع وخطابات الاستخبارات الانجليزيـــة أن الـــسلطان الشهيد علي دينار قد تمكن ببراعة وبذكاء من أن يحدث تمردا داخل الجـــيش الثنـــائي البريطاني في البلاد. وأعرب بوضوح وبجلاء وبمنطق مقبول عـــن عدالـــة قـــضيته، ووضوح رؤاه، وسلامة منطقه، بقوة وبوضوح حيث أقنع كل ذلك عدداً من الـــضباط والجنود المصريين بسلامة موقف السلطان الشهيد علي دينار وأبدوا تعاطفاً وانحيـــازاً تاماً لصفه فهجروا ثكناتهم غير نادمين وولوا وجوههم شطر معسكرات السلطان الشهيد علي دينار في دارفور. وقد خاطروا في سبيل ذلـــك بحيـــاتهم وبمـــستقبلهم المهنـــي والأسري بهذا الانحياز إلى معسكر السلطان الشهيد علي دينار الـــذي فـــتح ذراعيـــه لاستقبالهم، وأثبت لهم بموضوعية وبعقلانية شرعية الموقف العثماني ووجوب الوقوف بجانبه. واقتضى ذلك النجاح الحكم الثنائي البريطاني أن يقوم بتصفيات وســـط القيـــادة الغربية وخسران عدد من القوة الغازية. وبدأت الإدارة الثنائية البريطانية تتصرف بعدم اتزان وعقلانية حيث تم حبس بعض الشخصيات القيادية في النهود[29]، ويئست القوات الثنائية البريطانية وقيادتها من استقطاب السلطان الشهيد علي دينار إلى صفها وشعرت بخطورته وتهديده لوجودها. ولعل مما يؤكد نزاهته ووطنيته وأن كثيرين ممن جهلـــوا حياته وسيرته وقعوا ضحية الدعاية المغرضة ضده من قبل الحكم الثنائي البريطاني ما جاء على لسان الملازم المصري محمد أفندي عبد الموجود الذي وجـــه خطابـــاً إلـــى إخوانه الضباط والجنود المصريين العاملين في الجيش الثنائي البريطاني، أكد فيـــه أن

---

[29] مجموعة المجاهدين بالغرب إلى السردار في 1916/3/18م D.S.A.BOX.127/8

الكلام الذي ذكره (كالى) قائد القيادة الغربية والحاكم العام في حق السلطان على دينار من الظلم والاضطهاد لا يعدو عن كونه هراء وكذباً صراحاً. ونفى الزعم القائل بـــأن السلطان الشهيد علي دينار عنصري يكره كل الوافدين من غير سكان دارفور، فقـــرر أن ذلك كله كذب محض. فهناك في دارفور أتراك ومصريون وغيـــرهم مـــن شـــتى الأعراق والاثنيات. وأشار الضابط المصري محمد أفندي إلى انه حين قدومه دارفـــور استقبل بحفاوة بالغة. وهتف الجنود (الله اكبر، الله اكبر) وأشار أيضاً إلى وجود عـــدد من الأشخاص مبتعثين من قبل السلطان العثماني محمد رشاد فـــي دارفـــور. ودعـــا الملازم المصري محمد أفندي الجنود والضباط المصريين والسودانيين في النهود فـــي ختام خطابه إلى النهوض ضد الوجود الأجنبي والثورة على الكفار والمشركين وأعوان الجيش الغازي الكافر[30].

• **المبحث الثالث عشر :-**

السلطان الشهيد علي دينار وتهمة العنصرية

مما مضى يتضح أن السلطان علي دينار لم يكن عنصرياً معصوباً بعرقية بغيضة كما حاولت الحكومة الثنائيةُ البريطانية وصفه بذلك. ولم يكن ظالماً حيـــث صـــورته الدعاية الإنكليزية متهمة إياه باضطهاد أتباعه. ولعل الكثيرين من الباحثين والمفكـــرين السودانيين الأوائل وقعوا فريسة هذه الدعاية الاستعمارية الغربية الحاقدة التي تطاولت على شموخ وكبرياء كل القيادات الوطنية في القرن التاسع عشر المـــيلادي وبـــدايات القرن العشرين في محاولة جادة ومدروسة من أجل تبخـــيس دورهـــا البطـــولي فـــي التضحية والاستبسال والدفاع عن العباد والبلاد وهدم الأنموذج وإسقاط المثال الأعلـــى للشعب. ولا يخفى أن وجود جنسيات متعددة، وشعار الله اكبر، والاتـــصال العثمـــاني الدارفورى هذه كلها مؤشرات تضع السلطان الشهيد علي دينار فوق كل الاعتبـــارات الإقليمية المحدودة من حيث الجهد والتخطيط والفكر والرؤية والإستراتيجية والتضحية والفهم والتعاطي مع الواقع بفاعلية وباقتدار فهذه هي دارفور التاريخ والمواقف والإرث

[30] الملازم محمد أفندي عبد الموجود 1916/3/17م 013 جمادى الأولى سنة 1334هـ
D.S.A.BOX.127/8

الحضاري الفاعل والمجاهدات الكبيرة التي يريد الاستعمار الحديث والمعاصر وأعوانه أن يقلصوا ويحجموا من دور دارفور الريادي وأن يكفكفوا تاريخهـا ويعملـوا علـى حصرها في دائرة ضيقة وأن يضطروها إلى جحر العصبية ونفق الإثنية المظلم. لقـد كانت دارفور ولا تزال وستظل درة في تاج وطننا السودان وستظل غرة فـي جبـين رغم ما يجري فيها الآن فهو سحابة صيف تتقشع إذا تحاكمنا إلـى العقـل والحكمـة وعقلاء وحكماء دارفور فهم كثر، ولكنهم في ظل العمالة الحديثة تقلص دورهم، أما إذا أعطيت القوس لباريها فان الأمور والمياه ستعود إلى مجاريها الإداريـة والتنظيميـة والقبلية والعشائرية، فدارفور غنية بعقولها وحكمائها وفضلائها وحكاماتها الفـاعلات في المجتمع الدارفوري إلى حد الحسم والإقصاء مـن الحيـاة العامـة والاجتماعيـة والسياسية والاقتصادية.

وقام الشهيد السلطان الشهيد على دينار من جانبه بالاتصال بالخديوي عباس حلمي ولعب هذا الدور الخطير سفيره فوق العادة الشيخ محمد سيماوى فقام بالـسفارة بـين الرجلين أثناء تواجده في مكة. حيث التقى هناك بالخديو عباس حلمي وتـذكر إحـدى الوثائق ما نصه: (لقد ظهر جلياً أن الشيخ محمد سيماوى قد قابل الخديوي (هكذا) ولعل ذلك خطأ لأن لفظة الخديو تنطق بدون ياء وهو الصحيح ما أشار إلى ذلك أحد الباحثين المصريين في ورقة قدمها إلى ندوة (العرب والتحديات عبر العصور) بجامعة القاهرة/ كلية الاداب / قسم التاريخ في الفترة 17-2007/5/19م المخلوع في الحـج وأجـرى معه محادثات الأمر الذي كان له أثره الواضح على موقف السلطان على دينار تجـاه خلع عباس حلمي وعدائه للخديوي حسين)[31] .

بيد أن المتتبع للأحداث يلاحظ أن العلاقة بين الخديو عبـاس حلمـي والـسلطان الشهيد على دينار لم تنشأ بعد خلع الخديو. وإنما بدأت منذ فترة مبكرة سبقت الإشـارة إليها. وقد لعب سلاطين باشا النمساوي دوراً هاما في نشوء هذه العلاقة. وتؤكد هـذه العلاقة المتينة والمتجذرة على أن السلطان الشهيد على دينار لم يكن يعادي حكام مصر

(31) الحاكم العام إلى كتشنر ووزارة الحربية البريطانية فى 1916/4/24م .D.S.A.BOX.128/3

أو المصريين بصورة عمياء - على الرغم من أن الخديوية هي التي هـــدت عـــرش سلطنة دارفور واسقطت آخر سلاطين دارفور في نهايات القرن التاسع عشر الميلادي، وزعزعت أركانه منذ الغزو الأول سنة 1822م بانتزاع إقليم كردفان - يؤكد ذلك ما مر ذكره عن محمد عبد الجواد. وهو مصري المولد والمنشأ والثقافة بيد أن قاسم الدين وهو أقوى من كل القواسم الأخرى دفع به إلى الانحياز إلى جانب الحـــق والانخـــراط في صفوف قوات سلطنة دارفور النظامية دون تمييز أو رائحة عنصرية بأي درجـــة من الدرجات التي تم التركيز عليها الآن من قبل عملاء في الخارج وطـــابور خـــامس في الداخل.

وفى الواقع أن دارفور هي المنطقة المفصلية الهامة قد تكون الأولى أو الثانية بعد مملكة سنار في السودان التي قد ارتبطت بمصر ارتباطاً ثقافياً وحضارياً مستمراً عـــن طريق الرواق الدارفورية والرواق السنارية بالأزهر، واقتصادياً عن طريق مـــصالح اقتصادية حيوية منذ القدم (طريق الأربعين) - ولذلك فان القول بان أهل دارفور كانوا ينظرون إلى هذه العلاقات بصورة عاطفية (حب أو كراهية) أمر لا يستقيم لـــدى ذوي العقول والبصائر. ذلك لأنها علاقة أزلية وعلاقة ثقافية وروحيـــة توطـــدت أركانهـــا وتوثقت عراها بعد قيام سلطنة دارفور الإسلامية حيث قدمت عوائل مصرية أقامـــت بدارفور وتمازجت مع أهل البلاد الأصليين وقدمت عوائل مغربية وحجازية وتونـــسية ويمنية ودخلت في نسيج دارفور واصبحت جزءاً من دارفور لحمـــاً ودمـــاً وتاريخـــاً وثقافةً وإرثاً، وأضحت دارفور منطقة جذب سياسي واقتصادي وروحي وفكري خلال خمسة قرون إلا قليلا من الزمان. وهى فترة ليست بقصيرة بكل المقاييس.

ويؤكد ذلك أيضاً إدراك السلطان الشهيد على دينار لاتجاهات النظـــام الـــسياسي في مصر. فصداقة السلطان الشهيد علي دينار للخديو عباس ناتجة عن ميول الأخيـــر للدولة العثمانية ووقوفه مع القضية الإسلامية، والتزامه جانب الصف المـــسلم. وهـــذه ذات الأسباب التي اقتضته - أي السلطان الشهيد علي دينار- الخروج علـــى الحكـــم الثنائي البريطاني في البلاد وإعلان الحرب ضده. وبالتالي فإن عداوته للخديو حـــسين

كانت ناتجة عن كون الأخير أمسى دمية في يد القوى الأوروبية المعادية التي كانـــت سبباً في تنصيبه.

لذا أبدى السلطان الشهيد علي دينار معارضة قوية لخلع السلطان عباس حلمـــي. وعرض بالحاكم العام الإنجليزي وقدرته على تغيير أو تبديل شيء، بقولــــه أن الملـــك لله يؤتيه من يشاء. وذكر بأن الحاكم العام أضعف من أن يصل إليه ناهيك عن خلعــــه. كما أكد بأن عباس حلمي موجود وسيعود إلى العرش[32]. هذا الخطاب قد صدر بلهجة دارفورية حادة وقوية مما يوحى بأنه رد على مراسلات دارت بين الطرفين - الحاكم العام والسلطان الشهيد على دينار. وفيه إيماءة إلى ورود تهديد واســـتفزاز مـــن قبـــل الحاكم العام له بخلعه كما خلع الخديو عباس. وأن مصيره ســـيكون مـــصير الخـــديو المخلوع عباس حلمي. ولذا سخر السلطان الشهيد علي دينار من الحاكم العام ومـــدى قدرته على زحزحة شخص أو الوصول إليه وخلعه. ويعكس هذا الخطاب أن الصفوف قد تمايزت وأن المواقف قد تحددت وأن التهديد لم يعد يجدي شيئاً مـــع الـــسلطان وأن إيمانه قوي بأن النصر من عند الله.

ومعارضة السلطان الشهيد على دينار لخلع الخديو كانت نابعة من وحدة الهـــدف والوفاء لما هو قائم بين الطرفين من اتفاق يلمحه المرء - بين سطور الوثيقة بقوله: أن الخديو موجود وأنه سوف يعود. هذه التأكيدات لا يستبعد أن تكون ناتجة عن اتـــصال وتخطيط مشترك بين الجانبين. وبالتالي فإن السلطان قد تجاوز حدود المحلية الـــضيقة إلى آفاق التنسيق الإقليمي والدولي. وما فتئ السلطان الشهيد على دينار يؤكد مواقفـــه الإسلامية ويكرر محاولاته للاتصال بالدولة العثمانيـــة، محـــاولاً اختـــراق الحـــواجز الإنجليزية المصرية. ولكن يبدو أن التدابير الثنائية البريطانية كانت علـــى قـــدر مـــن الإحكام حيث يقول السلطان الشهيد على دينار: (لقد حاولنا إرسال رسلي إلـــي مـــصر لمقابلتكم ولكن الإنجليز قاموا بمراقبتهم فلم يتمكنوا من أداء مهمتهم حيث فتشوهم ولـــم يتركوا معهم شيئاً مما أرسلناه إليكم وحتى الآن ومنذ إعلانكم الحرب سنة 1332هـــــ.

(32) المصدر السابق.

لم يصلنا منكم خطاب ولا خبر واحد ولكن نحن من جانبنا ما أن علمنا بخبر الحرب قطعنا صلاتنا معهم. وعند وصول خطابنا هذا إليكم نرجو إعلامنا بالذي يجب إتخاذه من خطوات)[33]. لم يأل السلطان الشهيد على دينار جهداً في الإتصال بالدولة العثمانية رغماً عن كل التدابير الثنائية البريطانية التي قطعت الصلة القائمة بينه وبين الدولة العثمانية. فعمل على فتح قناة أخرى عن طريق الشمال بواسطة ليبيا والثانية عن طريق مصر والثالثة عن طريق الحجاز. بيد أن التدابير الثنائية البريطانية كانت مطبقة ومحكمة على محاولاته من كل الجهات. ولا يزال السلطان يقرر أن طبيعة الحرب المعلنة من قبله هي حرب طبيعتها دينية.

وفى خطاب آخر كشف فيه السلطان الشهيد على دينار عن خطط الحكومة الثنائية البريطانية الرامية إلى مكاتبة عدد من الشيوخ والعمد الدارفوريين والمسئولين في سلطنة دارفور لإثناء السلطان عن مواقفه[34]. وهو إجراء طبيعي لهدّ البنية من الداخل من قبل الحكومة الثنائية البريطانية أو خلق ما يسمى بالطابور الخامس لنقل أسرار وخطط السلطان الشهيد علي دينار إلي الجهة المعادية له. ولكن من جانب آخر فإن خطاب السلطان علي دينار المتقدم يدل على تنبهه لما يجري حوله من تدابير عدائية ومدى إطلاعه على مجريات الأحداث ومتابعته المستمرة وتطلعه لمعرفة ما يدور في الساحة الإسلامية الواسعة التي تتجاوز حدود دولته. ولا شك من أن ارتفاعه عن الإقليمية الضيقة هو الذي جعله لا يستجيب لمحاولات الحكومة الثنائية البريطانية. وأن هذا الارتقاء كان ناتجاً عن عقيدة راسخة وفكر نير ثاقب أكثر من أي شيء آخر.

ولا زال تفكير الحكومة الثنائية البريطانية قاصراً تجاه سياسة السلطان الشهيد الخارجية إذ كانت تعتبر أن السلطان الشهيد علي دينار قد راح ضحية للدعاية التركية العثمانية الألمانية. وهذا في حد ذاته يعتبر تجاهلاً تاماً للحركة الذاتية والقناعة العقدية التي شكلت لبنة ثورة السلطان الشهيد على دينار واقتضت عداوته لهذا الحكم الكافر

على دينار إلي السلطان محمد رشاد أبريل 1916م (8 جمادى الثانية سنة 1334هـ) D.S.A. Box. 129/3 .

على دينار آلي السلطان محمد رشاد فى مايو سنة 1916م D.S.A. Box. 129/3

الأوروبي بكل مدارسه واتجاهاته ومداخله. ومما لا ريب فيه أن تلك المحاولات الثنائية البريطانية كانت تشكل مستوى من التبخيس المتعمد والتقليل من شأنه واختصار مواقفه البطولية واختزالها لصورة مخلة وباهتة أو رمادية تزهيداً في الإقتداء به أو إتباعـــه. وهو أسلوب استعماري غربي قديم حديث. وسبقت الإشارة إلي أن الـــسلطان الـــشهيد على دينار هو الذي بدأ بمراسلة السلطان العثماني ابتداءً. ولا يخفـــى أن المحـــاولات الإيجابية للاتصال بالدولة العثمانية كانت دوماً من قبل السلطان الشهيد علـــي دينـــار. والواقع يقرر أن المسألة قد تجاوزت حدود الاستقطاب الـــرخيص أو الوقـــوع غيـــر الواعي فريسة سائغة لدعاية بعينها. فالسلطان الشهيد علي دينار كان في الأساس مسلماً معتزاً بدينه، وبموقفه الإسلامي وبطلاً قومياً يرفض الانحناء والخنـــوع لـــشذاذ آفـــاق الغرب المحتلين، وعداؤه لأعداء الإسلام قد تجاوز كل الاعتبارات وفاق التـــصورات الثنائية البريطانية، ولا أدل على ذلك من إشارة الحاكم العام بقولـــه: (منذ أربعة أشهر من الآن أعلن على دينار الجهاد ومنذ سنة بدأت خطاباته تحمل الشتم وذلك بعد نجاحه في أن يحصل على أسلحة من السنوسية. ولأن خطة الأتراك والألمـــان هـــي إشـــعال حرب في غرب السودان ومصر. وذلك بعد نجاحهم في أن يستقطبوا الـــسنوسي إلـــي جانبهم واستخدامه كوسيط بينهم وبين على دينار. ونجح الأخير في الاتـــصال بعلـــي دينار وإمداده بالسلاح فازدادت لهجة على دينار حدة)[35].

صحيح أن الخطة التركية العثمانية الألمانية كانت تقتضي إشعال حرب في غرب السودان. ولكن لولا وجود شخص وطني وقومي غيور على وطنه وقومه فـــي قامـــة السلطان الشهيد علي دينار وفي مستوى شموخه وشجاعته وجرأته غيور علـــى دينـــه متسلح بقناعة ذاتية، لما وجدت هذه المقاومة الشرسة في دارفور من يقودها لا يخفـــى أن الساعات الحرجة في تاريخ الأمم لها رجالها الشجعان وقاماتها الفاقعـــة ومقاماتهـــا وأرقامها فكان السلطان الشهيد علي دينار هو رجل الـــساعة المناســـب وقامـــة تلـــك الساعات الحرجة من تاريخ السودان الحديث والمعاصر ورقمها الصعب. ومن المعلوم

[35] SIR REGINALD WINGATE. OP. CIT. PP. 10307-8.

أن صلات سلطنة دارفور بالدولة العثمانية لها أبعاد تاريخية ووشائج روحية منــذ مــا قبل عهد السلطان عبد الرحمن الرشيد الذي أطلق عليه لقب الرشيد من قبل الــسلطان العثماني. وقد كان البلاط الدارفورى على مر التاريخ الوسيط والحديث مركزاً علميــاً ومحوراً من المحاور الهامة في العالم الإسلامي وقبلة للعلماء والمحتاجين. ومــصدراً دائماً لمحمل شريف تواصل عطاؤه لمصر ولبلاد الحرمين مدة خمــسة قــرون مــن الزمان فما من حاجٍ إلا وناله قدر من نواله وما من حاكم لمكة والمدينة إلا لــدارفور عليه يد ودين مستحق عبر التاريخ وكذا مصر. وعلى وجه العموم لقد حالــت تــدابير الحكومة الثنائية البريطانية دون استمرارية الاتصال المباشر بــين القــوى العثمانيــة والدارفورية. ولم تتمكن الدولة العثمانية من نجدته وإمداده بما يحتاجه من سلاح وعتاد في الوقت المناسب وبالقدر المناسب وبالكيف المناسب. ولربما يعود هذا العجــز إلــى انشغال الجبهة العثمانية بنفسها في جهات متعددة. ولم تتمكن ألمانيا هي الأخرى أيضاً من إمداد حلفائها بما يحتاجونه. ولم تنجح القوة الألمانية التركية فــي تــأمين طــرق الاتصال وإبطال مفعول التدابير الإنجليزية التي حالت بين هذه القوى الدارفورية وبين حصولها على ما تحتاجه من مدد وسلاح حتى تؤدى دورها كاملاً. ولو قدر لها ذلــك لتغيرت معالم السياسة الدولية ولأضحي للسودان شأن آخر علــى المــستوى المحلــي والإقليمي بيد أن الرياح قد أتت بما لا تشتهي السفن فسقط المخلص الوطني وبقى الزبد الجفاء فصارت مقادير أهل السودان بيده وتحت أمرته وإرثاً في أيدي حفدته فلله الأمر من قبل ومن بعد.



- المصـــادر والمـــراجـــع
- المـلاحـــق

المصادر والمراجع

1- المصادر الأولية :-

- المادة الأرشيفية (غير منشورة):

1- المخابرات السودانية (3) SUDAN INTEL

Intel	1/1/1-5 (A) 1/30 1/70 (H.B)(R) 2/1/3 –7(B)(F) 2/3/12-14(D)(G)	خطابات من والى السلطان علي دينار ما بين (1899م-1916م) هذا بالإضافة إلى تقارير مخابرات، والمجموعات غير منظمة وتسمى (منوعات)
Intel	7/1/1-18(K.J)(3) 7/2/1-20(C)(2) 7/3/1-14(R.E)(1) 7/4/1-10(F.O)(4) 7/5/1-13 (D)(5)	خطابات من والى السلطان ما بين (1899-1916م) منظمة ومرتبة تاريخياً منوعات (1900-1914م)

2- أوراق ر. و. R.W. Papers

Intel	30/1-3 (F)(6) 31/1-5(W.C)(7) 101/5,28-29 104/4-6(W.C)(8) 112/1 114/12(W.C)(9) 126/6 127/2-8(R.E)(10) 128/1-7 129/1-8(F.R)(7) 130/1-12(T.W)(3) 131/1-10(K.G)(12) 223/1-3 (H)(14)	تشمل مكاتبات رسمية وشخصية ويوميات ومذكرات مرتبة تاريخياً وتغطي الفترة من (1900-1916م)

	228/1-3(K.G)(5) 2/1-3,(K.G)(16) 234/5,6(T.R)(27) 270/6,300)(C.W)(30) 301/6(N.O)(31)	

3- أوراق: س. باشا Slat. Papers

121/1-5 403/6-16 260	1/1/1-5(S.R)(80) 1/30 (W) (90) 1/70(F.N)(91) 2/1/3-7(C.W)(111) 2/3/12-14(W.C)(131)	خطابات رسمية وشخصية كسابقتها على وجه العموم

4- أوراق. MAC

110/1-7 246/1-10 (M)(E)

5- وثائق مجلس الوزراء

104/3/1-15(Z) 1869 -1885م (M.D) 305/3/ و1899 -1919م (M.C)

- مطبوعات SUD. INTEL. REP. :

1- هي عبارة عن تقارير شهرية يبعث بها مدير المخابرات إلـى سـردار الجـيش المصري ومن ثم إلى وزارة الحربية البريطانية. وهناك يتم طبعها وتوزيعها على الجهات المختصة بشؤون الأمن والمخابرات وكل تقرير منها يغطي شهراً. وقد تم الرجوع إلى التقارير في الفترة من 60 – 26 ما بين 25 مايو 1898– 1916م.

2- LONDON GAZETTE .

- المصـادر العـربية و الأجنـبية:

أ- الكتب العربية المطبوعة:-

1. **إبراهيم فوزي:** السودان بين يدي غردون وكتشنر. مصر- القاهرة. مطبعة الآداب والمؤيد 1319هـ "جزأين" .

2. **أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربـي:** الجغرافيا. تحقيق وتعليق إسماعيل العربي. - لبنان - بيروت. المكتب التجاري. الطبعة الأولى 1970م .

3. **أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي:** صبح الأعشى في صناعة الإنشاء - مصر- القاهرة. المؤسسة المصرية للتأليف والنشر 1963م. 14 جزء.

4. **سلاطين باشا:** السيف والنار في السودان. - السودان - أم درمان. طبعة عالم الكتب 1978م.

5. **شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت (ت 626 هـ):** معجم البلدان. لبنان - بيروت - دار صابر. (1955 - 1957م). 5 مجلدات .

6. **عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت 808 هـ):** كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر: مصر- القاهرة. دار الطباعة الخديوية ببولاق (1284هـ).

7. **عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس الإدريسي:** نزهة المشتاق في اختراق الآفاق. تحرير ونشر أ. كوريللي وآخرين. المانيا - برلين- معهد الدراسات الشرقية (1970 - 1971م). - جزءين - .

8. **لو ثروب ستودارد:** حاضر العالم الإسلامي: ترجمة عجاج نويهض، تحقيق وتعليق الأمير شكيب أرسلان - لبنان - بيروت. دار الفكر. الطبعة الثالثة - 1971م. أربعة أجزاء.

9. **محمد بن عمر بن سليمان التونسي**: تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان. تحقيق خليل محمود عساكر. مصطفى محمد مسعد – مصر – القاهرة. المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر. الطبعة الثالثة – 1965م.

10. **نعوم شقير**: تاريخ السودان . تحقيق محمد إبراهيم أبو سليم. لبنان – بيروت – دار الجيل. 1981م.

ب- الكتب الأجنبية المطبوعة:-

1. E. A. Wallis. Budge (1857 – 1934). Egyptian Sudan. Its History and Monuments 2.Vols. Oston Public Library.U.S.A- New York 1978.
2. Gustavo Nightingale: Sahara & Sudan. Wadi & Darfur Voyage (1874). Trans. By Allan. G. B. & Humphrey Fisher. 4. Vols:- England-. London (1971).
3. H. A. Macmicheal: A History of the Arabs in the Sudan & Account of the People Who Preceded Them of the Tribes Inhabiting Darfur. 2. Vols. England- Cambridge 1922.
4. W. S. Churchill: The River War. Third Ed. For Eyre & Sprits Wood Ltd. England - London 1951.

2- **المصادر الثانوية**:-

جـ- المصادر العربية والأجنبية الحديثة:-

أ- العربيـــة:-

1. **توماس . و . أرنولد**: الدعوة إلى الإسلام. ترجمة حسن إبراهيم، عبد المجيد عابدين، إسماعيل النحراوي. مصر– القاهرة . مكتبة النهضة المصرية. الطبعة الثالثة (1947م).

2. **الشاطر بصيلي عبد الجليل**: تاريخ وحضارات السودان الشرقي والأوسط . مصر – القاهرة. الهيئة المصرية العامة للكتاب. 1972م.

3. **صلاح الدين محمد كــردوس:** جغرافية العمران في مديريـــة دارفـــور. الـــسودان – الخرطوم – جامعة القاهرة فرع الخرطوم . 1977م.

4. **عبد الكريم غرايبة:** دراسات في تاريخ أفريقية العربية (1918 – 1958م). سوريا – دمشق. جامعة دمشق . الطبعة الأولى 1960م.

5. **عبد المجيد عابدين:** تاريخ الثقافة العربية في السودان منذ نـــشأتها إلـــى العـــصر الحديث – لبنان – بيروت. دار الثقافة للطبع والنشر 1967م.

6. **محمد عمر بشير:** تاريخ الحركة الوطنية في السودان (1900 – 1969م). ترجمة هنري رياض ووليم رياض، الجنيد علي عمر. الـــسودان – الخرطـــوم. جامعـــة الخرطوم. 1980م.

7. **محمد عوض:** السودان الشمالي سكانه وقبائله. مصر – القـــاهرة. لجنـــة التـــأليف والنشر 1951م.

8. **محمد فؤاد شكري:** السنوسية دين ودولة. مصر – القاهرة– دار الفكـــر العربـــي. الطبعة الأولى. 1948م .

9. **موسى المبارك الحسن:** تاريخ دارفور السياسي (1882 – 1898م) – السودان – الخرطوم. جامعة الخرطوم 1964م.

10. **نقولا زيادة:** صفحات مغربية. لبنان – بيروت – دار الطليعة. الطبعـــة الأولـــى. 1966م.

11. **يونان لبيب رزق:** السودان في عهد الحكـــم الثنـــائي الأول (1898 – 1924م). مصر – القاهرة. معهد البحوث والدراسات العربية 1976م.

ب- الأجـــــنبية:-

1. A. B. Theobald: Ali Dinar the Last Sultan of Darfur (1898-1916). England. Western Printing Service .Ltd. Bristol. 1965.

2. A. J. Arkell: A History of the Sudan from the Earliest Times to 1821. England - London 1961.

3. L. A. Fabunmy: The Sudan in Englo-Egyptian Relation A Case Study In Power Politics. England - London. 1964.

4. P. M. Holt: A Modern History of the Sudan. From The Fung Sultanate to the Present Day. Third Ed. Redwood Burn. England - London. 1974.

5. P. M. Holt: The History of The Sudan from the Coming of Islam to the Present .Day. Third Ed. England - London. 1979.

6. Patricia Wright: Conflict On the Nile: The Fashoda Incident of 1898. First Ed. Cox and Wyman Ltd. England - London - 1972.

7. Rex Sean Ofahey: The Growth and Development of the Kiera Sultanates of Darfur. England - London.

8. Omar. Al-Naqar: The Pilgrimage Tradition in the West African. Khartoum University - Sudan - Khartoum. 1972.

Periodicals

S. N.R. Khartoum:

1. A .C. Beaton, The Fur. Vol 29 Part 1 (1948) 1- 38.

2. A .J. Arkell:- Darfur Antiquities (1) Vol. 19 (1936) P. 301 - 10.

3. A. J. Arkell-The Coinage of Ali Dinar Vol 23 Part (1) (1940). P.151 - 60.

4. A .J. Arkell -The History of Darfur A.D 1200 - 1700. Vol.32. Part (1) (1951) P.38-68.

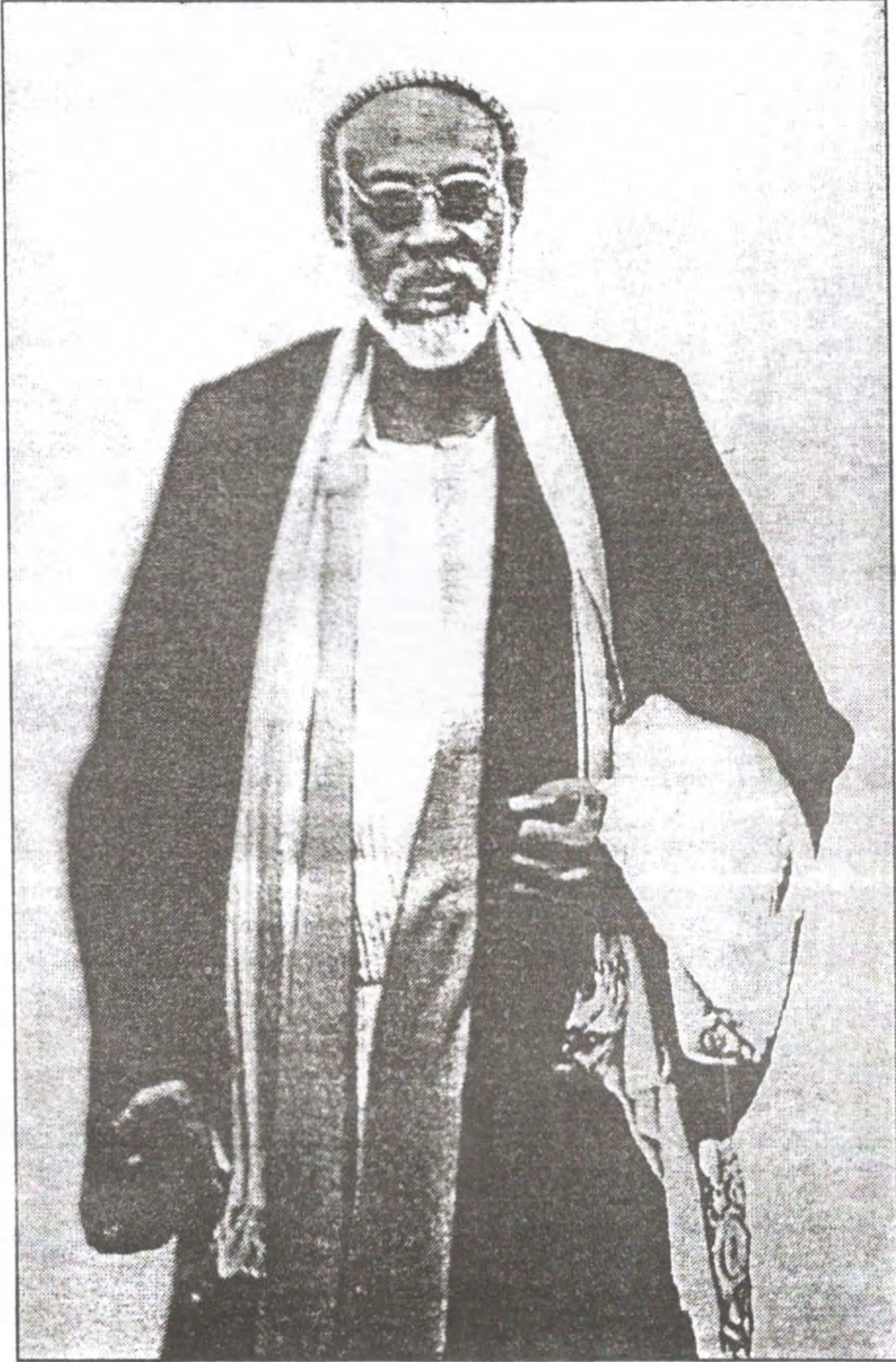
5. A. J. Arkell-The History of Darfur Ad 1200 - 1700 Vol. 33 (1950) P. 207 - 37.

6. G. B. Lampen, History of Darfur. Vol. 31 Part 2 (1950) P. 177 - 209.

7. J. E. H Boustead: The Youth and Last Days of Ali Dinar Vol. 22 (1939) P. 149 - 53.

8. Samuel Bey Atiya, Senin and Ali Dinar. Vol. 7 Part 2 (1924) 63- 69.

الملاحق



شكل (1) عبد الرحمن المهدي ابن أخت السلطان علي دينار (ابنة عمه مقبولة)



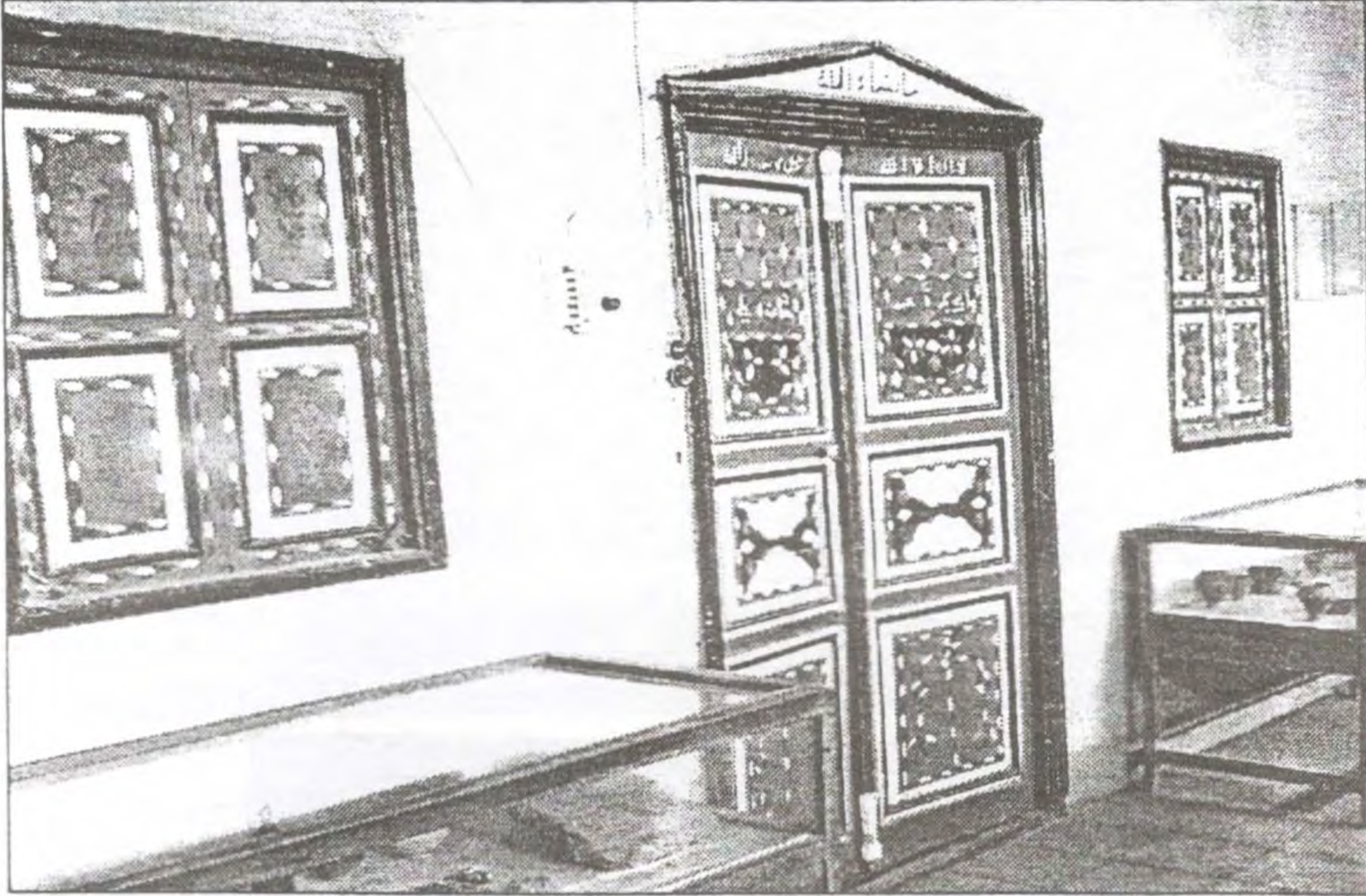
شكل (2) هذه هي ابنة عم السلطان الشهيد علي دينار بن زكريا بن السلطان محمد الفضل: مقبولة بنت السلطان نورين بن السلطان محمد الفضل: وهي والدة عبد الرحمن المهدي والد المرحوم الهادي واحمد المهدي وجد كل من الصادق المهدي زعيم أحد أجنحة حزب الأمة وروجة حسن الترابي زعيم حزب المؤتمر الشعبي.



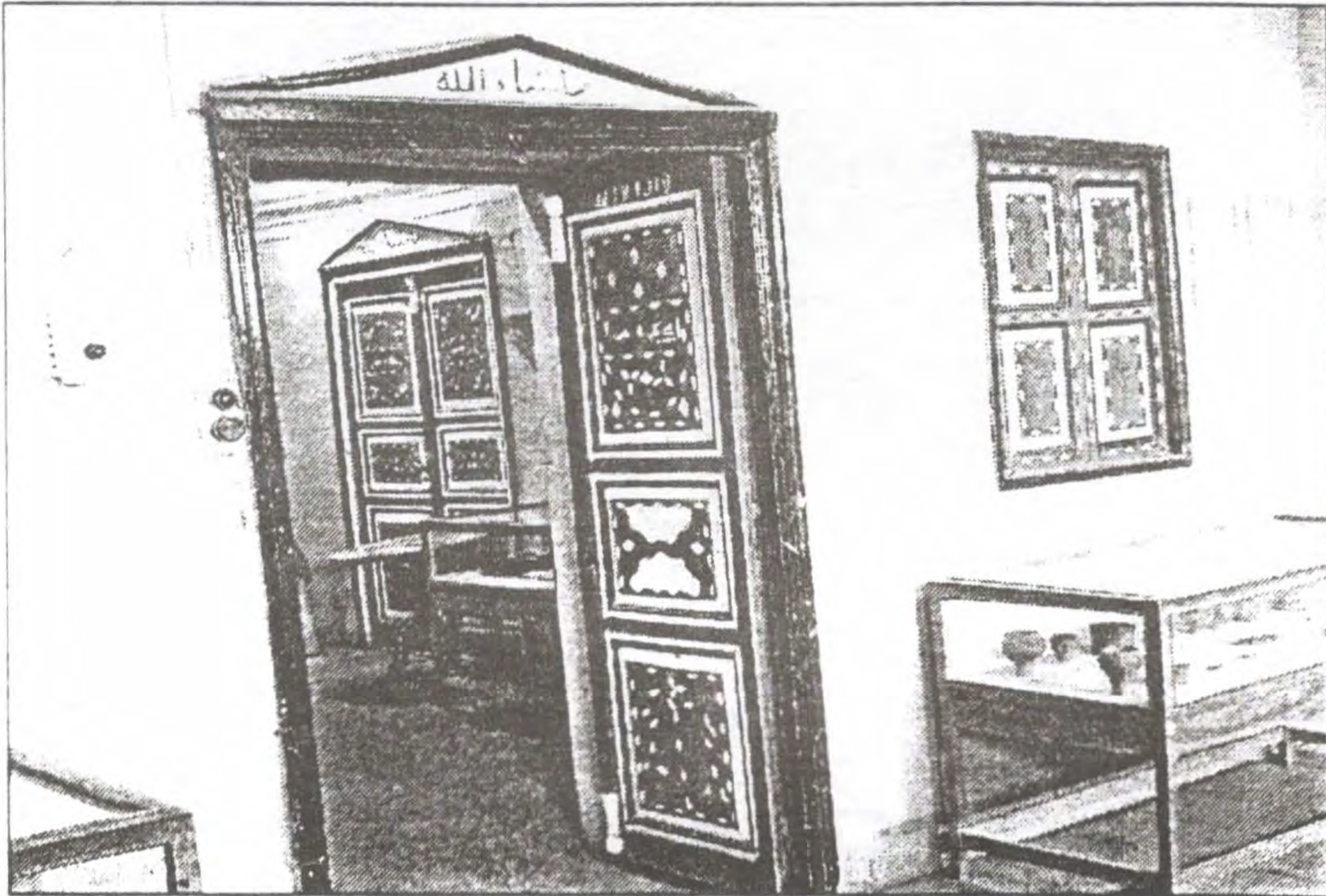
شكل (3) عبد الرحمن المهدي جد الصادق المهدي



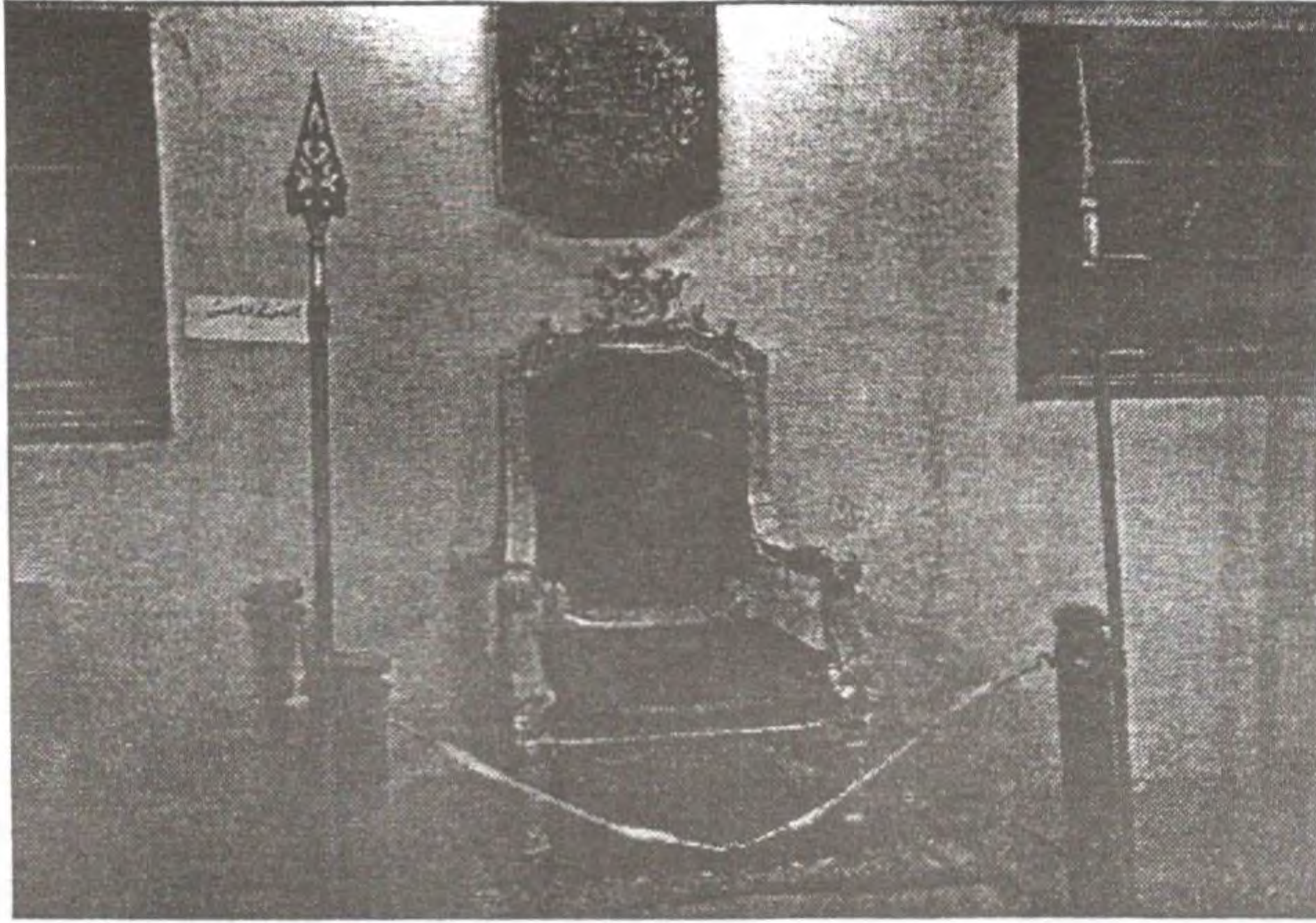
شـكل (4) عبد الرحمن المهدي في زيارة للقاهرة



شكل (5) باب غرفة السلطان الشهيد (صورة يونيو2007م)



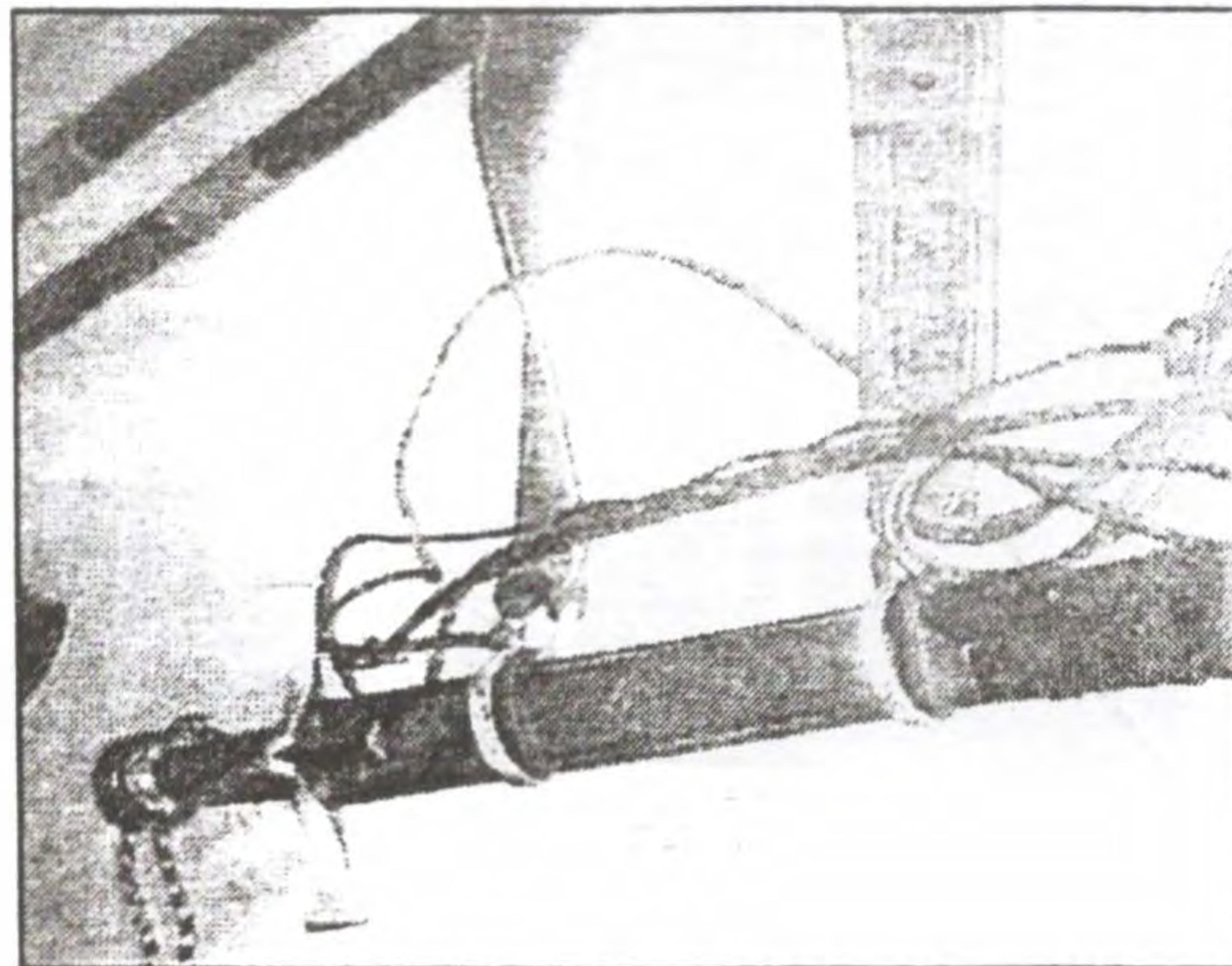
شكل (6) باب غرفة السلطان الشهيد (صورة يونيو2007م)



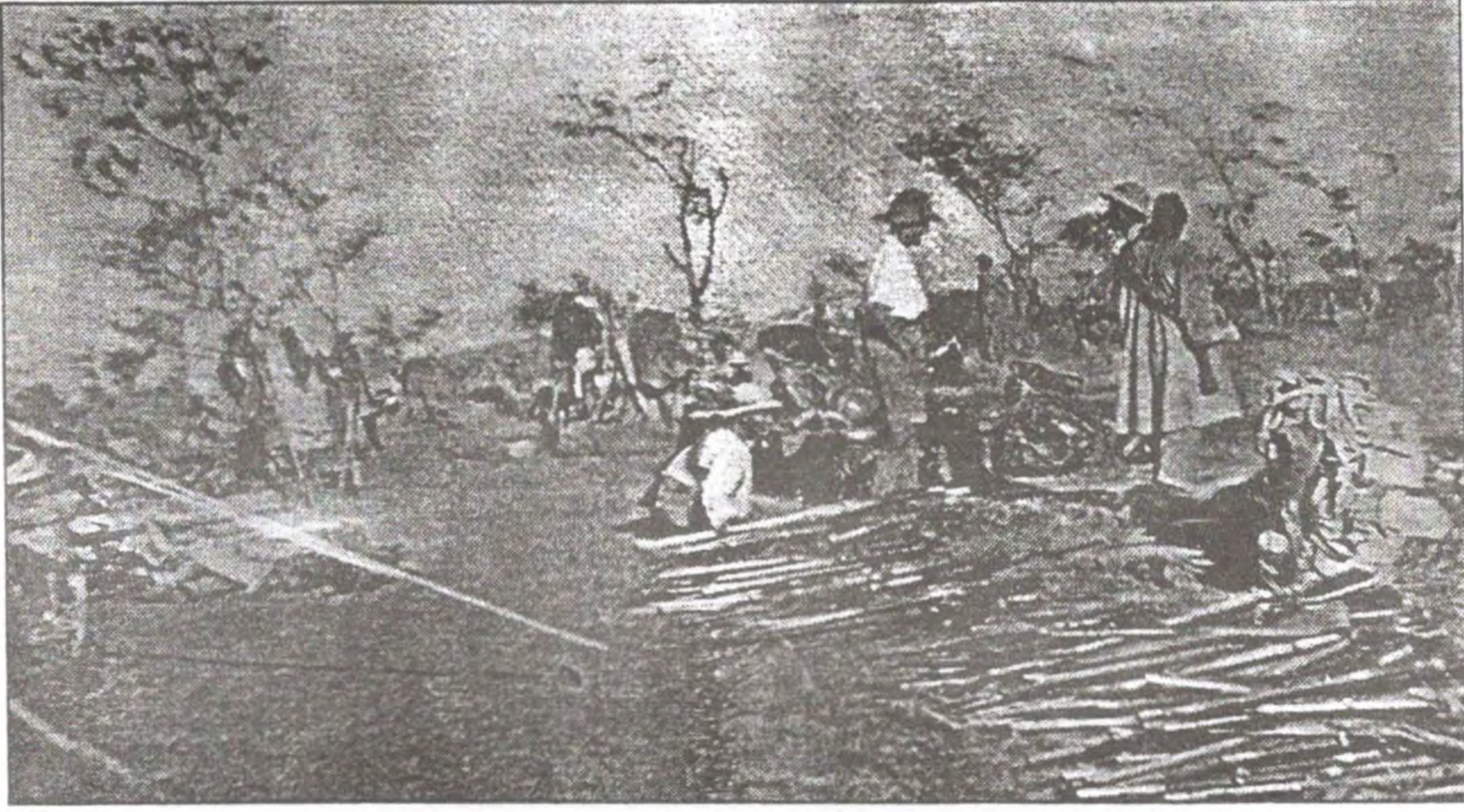
شـــكل (7) كرسي السلطان الشهيد علي دينار(صورة في يونيو 2007)



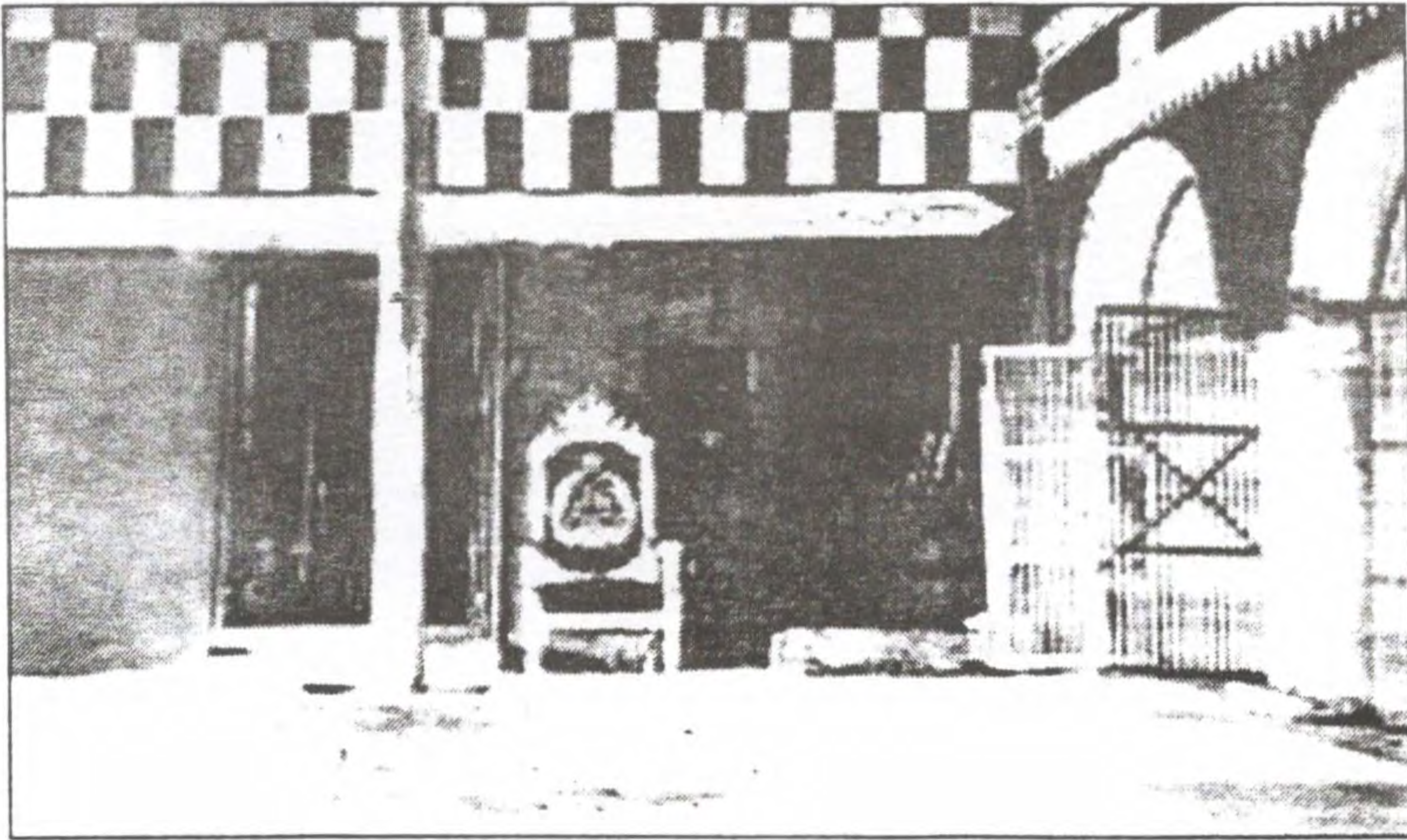
شـــكل (8) بعض أسلحة السلطان الشهيد (صورة في يونيو 2007)



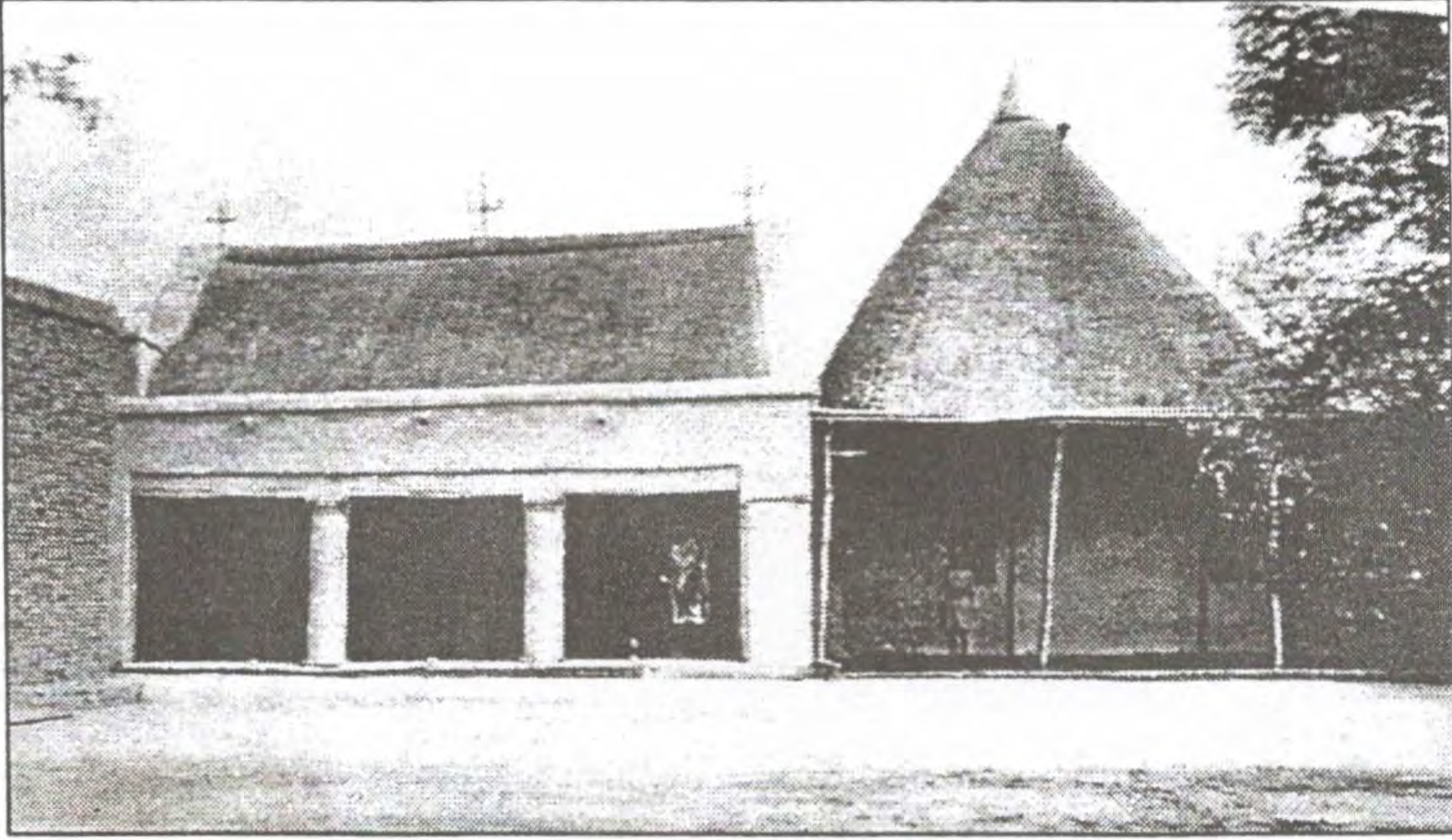
شـــكل (9)



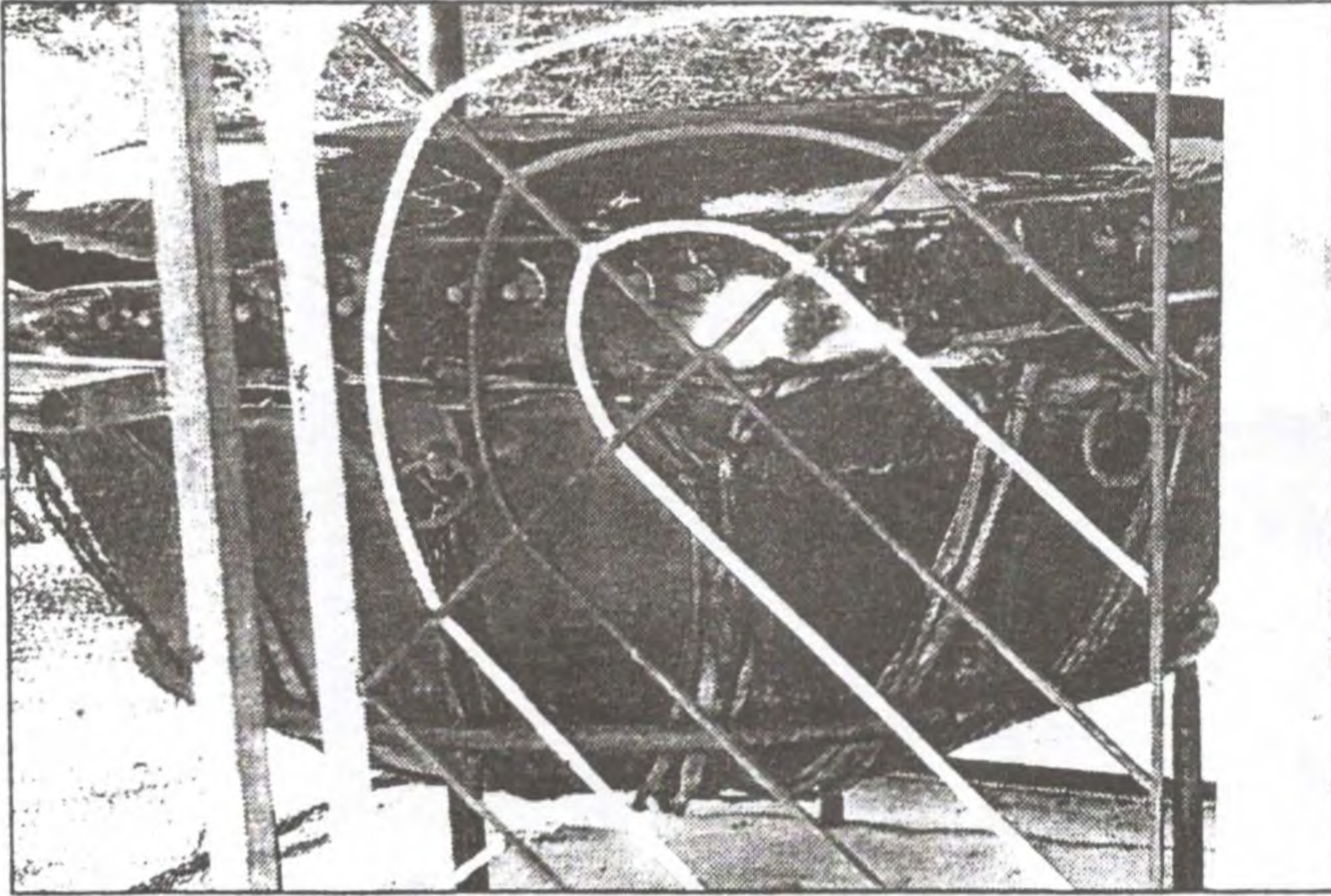
شكل (10) هذه اسلحة السلطان الشهيد علي دينار وريش النعام وأشياء أخرى التي تم جمعها بواسطة الانجليز بعد هزيمته مع بعض الأسري الذين ظهر بعضهم في الصورة. في كالمي في نوفمبر 1916م



شكل (11) مجلس نساء السلطان الشهيد من الداخل



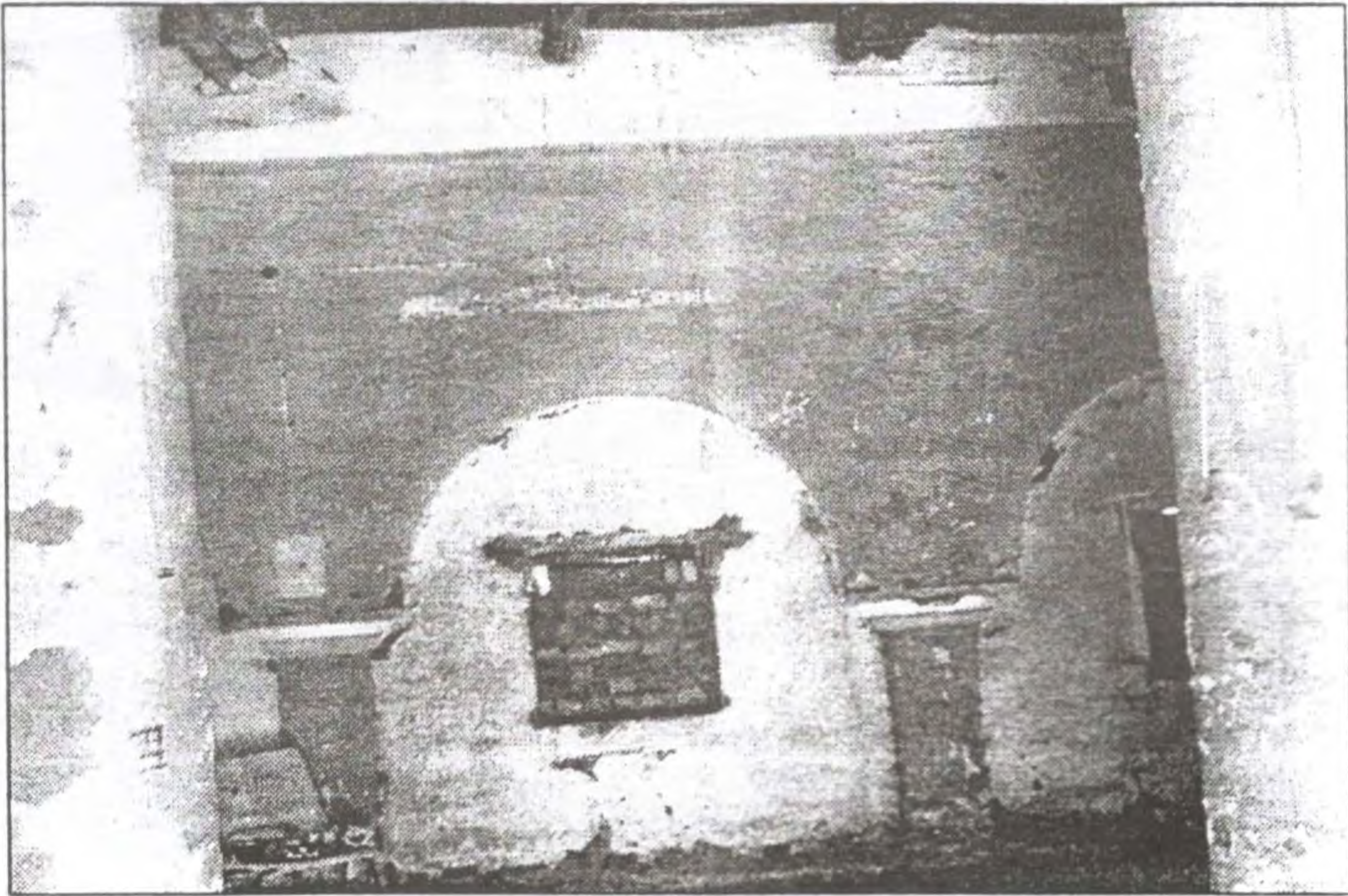
شكل (12) مجلس نساء السلطان داخل القصر في صيف 1916م



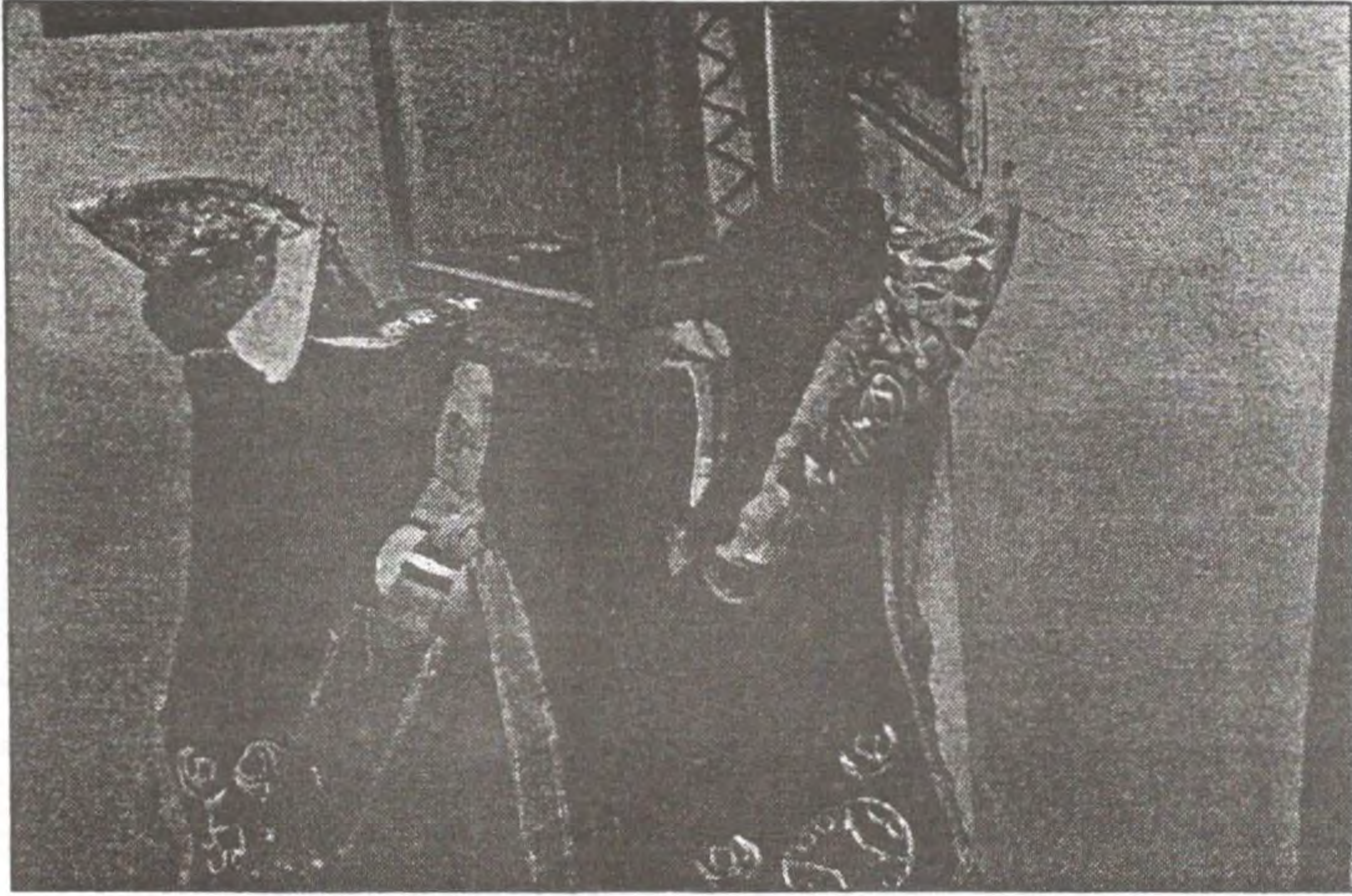
شكل (13) صورة لنحاس السلطان الشهيد (صورة في يونيو 2007)



شكل (14) قصر السلطان من الخارج (صورة في يونيو 2007)



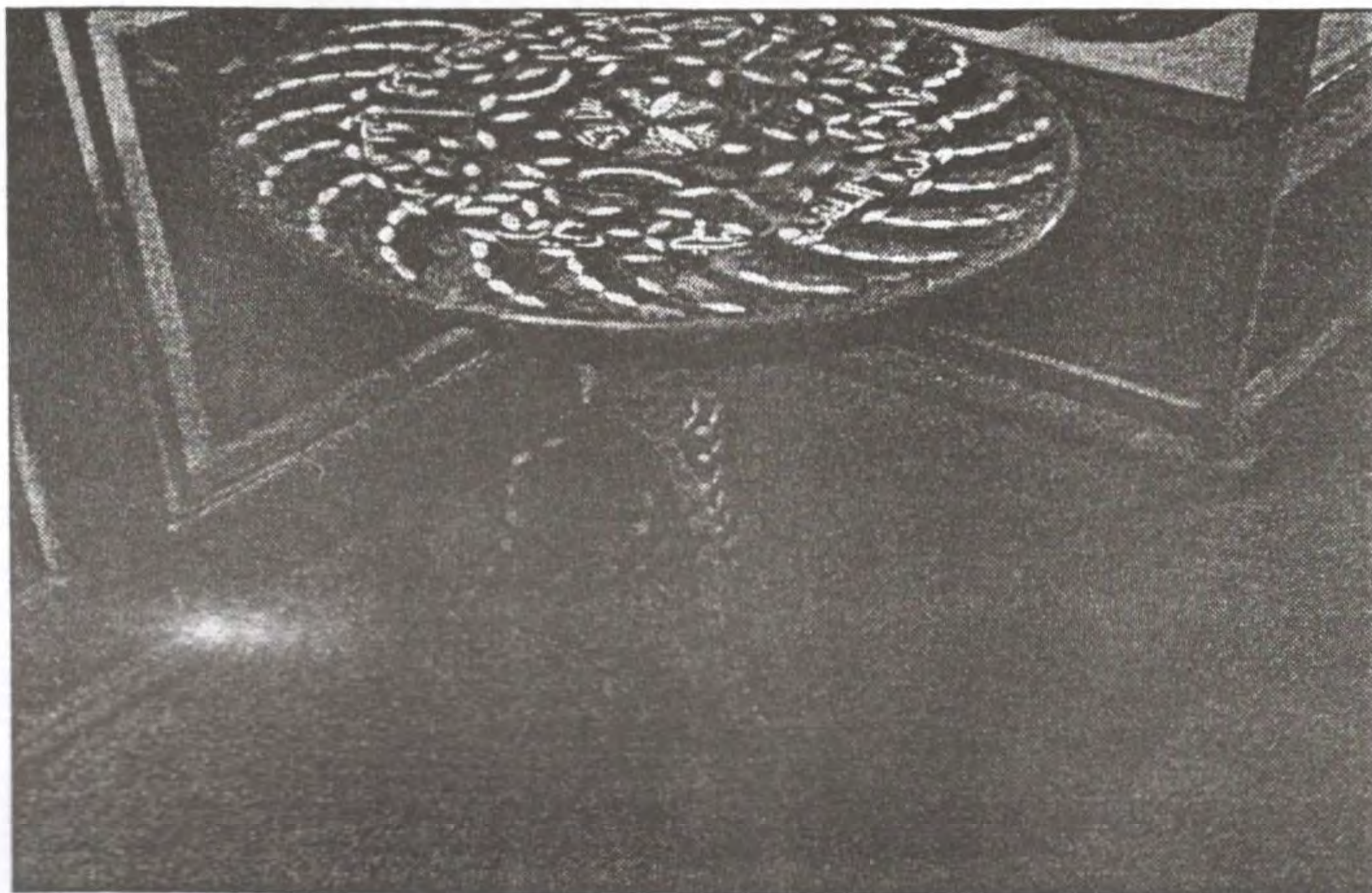
شكل (15) قصر السلطان علي دينار من الداخل (صورة في يونيو 2007)



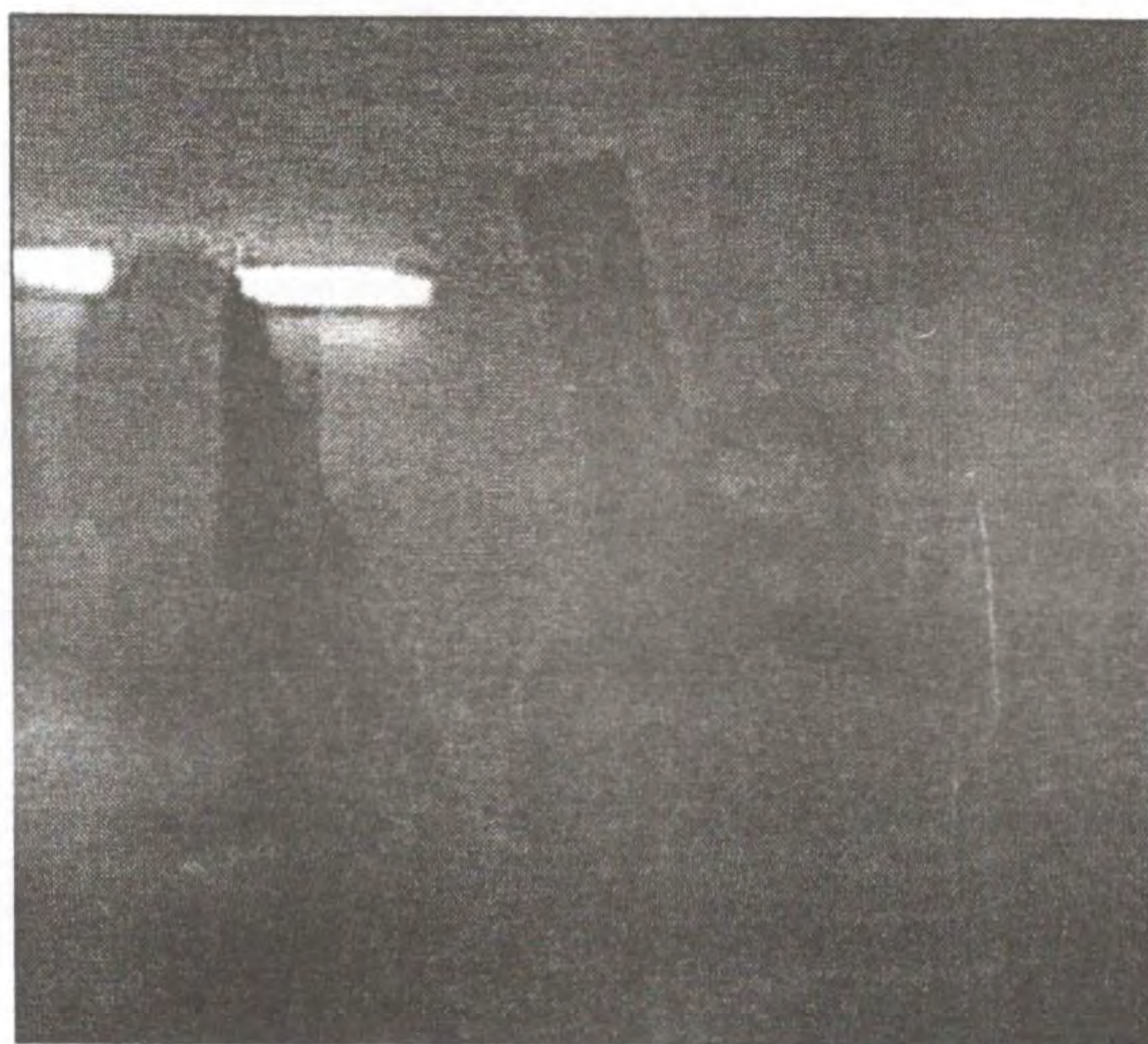
شكل (16) سرج حصان السلطان علي دينار (صورة في يونيو 2007)



شكل (17) منضدة طعام السلطان علي دينار (صورة في يونيو 2007)



شكل (18) منضدة طعام السلطان الشهيد (صورة في يونيو 2007)



شكل (19) أدوات قهوة (الجبنة) السلطان الشهيد علي دينار (صورة في يونيو 2007)

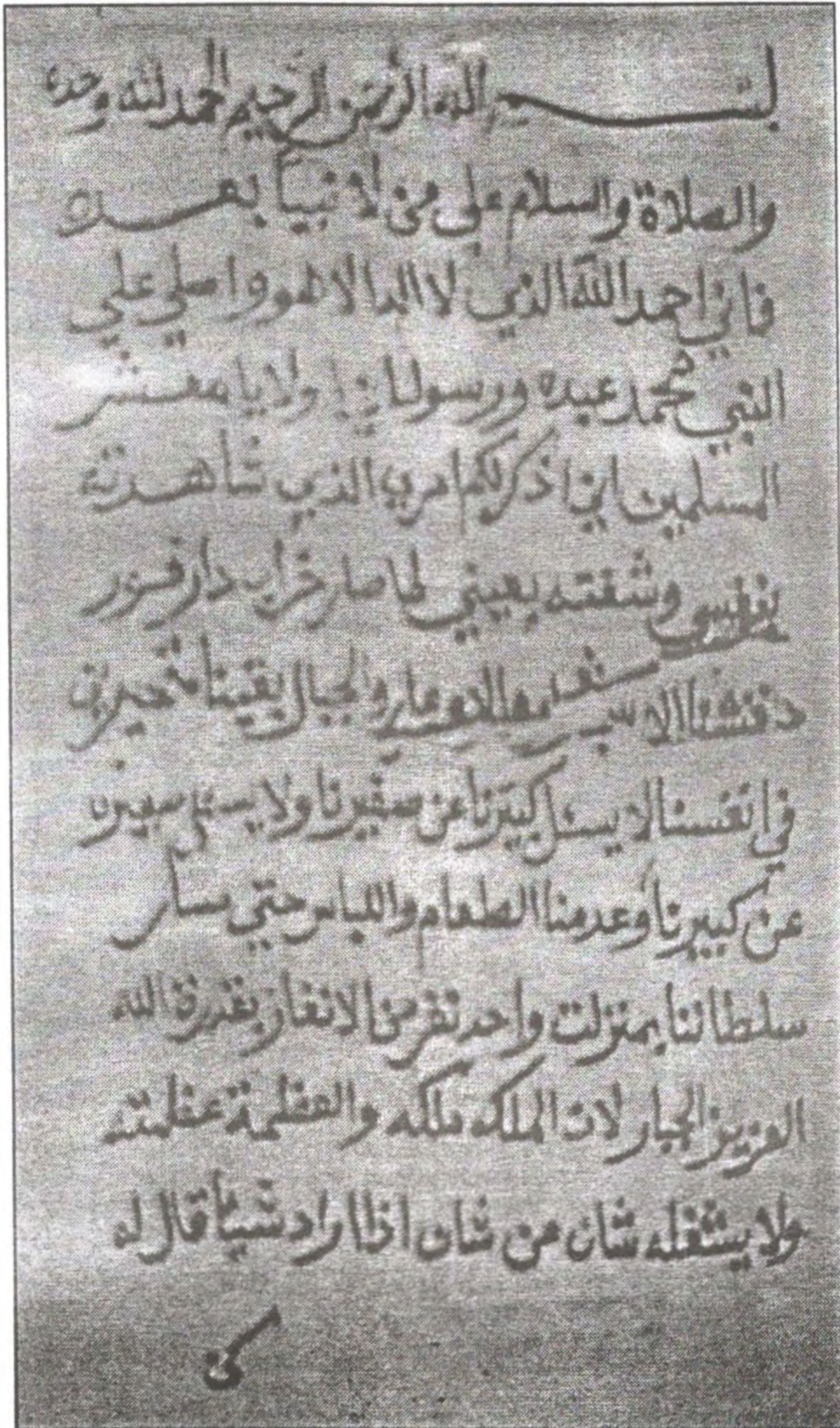


شكل (20) ابن السلطان الشهيد على دينار



شكل (21) صورة جثمان السلطان الشهيد علي دينار بعد استشهاده في نوفمبر 1916م هو حوله جنود انجليز في كالمي

صورة مخطوط للسلطان الشهيد



بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وحده
والصلاة والسلام على من لا نبيا بعده
فاني احمد الله الذي لا اله الا هو واصلي على
النبي محمد عبده ورسوله [illegible] يا معشر
المسلمين اني اذكركم امري الذي شاهدته
بنفسي وشفقته بعيني لما صار خراب دارفور
د فتشنا الا [illegible] والجبال بقينا متحيرين
في انفسنا لا يسئل كبيرنا عن صغيرنا ولا يسئل صغيرنا
عن كبيرنا وعدمنا الطعام واللباس حتى صار
سلطاننا بمنزلة واحد نفر من الانفار بقدرة الله
العزيز الجبار لان الملك ملكه والعظمة عظمته
ولا يشغله شان من شان اذا اراد شيئا قال له
كن

الوثيقة (1)

كي فكان انقضى الامر وانسد البصر ادرى نعذ بما يختار

ويشاء قد ابدى واذكر لكم تفصيلا فذاك قدرة الله

الذي جرى ليوسف مع قبلنا وكلما اسبابه من ارتكاب

المعاصي والفواحش وعدم اعطاء كل ذي حق حقه

وانصاف المظلوم من الظالم حتى قضى الله امرا

كان مفعولا وسلط الله علينا واخذ امه بدنو

حتى خرب مدينتنا حتى لحقنا هذه المصيبات

والله وعاد قضى الشامر [illegible] في يوسف [illegible]

وتولى اخوه من بعده ابو الخيرات فما زينا في تلك

المسائل والمسائخ والاشجار والاوعار حتى عار

احدنا لا يملك حاجة ثم مكروه عليه عبيده وخدامه

فتركوه مقتولا منجدلا في الارض ثم بعد ذلك بطول

مشورتهم على توليتي انا العبد الضعيف فاذكر لكم

الوثيقـة (2)

ذنوبي الذي فعلتها في الدنيا بعدنا تطلبون هذه
الملوك قالوا الي نحن كرهنا ابو الخيرات وقصدنا ان نطلبوك
انت سلطانا علينا قلت لهم انا ليس لي طاقة
بهذه المسايل لاني انا مقطوع وصغير ومسكين ولا
لي ابن ام ولا لي ابن ابي ولا نعلم الممالك الا بالاخ ولا
املك من المال شيئا لا غصبا ولا شيء من [illegible]
وبعد فراغي من هذا الكلام قالوا ان لم [illegible] تكون
معنا في هذه المسئلة واما نتشرد من [illegible] وقعن
بالسلام على [illegible] احتياطا لنا وقولهم لي خشية من ان تعلم
ابو الخيرات يقتلنا فلما رايتهم حسموا علي بهذا الكلام
قلت مدارة المومن على نفسه حسنة لاجل ان يقتلوني
نكون معهم فاتبعتهم في رايهم حتى قضى الله امرا
كان مفعولا لا توليته بحكمه ما حكم الله وما نفذ الله

الوثيقة (3)

امره ان لي الحكمة يعلمها هو ولا يعلمها غيره فاجتمعت
اهل البلد وقالوا لم توجها الي المهدية افندي دمك
بدمنا قلت لهم خيرتها مالبني فقمت متوكلاً على
ربي وطلبت راحلتي وركبت [illegible] بها توجهت [illegible]
فوجدت فيه عبد القادر دليل وجود [illegible] زاوية
ومحمد فضل الفوجاوي ومع كون عبد القادر دليل [illegible]
[illegible] المتنااي باسي زمزم بنت السلطان محمد
الفضل يعدز لني الله من كرسي تملكني وجئت لهم
بقيت معهم عبداً حقيراً ذليلاً فمكروا علي هم الجميع
عبد القادر وابو محمد فضل وطلبوا القاضي امامهم
واتفقوا الجميع بمجلس وقالوا ما تفعلوا في هذا
الرجل المتكبر المتجبر المتمرد الزاعم انه سلطان
وقال لهم القاضي ما علينا غرض حتى نخابر الى

الوثيقة (4)

واخذ وهاله وبعد رجوع الاولاد منا ختر [illegible]
فرام عبد القادر وكلمه فعند ذاك عبد القادر [illegible]
قومه العربان كالمسيرد وغيرهم واتفقوا ان هذا
الرجل بهذه الصفر يفني علينا البلاد فاستقر امرهم
على ان يسجنوني او يقتلوني وللاصبح [illegible]
اجتمعوا هم الاربعه عبد القادر دليل و[illegible] [illegible]
والقاضي وطلبوني عندهم واول ما دخلت الباب
وجدت الحجاب من العربان الاراذل واقفين زيادة
من مايه وسبعين برجالهم وبالشاوج جريدين زيادة
من مايتين تقربسلاحهم اول ما جيت عندهم قالوا
لي انت محبوس خالفت امر المهديه قلت ما اسباب
هذه الخلاف وقال الوالي انت جيت بحيلة تشرب
الخمر وتعصي البلد فقلت لهم منذ خلقني [illegible] عشرين
[illegible]

الوثيقة (5)

الخمر فما نشعر الاحكام منهم واحد احضر السحارة الذي
كان اخذه حمزه وقال هذه خمرتكم التي شربتها
فتلجلج امري واظلمت الدنيا في وجهي وتسود
بصري واحترت في امري فعندئذ امروا بحبسي
واجتمعوا علي [illegible] وثقفوني كتافا [illegible] الله لو كنت
اعلم انهم يفعلون بي كذلك ولو انهم [illegible] الالف
نفر لكنت حاربتهم بنفسي ولا ابالي [illegible] الله
امره وسد البصر فنفذ امره ارسلوني لمحل السجن
وقعدت فيه ثلاثون يوما فاتى الله علي بالفرج
من محمود ففكني من السجن واما نسواني ومالي
وعيالي ادخلوهم بيت المال بطرف محمد فضل ومن
نساوي منهم من باعوها ومنهم استسرها ومنهم من
[illegible] فبعوضها [illegible] امر دبر بان تقيت [illegible] المملوكات

الوثيقة (6)

لا اعرف لنفسي نفعا ولا ضرا الا عبدا تابع ومملوك فعلمت
ان الملك ملك الله والعظمة لله بعد ما شقت بعده
المسايل ونظرت مشرقا ومغربا فاوجدت تدبيره
بحكمه ظاهرا وباطنا وفوضت امري الى الله ورسوله
بعد ما انزل الله بي الفرج وبغى على [illegible] اتكالي
على الله ورسوله فالله بعد ما امات احياني [illegible] النشور
ثم سلط الله عليهم النحل الا نكلين بهم وشتت الله
شمل الخليفه وقومه وفرق الله جمعهم واذا قهم
من الذل والنكال اصعاف ما اذاقوني واعطى الله كل
ذي حق حقه بعد ما كنت مظلوما نصرني الله واعادني
الى
في مواطن جدودي وابايي بلطفه الخفي الذي
لا يعلم به احدا الا هو عظيم القدرة في جدنا جا انزونيا
نيابى وقنيار وتوا علها يا ترن اليهامي بل ج [illegible]

الوثيقـــة (7)

يخرجون من الاحجار والاشجار وياذن بنفخة الصور
بعد ما اماتنا احيانا واليه النشور حتى [illegible] الله
بلدنا بعد الجوع والعري والبشتنا والتعب كسانا
الله بلباس فاخر جميلا وطابت قلوبنا بعد ان اخرجنا
من الظلمات الي النور وعافانا الله من فضله بعد
ظلمنا ومع ذلك يقول انا الظالم لنفسي بارتكاب
المعاصي حتى اذاقني الله جزاء ما فعلته فنذكر
لكم الامور التي جرت علينا من سابق الازل تعدينا
حدود الله وقد ظلمنا انفسنا بارتكاب المعاصي والفواحش
ولا ننصف للمظلوم من الظالم ولا نمتثل لامر الله بل اتبعنا
هواء النفس والعجب والكبر وتسقرينا بامر الباطل
بملك الدنيا الباطل لان نعيمها فاني وزائل حتى غضب
الله علينا بعدم [illegible] لاوامره وتركنا [illegible] الاتعاب

الوثيقـــة (8)

يخرجون من الاحجار والاشجار ويأتون نفخة الصور
بعدما اماتنا احيانا واليه النشور حتى يحشرنا
بلد نقر بعد الجوع والعري والبشتنت والتعب كسانا
الله بلباس فاخر جميلا وطابت نفوسنا بعد ان اخرجنا
من الظلمات الى النور وعافانا الله من فضله بعد
ظلمنا ومع ذلك يقولون العالم [illegible] ارتكاب
المعاصي حتى اذاقني الله جزاء ما نسلته فنذكر
لكم الامور التي جرت علينا من سابق الازل تعدينا
حدود الله وقد ظلمنا انفسنا بارتكاب المعاصي والفواحش
ولا ننصف للمظلوم من الظالم ولا نمتثل لاوامر الله بل تابعين
هوى النفس والعجب والكبر ونسعى بنا بامر الباطل
بملك الدنيا الباطل الان نعيمها فاني وزال حتى غضب
الله علينا بعظيم [illegible] ولذلك اذاقنا هذا الانقلاب

الوثيقة (9)

بالنعم والخيرات الشكر لنعمة سيدي علي من من الشكر له
ولطفه محا ذنوبي بدعيوبي وحزني واكرمني واني
بشرى السلطان هو الذي مالك الملك وسماني باسم
لا استحقه سماني سلطانا هذا فضل الله علي
بعد التعب والعري والبشتنات والفقر والجوع ما
سمعت باحد رباكرية اكثر من الراني لا سمعت
في كتب ولا في ملوك من قبلي وانا عندي ست
الاطراف وولدت وسبت الغزلات ... وولدت
عندي القرودة ومن فضل الله استعمال الامور كلها
نداوي المجنون بركوتي وتداوي كل مرض في الدنيا الا
مرض الموت وقال الله تعالى (واما بنعمة ربك فحدث)
وهذا كله من تمسكي واعتقادي بالله ورسوله
وخلفائه سيدي ابو بكر الصديق رضي الله عنه

الوثيقة (10)

وسيدنا عمر الفاروق رضي الله عنه وسيدنا عثمان [illegible]
رضي الله عنه وسيدنا علي الكرار رضي الله عنه
زوج البتول السيف المسلول وسيدي الحسن
ثم الحسين وسيدنا حمزة والعباس رضي الله عنهم
والصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ورضي [illegible]
وجلاله ونبيه ما تندى سوانح والات بالسلام
على النبي صلى الله عليه وسلم سبحان ربك رب
العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله
رب العالمين

(فصل في المواعظ بالسلف الذين
مضوا قبلنا

الحمد لله على سابغ النعم [illegible]
النشور [illegible]

الوثيقة (11)

محمد الانام عليه الصلاة والسلام [illegible]
اني احمد الله الذي لا اله الا هو [illegible]
يا معشر المسلمين [illegible] الظلم والنار [illegible] امرنا الله
عليكم [illegible]
الذي فيه [illegible] الدنيا والاخرة [illegible]
سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام [illegible]
دار [illegible] الاخرة دار [illegible]
ورسوله في جنات النعيم ورضوان [illegible]
فيها ابواب مفتحة فيها ثمانية [illegible]
[illegible] اما الجنات فهي [illegible]
الا المتقون الموحدين الله ورسوله فيها [illegible]
[illegible] الحور [illegible] الا المتقون فيها [illegible]
[illegible]

الوثيقــة (12)

خضروا استبرق وفيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا
خطر على قلب بشر إني يا معشر المسلمين ليس بحالم ولا
نبي بل إني أحمد الله الذي وفقني واراني نسخة
الكلمات والله فلاجل همي بكمات ادلكم على طريق النجاة
في الاخرة وصرتم سفهاء متسفهين بكل شر ابو وبل
فويل لكم ثم ويل لكم تركتم رحمة الرحمن وجلبتم غضب
الجبار وتقعوا في حفر النيران وتحملوا التنكيل بلا لائق
لكم به السعيد من يتعظ بغيره والشقي من يتعظ بنفسه
حلاوة الدنيا مرارة الاخرة ومرارة الدنيا حلاوة الاخرة
واتقوا الله وسددوا تنجوا واعلموا انكم مسؤولون غدا
بين يدي الله يوم تقف الناس حفايا عرايا يوم
لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم
يوم يشيب فيه الطفل الصغير اتقوا الله واستعدوا

الوثيقة (13)

عن طريق الضلال وارغبوا فيما عند الله ربكم السلامة
والنجاة اني عذرتكم قدام العزيز الجبار ما تقولون من الله
ورسوله ان يغفر لكم ذنوبكم انتم امة مرحومة امة
محمد زاد الدنيا تقوى الاخرة نجاة من النار كفوا ايديكم
وابصاركم واستحيوا من الله ورسوله ليشفع لكم الحياء
من حياة الدنيا الفانية من لا حياء له لا ايمان له واياكم
والكذب والغيبة والنميمة والخيانة والزور والبهتان
وعجب النفس والحسد والكبر لان الكبرياء لله والنفاق
ووسوسة الشيطان فان الشيطان لكم عدو مبين
اني يا معشر المسلمين اوصيكم بتقوى الله ورسوله
فانها تجارة لن تبور ومن لم يتق الله يذوق هذه
الكرب واشد من هذه الكرب التي ذكرتها سابقا يا ايها
الناس اتقوا الله قبل الممات يا ايها الناس اتقوا الله

الوثيقـــة (14)

من وسوسة الشيطان وترك المعاصي يا ايها الناس
دين الله قوي ومتين لا يقوى عليه احد يا ايها الناس ان محمدا
جاء رسولا وبشيرا ونذيرا يا ايها الناس اتقوا الله واتبعوا
السنة المحمدية فانها تجارة رابحة ونجاة من النار
يا ايها الناس اتقوا الله قبل ان [illegible] الى القبور [illegible]
القصور يا ايها الناس لا [illegible] او زينة [illegible]
الدنيا الفانية يا ايها الناس [illegible] الله [illegible]
اين النبي واهل بيته الطاهرين يا ايها الناس [illegible] الخلفاء
الكرام الفاضلين يا ايها الناس [illegible] شيعة [illegible]
يا ايها الناس ان الذين هلكوا الكفرة اللئام حرمة النبي
عليه افضل الصلاة والسلام حتى يغسلهم ثم جعلنا
الله من مسلمين على اثرهم يا ايها الناس اذا كان [illegible] لا اثر
علينا باتباع السنة المحمدية والدين الاسلامي والملة

الوثيقة (15)

الحنيفية السمحة [illegible] حتى يرانا الله [illegible]

امين معلنين ايها الناس اتقوا [illegible] القبور

وبشائر الدهر يا ايها الناس اين المصطفى من [illegible]

كانت له الاحجار والاشجار واين المصطفى الذي اشتكى

اليه البعير واين المصطفى من [illegible] له الاشجار [illegible]

واين المصطفى [illegible] قرنا اسمه مع اسم [illegible] محمد [illegible]

والاخرون الذين قرنا اسمه مع اسم [illegible] في العرش [illegible]

ومحمد رسول لولا المصطفى ما خلقت شمس ولا قمر ولا ليل

ولا نهار ولا جنة ولا نار ولا ارض ولا سماء ولا انس ولا جن

قال الله تبارك وتعالى لا اله الا الله حصني من دخل

حصني امن من عذابي اين الانبياء اين سليمان [illegible]

له الريح والشياطين والجن والانس اين الملوك الجبابرة

الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون اين الاولياء

الوثيقـــة (16)

أين العلماء وابناء العلماء اين السلاطين وابناء السلاطين
اين الامهات والجدود والاباء اين ذو القرنين اين شداد
ابن عاد اين النمرود بن كنعان اين فرعون وهامان
اين من ملكوا الارض اين من ولوا وعزلوا ايها الناس
اسمعوا المواعظ وعوها واتقوا الله الذي اليه تحشرون
خصوصا انتم يا اهل فور عموما احمدوا الله الذي لا اله
الا هو من عليكم بهذه النعمة من بعد الشتات والبيع
والجوع والبشاتن ارتحتم من التعب من بعد الانسان
لا يكون جنا ولا ابوا ولا جنا بشار من ابو احمد الله شملكم
بعد الشتات وانظروا على عاقبة الدنيا بسمعا ارتكبتم
المعاصي وشراب الخمور والزور والظلم والمفاسد والزنا
والكذب والكبر وعجب النفس حتى سلط الله عليكم هذه
العريان الشعاق باخل اليه ما لكم ما اعتبرون بالو...

الوثيقة (17)

اوصيكم عموما العلماء منكم والفقراء منكم والملوك والشرفاء
وعموم سكان دار تور والجنود المستخدمين وعموم
سكان دار فور فرداً فرداً بتقوى الله العظيم لقوله
تعالى (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث
لا يحتسب) وحقيقة التقوى هي امتثال المأمور
واجتناب المنهيات وعظموا شعاير الله ومن يعظم
شعاير الله فهو خير له عند ربه وامروا بالمعروف
وانهوا عن المنكر واقيموا الصلاة واتوا الزكاة
كوصية لقمان لابنه اذ قال له يا بني اقم الصلاة
وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك
ان ذلك من عزم الامور واعبدوا الله مخلصين
له الدين ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم
عدو مبين واحذروا من الظلم فانه ظلمات في الدنيا

الوثيقة (18)

وظلمات يوم القيامة واحذروا من ارتكاب المعاصي
فان المعاصي علامات الشقاوة وكونوا عباد الله
اخوانا وعلى سنة سيد المرسلين اعوانا لقوله
عليه الصلاة والسلام عليكم بسنتي وسنة الخلفاء
الراشدين من بعدي عضوها بالنواجذ واياكم ومحدثات
الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل
ضلالة في النار جعلنا الله واياكم من الذين يستمعون
القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله
واولئكم هم اولوا الالباب والحمد لله رب العالمين
حمدا كثيرا اللهم وفقنا على طاعة الكريم وتوفنا من
الدنيا مسلمين والحمد لله رب العالمين صلوات الله عليك
ياطه المصطفى خير البشر الف الف والسلام

الوثيقة (19)